الدكتور: رفعت السعيد

حسن البنا

مؤسس جماعة الاخوان المسلمين
متى.. كيف.. ولماذا؟

دار الثقافة الجديدة



الطبعة الخامسة

حسن البنا

مؤسس جماعة الاخوان المسلمين

ـ الطبعة الاولى / مكتبة مدبولى / القاهرة ٧٧

ـ الطبعة الثانية / دار الطليعة / بيروت ٧٩

ـ الطبعة الثالثة / دار الطليعة / بيروت ٨٠

ـ الطبعة الرابعة / دار الهمدانى / عدن ٨٣

الناشر

دار الثقافة الجديدة

٣٢ ش صبرى ابو علم / القاهرة

ت : ٧٤٢٨٨٠

غلاف : محمد عزام

الدكتور: رفعت السعيد



مؤسس جماعة الاخوان المسلمين

متى.. كيف.. ولماذا؟

دار الثقافة الجديدة

الإهــــداء

.. الى كل من يعمل من اجل عصر تنوير جديد
لمصر ، ويصد عنها غارات التتـــار الجدد .

توطئة

متى .. كيف .. ولماذا ؟

متى ..؟

متى يمكن للكاتب او للمؤرخ ان يجد الجرأة كي يتلمس طريقه نحو تفهم او دراسة حدث تاريخي ما ، او شخصية تاريخية ما ؟ ذلك هو السؤال المحير بالنسبة للكثيرين .

فكثيرا ما يلمع بريق الحدث ، في وهلة تاريخية معينة بصورة قد تغري الكثيرين بالاسراع بالكتابة ، وكثيرا ما تختلط الرؤية السياسية او الاعلامية بتقديرات دارس التاريخ فتؤثر على تصوره لمدى نضج الموضوع التاريخي ، واستعداده ـ كموضوع ـ كي يصبح مادة للدراسة التاريخية .

وكثيرا ما يطوى حدث ما ، ينضج ويصبح موضوعيا قابلا لان يكون محل دراسة ، لكنه لا يحظى بذلك بسبب افتقاده للبريق الاعلامي او اللمعان السياسي الذي يحفز الكثيرين على الاهتمام به .

والحدث التاريخي ـ في تصوري ـ كائن حي ، له دورة حياة

كاملة ، ومن ثم فان محاولة الاقتراب منه او تناوله بالدراسة تصبح خطراً على الحقيقة ، بل واجتراء عليها ما لم يكن قد اكمل دورة حياته وانتصب امام التاريخ كائنا كامل النمو .

ولقد يبدو مؤلما بالنسبة للبحث الاكاديمي ان يختلط البحث السياسي بالكتابة الاعلامية بالدراسة التاريخية في كتابات تتناول احداثا وموضوعات تاريخية لم يكتمل نضجها بعد ، ومن ثم فانها لم تصبح بعد قابلة لان تكون محل دراسة تاريخية جادة .

واستجابة لهذا المنطق يثور السؤال .. متى يمكن للباحث ان يقترب من دراسة حياة زعيم سياسي مثل حسن البنا ؟ وهل آن الاوان لاخضاع هذه الشخصية الفذة لدراسة متأنية ذات بعد اكاديمي ؟

والحقيقة ان الحدث التاريخي يبدو الان في شخص حسن البنا وهو في قمة اكتماله ونموه ، ويقف «الإمام الشهيد» في هذه الآونة بالذات امام محكمة التاريخ بكل ما له وما عليه .

الرجل الذي استمتع بأكبر قدر من الاجلال وربما التقديس من مئات الآلاف من الأتباع والمريدين ، والذي استطاع ببساطته وحلو حديثه وقدرته على تناول الاشياء ــ كل الاشياء ــ تناولا وجدانيا صرفا ، ان يأسر هذه الالوف وان يستجمع بين يديه زمامها .. لا يرضى منها ولا تبخل عليه باقل من الولاء المطلق والطاعة الكاملة في المنشط والمكره .

المدرس البسيط ، الذي قفز يوما ما على مسرح الاحداث السياسية في مصر ليلعب ــ وبشكل مفاجيء ــ واحدا من ابرز واغرب الادوار ، وليتلاعب ــ او هكذا خيل اليه ــ بالكثير من القادة والزعماء والقوى ــ محاولا ايهام الجميع وربما ايهام نفسه بانه قد اصبح ممسكا أيضا بزمام هؤلاء قادرا على اللعب معهم والتلاعب بهم باقتدار ودهاء .

الشيخ .. الذي حظي بكل الحب من اتباعه ومريديه ، نال الكثير ، الكثير من الهجوم من خصومه السياسيين والفكريين .

وشتان ما بين «الإمام» «المرشد» «الرجل القرآني» «الرجل الرباني» وغيرها من عبارات التبجيل والتقديس وبين «حسن راسبوتين» و«الشيخ الدجال» وغيرها من عبارات التهجم السياسي التي ربما جاوزت الحد حتى بمعايير صحافة وتقاليد العمل السياسي في الاربعينات .

الان . . ـ وليس قبل ذلك ـ تكتمل دورة الحدث التاريخي، ينضج ، يعطي ثمارا ، يسترخي في رحم الحقيقة ، مكتسبا عمقه التاريخي ، ويصبح بامكان الباحث ان يقترب منه ، وان يحاول ان يدرسه او على الاقل ان يتفهمه .

وبالامس ـ ربما منذ بضع سنوات ـ كان الامر صعبا ، كان من الضروري للبحث مهما كان أكاديميا ان يختلط بوابل الانتقاد السياسي واللغو الاعلامي ولعله كان مهددا ايضا بافتقاده لعمقه التاريخي ولامتداده المستقبلي ، ولربما تهدده خطر تصور ان دعوة «الشيخ البنا» قد توارت تحت وطأة الضغط السياسي والبوليسي الى غير رجعة ، ولربما وقع الباحث في مخاطر استصدار أحكام عديدة مبنية على هذا الوهم .

الحدث التاريخي يكتمل ، ينشأ ، ينمو ، يقهر ، يخضع ، يخطىء ، يعود من جديد ، وهكذا يمكن للباحث ان يجد سبيله للبحث عن الحقيقة عبر كل هذه المنحنيات ، فبغير الغوص في المنحنيات المتعرجة صعودا وهبوطا ، وبغير البحث عن المتناقضات والسير بها ومعها عبر مسارات الصراع والصدام نشاطا وخمودا ، بغير هذا تبدو الحقائق مسطحة ، وما من حقائق مسطحة ، فالحقيقة ـ خاصة اذا ما كانت متعلقة بعمل سياسي فاعل ـ لا يمكنها مطلقا ان تكون بغير عمق . . ولا يمكن التوصل اليها عبر خط مباشر يصل بين نقطتين .

والآن . . وجماعة الاخوان المسلمين تعاود نشاطها وتصدر

ادبياتها وترفع اعلامها من جديد تبدو صورة «الإمام المرشد» مكتملة الابعاد التاريخية . وتبدو مغرية تماما للباحث الاكاديمي كي يحاول الاقتراب منها والتعرف عليها .

كيف ؟

ذلك هو السؤال الآخر !

فكيف لمثلي ان يقترب من هذا الموضوع الشائك ، فشبهة الخصومة السياسية واردة لا محالة ، بل لعلي لا اخفيها .

ولقد يتصور البعض ان واحدا من كتاب اليسار قد قرر ان ينصب مشنقة جديدة للامام الشهيد ، ولقد دفعني خوفي من مثل هذا التصور الخاطىء الى التردد في تناول هذا الموضوع .

ولعله دفعني الى تأجيل الخوض فيه مرة ومرات .

فعندما قررت اصدار سلسلة «قادة العمل السياسي في مصر» كانت الصورة المكتملة للشيخ البنا كموضوع تاريخي تلمع في مخيلتي ، لكن شبهة التحيز ابعدتني لبعض الوقت .

وتمضي الايام .. وتحمل معها جديدا في كل يوم يحفزني الى التفكير في هذا الموضوع .

على الاقل كان يتعين عليّ ، وعلى كل مشتغل بالسياسة او بالفكر او بالتاريخ ، او كل من يشغل باله وفكره مستقبل مصر وقدرتها على خلق فكر حضاري متطور يليق بنا كأكاديميين يعيشون الثلث الاخير من القرن العشرين اقول كان يتعين عليّ ان امعن فكري في ظاهرة «الاخوان المسلمين» وما انبتته في مصر من تيارات قد تكون امتدادا لها او تمردا عليها ، وفي ظاهرة «التعصب الديني» الآخذة في النمو المطرد خلافا لكل قوانين العصر ، ولكل منطق متعقل او عاقل .

على الاقل ، كانت تشدني الى هذا الموضوع تلك الاتجاهات

الجديدة بين الشباب ، وجماعات التكفير والهجرة وغيرها وعلاقة ذلك كله بالدعوة التي وهب الشيخ البنا حياته من اجلها .

من هو ؟ وما هي حقيقة اهدافه ؟ وما هي مسؤوليته عن كل ما حدث ، وعن كل ما يحدث ، وعن كل ما سيحدث ؟

مرة اخرى كيف ؟

كيف يمكن لمثلي ان يقتحم هذا الميدان الصعب وكل تنـــاول ايجابي سيعد تنازلا فكريا تجاه خصم سياسي وفكري عنيد ، وكل تناول سلبي سيعد قصاصا من خصم فكري وسياسي او تحاملا عليه .

ولست اسوق ذلك كله كي أخلي مسؤوليتي تجاه موضوع هو بذاته بالغ التعقيد ، فقط اريد للقارىء ان يثق بأنني سأبذل كل جهدي محاولا ان اتلمس طريقي نحو دراسة موضوعية تماما، فانا نفسي في أشد الحاجة الى هذه الموضوعيـــة في التنقيب والبحث والتقصي آملا ان اعثر على خيوط تقودني نحو فهـــم سليم لهذه الظاهرة .. فهم انا بحاجة اليه وبحاجة اكثر الى ان يكون صحيحا ودقيقا وموضوعيا وإلا اختلت موازين كثيرة في مواقفي تجاه تيار أعتقد بأهميته ، بقدر ما اعتقد بخطورته .

لـــماذا ؟

لماذا ؟ اذن يبدو هذا الموضوع ملحا الان .

قلت ان الموضوع التاريخي كائن حي ـ او هكـــذا اعتقد ـ فامتدادات الفكر الذي اجتهد الشيخ البنا في غرسه ، تتجدد الان بصورة ملحة ولعلها ايضا تتشعب بصورة تقلق اصدقـــاء الدعوة واعدائها معا ، فهي مع تشعبها تتخذ مسارات متطرفة بل وهوجاء في احيان كثيرة ، ومن ثم فان اية محاولة جادة لتفهم الامتدادات الحالية بتشعباتها وشظاياها تصبح مستحيلة بغـــير

القاء نظرة فاحصة الى عمق البئر الذي انزاحت من مياهه كل هذه الموجات جميعا .

وثمة لماذا اخرى تلح كي تفرض نفسها ؟

لماذا حسن البنا بالذات ..؟

لماذا الشخص وليس الجماعة ؟

ولست اريد ان اهرب الى الاجابة السهلة متعللا بان الكتاب هو مجرد حلقة في سلسلة من كتب عن قادة العمل السياسي وليس عن الجماعات والاحزاب السياسية .

فالاجابة الحقيقية هي ان حسن البنا لم يكن مجرد منشىء او مؤسس لجماعة ، ولم يكن مجرد قائد لها ، وواضع لكل لبناتها، ومحدد لادق معالم طريقها .. بل كان اكثر من ذلك بكثير بالنسبة للجماعة ولكل فرد من افرادها .

والامر يصعب تصويره ، فالولاء الصوفي للإمام او الشيخ يصعب تحديد حجمه ومغزاه كتابة مهما استطالت الاسطر ومهما استعارت كل المترادفات البلاغية ، ويصبح الامر اكثر تعقيدا عندما يختلط خضوع المريد لشيخه ، والتزامه بقسم البيعة ، بالطاعة الصماء ، التي تهدد الناكص عنها بالخروج - ليس فقط من ثياب عضو الجماعة او المريد - بل ومن ثياب المسلم ايضا .. عندما يتجمع الوجد والحب والخضوع المطلق والثقة الكاملة ليختلط بالعمل السياسي المليء بالمناورات والتقلبات .

هنا ترتبك المقاييس ويصبح الربان الديني - السياسي شخصية فريدة ويصبح اقتلاع ما هو شخصي مما هو جماعي امرا مستحيلا .

والغريب ان دراسة الجماعة وتاريخها اذا ما انحصرت في اطار بعيد عن الشيخ تصبح قاصرة وعاجزة عن الوفاء بفهم قد يكون اكثر تكاملا لو ان الاضواء ركزت على الشيخ الذي استجمع

بين انامله كل خيوط الجماعة واستطاع ان يحركها ويحرك معها قلوب مريديه باقتدار وبراعة .

والرحلة كلها ثلاث واربعون عاما لا تزيد (١٩٠٦ — ١٩٤٩) صعد فيها الشيخ الجبل .. واحتطب لنفسه ولجماعته كل ما تصور انها ، وانه ، بحاجة اليه من زاد لرحلة تخيل انها قادرة على تحقيق طموحه ، ذلك الطموح الذي لم يكن قاصرا على شخصيته او جماعته أو حتى وطنه بل امتد ليشمل كل مسلم في هذا العالم .. فالاسلام عند الشيخ وطن بل لعله الوطن الوحيد .

واحتطب الشيخ كثيرا من النجاحات والنفوذ وبدا كأن التيار يسايره ويسير وفق هواه ، لكنه احتطب شوكا كثيرا .. وكانت النهاية على يد قوى غامر معها ، ولمصلحتها متصورا انه يروضها لمصلحة الدعوة ، فاذا بها تستخدمه امدا ، وما ان بدت منه بوادر التمرد حتى انهالت عليه بالمطارق .. ثم اغتالته .

الرحلة جد قصيرة ، ثلاث وأربعون عاما ، لكنها حافلة ، وغنيه ، وتستحق كل لحظاتها أن تدرس بعناية وتأمل .

***

وتبقى ادوات الاستفهام تلح على الكاتب .

تبقى متى ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟ تثير العديد من موضوعات البحث . الشيخ والجماعة متى نهضا .. كيف حققا كل هذا النجاح ؟ ولماذا حققاه ولماذا كان الصعود والهبوط ؟

ادوات الاستفهام هذه ، هي عذاب الباحث ، تحيط به ، تمسك بتلابيبه ، ترغمه على محاولة الاحاطة بموضوع دراسته ، تجنبه التسطيح ، تدعوه الى المزيد من التردد قبل اصدار حكم ما .

ولا حيلة امام الباحث فأدوات الاستفهام هي سبيله نحو الفهم الصحيح .. وطريقه الى البحث الجاد ، وكلما أشعرته بالضيق من الحاحها كلما قادته للاقتراب من الحقيقة .

ولعلها ارقتني كثيرا في هذا الموضوع بالذات . ولعلي اكون قد أشبعت فضولها .

الفصل الاول

الصبي ... شيخاً

في السنوات الاولى من القرن العشرين ، كانت مصر تتثاءب ، وتوشك ان تتنفس بعد ماساة هزيمة العرابيين ، وباختصار .. كانت مصر تجد نفسها ، تحقق ذاتها ، او على الاقل تجد القدرة لكي تقرر ذلك .

وهكذا شهد مطلع القرن العشرين تحركا حضاريـــا عارما ، حاول اصحابه ـ كل في مجاله ـ ان يوقظ قطعة من الامل في وجدان هذا الشعب .

فالاحزاب السياسية ـ بمختلف اتجاهاتها ـ تتوالد سريعا ، وبكثرة : حزب الامة ، حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية ، الحزب الوطني ، الحزب الوطنـــــي الحر ، حزب المقاصــــــد

المشتركة .. الخ .

والصحافة تكاثرت وتنوعت ، والمسرح شهد هو الآخر ازدهارا ، والتعليم ارتبط في وجدان مصر بطموحها نحو الاستقلال ، فنهضت القوى الوطنية بحركة تأسيس «الجامعة الاهلية» وبحركة التعليم الليلي والحرفي .

والتنوير كمعركة ، وكطموح .. كان هو ايضا سبيلا اساسيا من سبل ايقاظ مصر ، وبدات عبارات مثل : حرية الفكر ، حرية التعبير والاعتقاد ، ترد على اللسان المصري ، ربما في تردد لكنها كانت ترد على اية حال .. ولعل شبلي شميل ، وهو واحد من رواد معركة التنوير ـ قد لخص طبيعة هذه المعركة في عبارة واحدة ، موجزة قاطعة .. «الحقيقة ان تقال ، لا ان تُعلم» . فالكثيرون يعرفون كيف يتلمسون طريقهم نحو الحقيقة لكنهم لا يعرفون كيف يفتحون فمهم بها ، خشية المجابهة مع القوى الرجعية ، وهي كثيرة وذات نفوذ .

وكانت مصر بحاجة الى «هزة» عنيفة كي تستيقظ ، وتخلع عن عينيها غشاوة الهزيمة والاستسلام اليائس ، ثم تنهض وتمضي من جديد .

وتقدم الكثيرون من المفكرين يحاولون الاسهام في إحداث «الهزة» في الوجدان المصري . يقول شبلي شميل تعقيبا على الضوضاء الفكرية التي تلت صدور كتابه «فلسفة النشوء والارتقاء» : «فهذه الرجة التي حصلت اليوم هي المقصودة مني في ذلك الحين ، لايقاظ الافكار من نومها العميق ، والحركة مهما كانت خير من السكون» (١) .

ولم يكن ذلك الرعيل من رواد حركة التنوير بواهم او بمبالغ في قدراته او في قدرات مصر ذلك الحين ، لكن هذه «الرجة» في الافكار كانت ضرورية ، هكذا يؤكد شبلي شميل «فما كنت أطمع بأن أرد الناس الى في هذا الزمن القصير ، وانا لا اجهل ما يحول دون ذلك من الصعوبات ، بل اني قصدت مباغتة الافكار للفتها الى غير مألوفها . وان كنت لا أجهل ان القاء حجر في المستنقعات الراكدة لا يقلق الضفادع المطمئنة .. الا اني لا أجهل ايضا فعل الخير المخمر ، فان أقل ما يعلق بالعقول حينئذ من أثر الافكار المخالفة ينمو فيها غالبا بسرعة الاختمار نفسه خصوصا اذا صادف استعدادا في النفوس كامنا فيها لكثرة البواعث الضاغطة عليه» (٢) .

.. وهكذا كان .

وإذ كان الحوار الفكري بين المتعلمين او مدعي العلم لا يزال منحصرا تماما في مجادلات سفسطائية تجاوزها الزمن من نوع «هل الارض كروية ؟.. وهل تدور ؟» يكتب يعقوب صروف في المقتطف قائلا : «ان موضع دوران الارض حول نفسها وحول الشمس صار أشهر من نار على علم وأوضح من الصبح لذي عينين ، وتحققت صحته لكل ذي عقل سليم يطالع ويفهم» (٣) لكن الدنيا تقوم لهذه الكلمات ولا تقعد .. فقد تصدى له رجال الدين معلنين تكفيره ومروقه ، وخاضوا ضده معارك قلمية وخطابية ، وجذبت هذه المعركة الكثير من الاطراف ، حاول بعضها دحض العلوم الحديثة اصلا باعتبارها «كفر وبهتان» ، وتبلور في المقابل تيار من المتعلمين أمثال عبد الله باشا فكري ومصطفى باشا رياض وعبد الله ابو السعود يحاول ان يدفع هذه الهجمة عن

---

٢ ــ المرجع السابق ، ص ٢٨ .

٣ ــ المقتطف ــ مجموعة عام ١٨٧٦ .

العلوم الحديثة ، ووجدوا ان السبيل الوحيد ، لذلك ــ كما يقول الاستاذ محمد عبد الغني حسن ــ هو «إحكام المناورة لتأييد قضية الموافقة بين العلم والدين حتى لا يتعطل ــ بحركة المحافظين ــ سير العلم الطبيعي وتقدمه في البلاد العربية التي كنت ولا تزال في اشد الحاجة اليه» (٤) .

.. وبينما «المحافظون» يشددون النكير على العلم الحديث وعلى حركة التنوير ، و«المعتدلون» يلجأون الى المناورة ، اذا بفارس يقتحم الميدان شاهرا سيفه ، ليقلب المائدة على الجميع.. طارحا للنقاش موضوعا جديدا تماما لعل مجرد ذكره كان كافيا لان يثير القشعريرة في ابدان المتزمتين والمعتدلين على السواء : «نظرية النشوء والارتقاء» .

وربما كان شبلي محقا عندما اكد ان الامر يحتاج الى «رجة» في الاذهان والعقول ، لكن الشجاعة الحقيقية تكمن في أن يتصدى هو لتحقيق هذه «الرجة» مقدما نفسه للقارىء قائلا «اليك أكتب ايها القارىء العاقل ، العاقل المتأمل ، وما اطلب منك علما واسعا وفلسفة بديعة وحكمة عميقة ، بل اطلب منك عقلا حلت قيوده ، وتفتحت منافذه واقام التفكير مقام الاعتقاد ، والبحث مقام المقرر ، يقدر مستنتجات العلم قدرها ، ولا يبخس مستنبطات العقل حقها » (٥) .

وعندما يصدر شميل كتابه «نظرية النشوء والارتقاء» يشهق الجميع فزعا من كتاب طبع منه خمسمائة نسخة فقط .. وتتركز هجمات الجميع ، المحافظون والمعتدلون معا ، ضد المؤلف الذي

---

٤ ــ محمد عبد الغني حسن ــ عبد الله فكري ــ سلسلة اعلام العرب ، ص ١٩ وما بعدها .

٥ ــ مجلة البصير ــ مجموعة عام ١٨٧٨ ــ مقال «القضاء على القضاء» .

استمر مصمما على مواصلة اقلاق ساكني مياه المستنقعـــات الراكدة ، لكن شميل يرد عليهم في هدوء «لست أخشى تخطئة الناس لي اذا كنت اعرفني مصيبا : ولا يسرني تصويبهم لي اذا كنت اعرفني مخطئا» بل هو يواصل تحديه مؤكدا ان الامر ليس مجرد طرح نظرية عن التطور ولكن «القول بمذهب النشوء يستلزم بالضرورة القول بمادية الكون» (٦) .

.. ومرة ثانية يشهق المحافظون والمعتدلون فزعا .

وتحدث «الرجة» المطلوبة ، ويواكبها مفكرون كثيرون : فرح انطون في مجلة «الجامعة» ، سلامة موسى بجهوده المتعـــددة الجوانب ، مصطفى حسنين المنصوري بكتاباته المستنيرة عـــن الاشتراكية .. وغيرهم .

والهدف واضح .. ان يشرق على مصر مطلع القرن العشرين عصر تنوير جديد . ان تقال «الحقيقة» ، أن يقف المفكر والعالم والمثقف والكاتبمن الحضارة والمجتمع والفلسفات والتقاليد موقفا انتقاديا دون ان يتحسس رقبته مع كل كلمة يقولها .

ويتصدى البعض من رجال الدين لحركة التنويـــر هذه .. وتشهد مصر حركة ارهاب فكري مخيفة ، تناثرت فيها الاتهامات بالكفر والالحاد ، واصبح التكفير هو السلاح الاساسي لارهـــاب كل من يفتح فمه بكلمة جديدة ، او يحاول ذلك ، ثم تتصاعـــد الحملة الشرسة لتصل الى اسوأ مراحلها عندما تنتهز فرصة ان بعض دعاة حركة التنوير كانوا أقباطا (سلامة موسى) او مسيحيين شواما (شبلي شميل ـ فرح انطون ـ نقولا الحداد) لتلجأ ـ وبايعاز من الحاكم الماكر كرومر ـ الى شعارات الفتنة الطائفيـــــة بين المسلمين والاقباط من ناحية وبين المسلمين والمسيحيين الشوام من ناحية اخرى .

---

٦ ـ د. شبلي شميل . فلسفة النشوء والارتقاء ـ المرجع السابق ص٢٧ .

وتعود مصر لتسمع أصواتا خانقة تتبادل الهجوم على الاديان، والطعن على معتنقيها .

وتوشك ارهاصة التنوير ان تختنق ، وأن تقع فريسة للمخطط الاحتلالي الرجعي ، عندما تتصاعد حملات الهجوم الديني المتبادل اثر اغتيال الورداني لبطرس غالي باشا ، ويحاول المتعصبون تحويل الامر من مجرد قيام وطني يسلك مسلك الارهاب باغتيال رئيس للوزراء يسلك مسلك الخيانة ، الى قيام مسلم بقتل قبطي .

وينفخ بعض رجال الدين من المسلمين والاقباط معا في نيران الفتنة فهم المستفيدون اولا وأخيرا ، والضحية اولا وأخيرا هي معركة «التنوير» التي كانوا يخشونها خشية الموت . وفي مجابهة الخطر يتقدم دعاة التنوير خطوة في الهجوم ، وكتب شميل «فنرى مما تقدم ان الدين نفسه ليس العقبة الحقيقية في سبيل العمران ، بل رجال الدين انفسهم» (٧) . ويمضي شميل في هجومه عنيفا «ولكن الاديان تتحول من النفع العام حتى تصير وسائل للكسب في يد اولئك الذين اتخذوها تجارة لجذب الدنيا ولو بالقضاء على الانسان» ، ويركز عنفه ضد «رؤساء الاديان من كل دين وملة ، الذين علموا الناس حتى اليوم غير ما تأمرهم به الاديان وكم قاموا يبيعون دينهم بدانق وفرطوا بمال الايتام ، وكم خدموا به أغراض عتاة حكامهم ليقتسموا معهم، ولو داسوا الدين بالأقدام» . والادانة من جانب شميل موجهة لدعاة الفتنة الطائفية من الجانبين «يا مقلنسي الجهل ومعممي الضلال اين رأيتم في اديانكم ما يسمح لكم بأن تزرعوا رؤوس اتباعكم الجاهلين التفريق

---

٧ ـ د. شبلي شميل ـ الجزء الثاني من مجموعة كتاباته ـ مطبعة المعارف ـ (١٩٠٨) ص ٦٢ .

بين الناس الى حد التباغض» ، بل هو يمضي في هجومه الى ما هو أشد «فلو قامت الانسانية في كل الدنيا ونسرت لحم رؤساء الاديان ـ الذين هم وحدهم المسؤولون عن كل الفظائع التـــي ارتكبت ولا تزال ترتكب باسم الدين ـ نسرة نسرة لما وفت حق الانتقام لما جنوه اليوم على الانسان» (٨) .

ولم تكن المعركة معركة شميل وحده ، بل معركة تيار متكامل يدعو للتنوير وللعقل .

فهناك كتابات ولي الدين يكن التي سارت على نفس النهج ، والتي حظيت بنفس القدر من الهجوم العنيف من رجال الدين .. يقول ولي الدين يكن «ان العامة تحب الشيء اذا احببه اليهـــا زعماؤها ، وتبغضه اذا بغضه اليها زعماؤها .. وزعماء العامـة عندنا رجال الدين ، وهؤلاء لا يرغبهم في الشورى شيء مما هم منقطعون اليه .. فهم يحبون ان يظلوا محتكمين على الرقاب ، وان يبقوا عيالا على الامة ، وأن يلثـــم الناس أيديهم ويمـــلأوا أكياسهم » (٩) .

وعندما يتعرض الشيخ جميل الزهاوي لاضطهاد حاكم العراق لانه دعا الى تحرير المراة ونزع حجابها يكتب ولي الدين يكن .. «وبعد فيا ايها المسلمون .. انا مسلم مثلكـــم .. يحزنـنـــي خسرانكم ، ويشركني معكم مصرعكم ان هؤلاء الرجال الذين اثقلت هاماتهم العمائم اكثرهم لا يعقلون .. كان السلطان عبد الحميـد يقتل الناس وينفيهم وينهب الخزائن .. وكل هذا حرام فـــي دينكم فما قام في وجهه واحد منهم ناصحا او رادعا .. ولكنهم اليوم وقد وسعتهم بلاد الحرية يكرهون ان يـــروا حرا يتكلم ، فهم يهاجمون كل من لا يكون من فريقهم .. يملأون الدنيا صخبا

---

٨ ـ الاخبار ـ مجموعة عام ١٩٠٩ ـ مقال ضحايا الجهل .

٩ ـ ولي الدين يكن .. المعلوم والمجهول . الجزء الثاني ، ص ١٥٩ .

وضجة .. يكفرون الساعل والماخط والآكل والشارب ، حتى لقد زهدونا بالحياة وهم اشد الناس بها تعلقا ، فلا تجعلوا لهم سلطانا عليكم فيكسبوا من خسرانكم ويسعدوا بشقائكم وأنتم لا تعلمون » (١٠) .

ولعل هذه النماذج تكفي لتبين شراسة المعركة وعنفها ، ولعلنا لسنا بحاجة الى ان نوضح ان رجال الدين من الطرفين المسلم والمسيحي قد جاوبوا هذا الهجوم بما هو أعنف وأشد ، ولعل الخاسر في هذه المعركة الضارية كانت حركة التنوير .. ومصر، ولعل الخسارة قد لامست الدين ذاته حيث صمم البعض من رجاله أن يضعوه ـ اعتسافا ـ في مواجهة كل جديد ، وكل عقلاني ، وكل علمي .

والمشكلة الحقيقية ان دعاة التنوير كانوا يجابهون وهم يخوضون معركتهم هذه سيلا متراكما من الكتابات «السلفية» ألتي تحيل الدين الى اساطير تسحق كل ما في العقل من قدرة على الفهم ، وتحبط كل ما فيه من وعي أو علم .

الشيخ محمود الشرقاوي يكتب مستجيرا (١١) .. « اي شقاء فكري وروحي يجده دعاة التقدمية الفكرية في عالمنا العربي عندما يرون في بعض الكتب التي يطالعها الناس ويتناقلون ما فيها .. أن «نوحا» بنى سفينة من عظام حيوان يبلغ طوله مسافة ما بين السماء والارض ويبلغ عرضه مسيرة عام كامل ؟ واي شقاء للروح والعقل اكثر من ان يقرأ دعاة التقدمية في الفكر الديني ما يقرؤه الناس في عالمنا العربي كله ، فيجدون في كتاب من كتب التفسير للقرآن الكريم «حديثا» منسوبا لحذيفة ، ومرفوعا للنبي

---

١٠ ـ ولي الدين يكن ـ التجاريب . ص ٢٣ .

١١ ـ مجلة الهلال ـ مجموعة ١٩٠٨ .

عليه الصلاة والسلام يقول «ان ياجوج وماجوج امة ، وكل امـة اربعمائة امة ، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح ، وهم من ولد آدم يسيرون فـي خراب الارض .. وهم ثلاثة اصناف : صنف مثل شجرة الارز ، وصنف طوله وعرضه سواء عشرون ومائة ، وهؤلاء لا تقوم لهـم الجبال ولا الحديد ، وصنف منهم يفرش احدى أذنيه ويلتحف بالاخرى ، لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه ، ومن مات منهم أكلوه ، مقدمتهم بالشام وساقتهم في خراسان يشربون آبار الارض وبحيرة طبريا ، ومنهم من تنبت له مخالب في اظفارهم ، واضراسهم كأضراس السباع» (١٢) .

ولكنه دين قد اردت صلاحه . احاذر ان تقضي عليه العمائم

وهكذا تخطى الامر دعاة احداث «الرجة» في وجدان الامـة وامتد حتى الى الشعراء الوادعين المعتدلين .

وعلى اية حال ، فلم تمض سوى سنوات قلائل حتى توجـه سهام الرجعيين الى صدور ازهريين اصلاء يتهمون لمجرد دعوتهم للتجديد والتنوير وأعمال العقل بالالحاد والمروق .. الشيخ علي عبد الرازق بسبب كتابه «الاسلام واصول الحكم» ، والشيخ طه حسين لانه عني «بتطبيق منهج الشك الديكارتي على دراستـه للادب العربي ، ولم يتردد في أن يتشكك في أصالة الشعـر الجاهلي ، بل وفي ان ينشر الشكوك حول بعض المسلمات الدينية وذلك في كتابه «في الشعر الجاهلـي» الذي اصدره عـام ١٩٢٦» (١٣) . وخرجت مظاهرات الازهريين الغاضبـة تطالب

---

١٢ ــ تفسير الخطيب الشربيني . الجزء الثاني . ص ٣٢٨ ــ ٣٣١ .

١٣ ــ مارسيل كولومب . تطور مصر ١٩٢٤ ــ ١٩٥٠ ــ ترجمة زهـير الشايب (١٩٧٢) ص ١٥٩ .

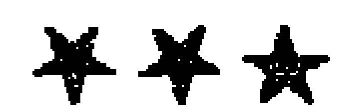
براس الشيخ وبحرق كتابه ، ولعل المظاهرات كانت من العنف بحيث اضطر زعيم مستنير كسعد زغلول ان يتراجع امامها فيقول في محاولة لتهدئتها «هبوا ان رجلا مجنونا يهذي في الطريق فهل يضير العقلاء شيء من ذلك» (١٤) .

ولكم كان الامر قاسيا على طه حسين ان لا يجد الزعيم سبيلا لانقاذ راسه من مقصلة المتعصبين الا الدفع بجنونه .

وهكذا تقف الحركتان وجها لوجه .

وذلك رغم انه قد ظهر في الميدان فارس جديد .. يفهم الدين فهما صحيحا وعميقا ، ويقدر للتنوير اهميته وضرورته ويحاول ان يمزج بين الاثنين مقدما لمصر صيغة جديدة للانطلاق ، ذلك الفارس هو الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، الذي كان «ابدا داع الى ان العقل يجب ان يحكم كما يحكم الدين ، فالدين عرف بالعقل ولا بد من اجتهاد يعتمد على الدين وعلى العقل معا حتى يستطيع المسلمون ان يواجهوا الاوضاع الجديدة في المدنية الحديثة مقتبسين منها ما يفيد وينفع ، واذا كان المسلمون لا يستطيعون ان يعيشوا في عزلة فلا بد لهم ان يتسلحوا بما يتسلح به غيرهم واكبر سلاح في الدنيا هو العلم» (١٥) .

.. وما يهمنا من ذلك كله هو محاولة تقديم جانب من صورة المناخ الفكري والعقلي الذي نشأ فيه الفتى حسن احمد عبد الرحمن البنا «الساعاتي» .



---

١٤ ــ الكاتب .. يناير ١٩٧٤ ــ مقال صلاح عيسى ــ طه حسين ومحنة العقلانية في مصر .

١٥ ــ الاخبار ــ ٢٧ ــ ٢ ــ ١٩٧٣ . مقال الشيخ احمد حسن الباقوري . هذا الرجل لماذا يظل هدفا للمهاجمين ؟

وبينما كانت مصر تحاول ان تجد ذاتها .. واذ ترتفع صيحة «تحيا مصر» وشعار «مصر للمصريين» يكـــون من الغريب ان يستقبل بعض المتدينين ورجال الدين هذه الصيحة بالنفـــور والغضب . اذ اعتقدوا ان «المصرية» هي نقيض «الاسلامية» ، وان استقلال مصر هو مجرد مؤامرة ملحدة ضد الباب العالـــي العثماني حامي حمى الاسلام والمسلمين .

وحتى في صفوف الحزب الوطني اكثر التجمعات المصريـــة راديكالية كانت مسألة «الخلافةالاسلامية» وتناقضها مع «المصرية» مسألة ملحة .. وفاعلة بل وتوشك ان تقسم الحزب ذاته .

وفي البداية كان مصطفى كامل يؤمل في المناورة بين السلطان العثماني والانجليز محاولا ان يكسب شيئا لوطنه .. وكان يؤكد انه «ما دامت الدولة العلية قوية سليمة دام أمل المصريين فـــي الخلاص كبيرا عظيما» (١٦) .

لكنه ما لبث ان ادرك وبوضوح ان استقلال مصر يعني انتزاع حريتها ومقدراتها من الخليفة العثماني ومن الانجليز معا ، فصاح بأعلى صوته «رمانا الطاعنون بأننا نريد ان نخرج الانجليز من مصر لنعطيها لتركيا ، وما هذه التهمة الا تصريح بأن معرفتنا لحقوق الامم وواجباتها لم ترشحنا الا ان نكون عبيدا أرقاء ، فليعلـــم اعداء مصر اننا نطلب لها الاستقلال ، ونطلب لها الاستقلال بأعلى اصواتنا وعلى مسمع من أمم الارض كلها» (١٧) .

لكن الشيخ عبد العزيز جاويش احد اقطاب الحزب ، ورئيس تحرير مجلته لفترة طويلة ، كان يرى رأيا آخر اذ كان يؤكد في

---

16 — Kamel, M. Egyptiens et Anglais - Paris, 2em edition (1906) pp. 181.

١٧ ــ علي فهمي كامل ــ سيرة مصطفى كامل . الجزء الاول . ص ٢٧٨ .

حسم انه «لا وطنية في الاسلام» ويتمسك بشعار «الجامعة الاسلامية» وهو اتجاه ينادي بحق الامة المصرية في الحرية والدستور والجلاء في ظل وحدة العالم الاسلامي ممثل في الدولة العثمانية التي يتعين الحفاظ على وحدتها ومقاومة تمزيقها ، فان في تمزيقها ضياع الوطن كله» (١٨) .

وكان الحزب الوطني يعاني كثيرا من هذا التمزق .. بل كانت دعوة الشيخ جاويش هذه خليقة بأن تفقد الحزب تأييد عناصر كثيرة (١٩) . وكان محمد فريد خليفة مصطفى كامل يقاوم هذه الدعوة وينقدها نقدا شديدا ، وهو يشير في مذكراته الى الشيخ جاويش قائلا : «ان حبه للدولة العثمانية أدى به الى نسيان مصر ومصالحها ، فأصبح يقول ان مصر للمسلمين لا للمصريين وقد وصلت الحالة بالشيخ جاويش الى ان ينصحني بعدم حمل الدبوس الذي عملناه في جنيف والمكتوب عليه مصر للمصريين والذي قررنا ان يكون شعار المصريين المخلصين ، وقال ان منظره في صدري وصدر اخواني يغيظ العثمانيين ، كما تغيظهم محافظتي على قومية مصر» (٢٠) .

وفي موضع آخر من مذكراته يقول محمد فريد : «ان جاويش لم يزل يحارب فكرة الوطنية في الاسلام ، وقد قال اخيرا في برلين لاحمد بك ان يقلع عن فكرة الوطنية او الجنسية المصرية قائلا انه لا وطنية في الإسلام» (٢١) .

---

١٨ ــ انور الجندي ــ عبد العزيز جاويش . ص ٨٣ .

19 — Ahmed J. The Intellectual Origins of Egyptian Nationalism, Oxford. (1960) p. 78.

٢٠ ــ محمد صبيح . مواقف حاسمة في تاريخ القومية العربية ــ ص٣٨٩ .

٢١ ــ المرجع السابق .

ولا تبدو افكار الشيخ جاويش بعيدة عن كلمات كتبها الشيخ حسن البنا بعد قرابة الربع قرن .. «ان كل قطعة ارض ارتفعت فيها راية الاسلام هي وطن لكل مسلم يحتفظ به ، ويعمل له ، ويجاهد في سبيله» (٢٢) .

وعندما قام كمال اتاتورك بثورته ، فانه لم يهز عرش السلطان الفاسد فحسب ، بل هز وجدان الكثيرين ممن تعلقت ابصارهم وآمالهم بالخلافة العثمانية كحصن اول وأخير للمسلمين .

واذا كان بعض الكتاب قد المح الى ان انهاء الخلافة العثمانية قد مكن الكثيرين من دعاة التجديد والاصلاح من محاولة تقديم فهم اسلامي اصلاحي ، ومكن بعض رجال الدين من مزج «العقيدة الدينية بالفكرة الوطنية ، ومن ان يعبروا عن دعوتهم الى الاصلاح بعبارات اكثر وضوحا وصراحة عن ذي قبل» (٢٣) ؛ والمح آخر الى ان انهيار الخلافة العثمانية «قد دمر الاسس الواقعية والجغرافية للجامعة الاسلامية وشجع النزعات الوطنية والقومية» (٢٤) بل وشجع الى حد ما ولمرحلة معينة النزعات العلمانية ودفعها الى السطح (٢٥) . فان انهيار الخلافة قد اوجد لدى البعض نزوعا للعمل الدائب دعوة لها والامل الذي لا يخبو في استعادتها .

وقد احاطت بالدعوة الى الخلافة شبهات موضوعية تتعلق بطموح الملك فؤاد وحاشيته من شيوخ الازهر .. الامر الذي دفع

---

٢٢ ـ حسن البنا ـ قومية الاسلام (مقال) .

23 — Khadduri, M. Political Trends in the Arab World, London (1972) p. 55.

24 — Berger, M. The Arab world Today, New York (1964) pp. 318.

25 — Khadduri, Ibid. p. 70.

احد كبار شيوخ الازهر وهو الشيخ الاحمدي الظواهري الى ان يقول «لم يكن التمهيد لانعقاد مؤتمر الخلافة بالقاهـــرة يحضره مندوبون من جميع الامم الاسلامية امرا بسيطا هينا كما ظن علماء الازهر في بادىء الامر . فقد امتد زمن الدعوة اليه من عام ١٩٢٤ الى عام ١٩٢٦ .. اما سبب التأخير فيرجع الى ابه قـــد دخلت نفوس بعض كبار المسلمين وامرائهم في الامم الاسلامية الاخرى شكوك من جهة مصر ، فقد ظنوا ان علماء الازهر انما يقصدون من مؤتمر القاهرة الذي يدعون اليه امرا آخر له باطن غير ظاهره، وانهم انما يثيرون مسألة حماية الخلافة لا خوفا على الخلافـــة واشفاقا على كلمة الاسلام كما يدعون بل لغرض آخر في فؤاد ام موسى هو نقل الخلافة من شاطىء البوسفور الى شاطىء النيل وضم اريكة الخلافة الى اريكة الملك في عابدين» (٢٦) .

ويمضي الشيخ الظواهري «ومن اجل ذلك كانت اجابـــات دول الاسلام على دعوة علماء الازهر لعقد مؤتمر في القاهـــرة اجابات فاترة، وكان معظمها استفسارا عن مرامي المؤتمر وغاياته، ومن الذي يراد تنصيبه خليفة بدلا من الخليفـــة المعزول» (٢٧) وينعقد مؤتمر الخلافة ليفشل .. وليقرر المجتمعـــون انه ليس بامكانهم «وهم اقلية بين شعوب الاسلام ان يتخذوا قرارا في شأن يهم المسلمين جميعا» (٢٨) .

وتكون قصة الخلافة سببا في معركة ضارية خاضها شيوخ ازهريون ضد شيخ ازهري . ففي ابريل ١٩٢٥ اصدر الشيخ علي عبد الرازق القاضي الشرعي بمحكمة المنصورة كتابه الشهـــير

---

٢٦ ــ من مذكرات شيخ الاسلام الظواهري ــ السياسة والازهر ــ مطبعة الاعتماد (١٩٤٥) ص ٢١١ .

٢٧ ــ المرجع السابق . ص ١٢٣ .

٢٨ ــ المرجع السابق . ص ٢١٧ .

«الاسلام واصول الحكم» مؤكدا ان مبدأ فصل الدين عن الدولة يتطابق مع تعاليم القرآن والسنّة ، وأن الدين هو في جوهره روحي خالص ليست له اية علاقة بالسلطة السياسية ، كما انه مجرد من السلطة التنفيذية الزمنية ، ويرى ان مبدأ الخلافة لا يرتكز لا على القرآن الذي لم يشر اليه على الاطلاق ولا على اجماع صحابة الرسول ، فقد كانت رسالة محمد دينية قبل كل شيء ، وظلت بعيدة عن اي شكل من أشكال الحكم وعن اية سلطة تنفيذية (٢٩) .

وكان نصيب الشيخ ردا على كتابه هو ما نعرف من كل الاتهامات المقررة على كل داع للتجديد ، وهي اتهامات أقلها المروق والكفر والالحاد .. وقرار من هيئة كبار العلماء «حكمنا نحن شيخ الازهر باجماع اربعة وعشرين عالما معنا من هيئة العلماء باخراج الشيخ علي عبد الرازق احد علماء الازهر والقاضي الشرعي .. ومؤلف كتاب الاسلام واصول الحكم من زمرة العلماء . تعلن الاسباب بعد اعدادها فيما بعد » (٣٠) .

.. وتظل فكرة الخلافة حلما يداعب خيالات الكثيرين ، ليس فقط ذلك الملك الساذج القابع في قصر عابدين تحت رعاية المحتلين ، ولا من تبعه من شيوخ الازهر الذين غذوا أحلامه بأن يرث عرش الخلافة المنيع ، وانما ايضا بعض الدعاة المخلصين للاسلامية ، والذين تعلقت أبصارهم بفكرة «الخلافة» و«الجامعة الاسلامية» مؤمنين بأن الاسلام بذاته وطن ، وانه لا نجاة للمسلمين بغير خليفة لهم جميعا .

---

٢٩ ـ علي عبد الرازق ـ الاسلام واصول الحكم ـ القاهرة (١٩٢٥) .

٣٠ ـ آخر ساعة . مجموعة عام ١٩٧٠ . مقال محمود عوض : اتهام ملكي للشيخ بالالحاد .

ذلك ان الاسلام كعقيدة هو في نظر البعض «محتوى سياسي» و«المجتمع الاسلامي هو ذاته الكومنولث الاسلامي (اي مجموعة الشعوب المسلمة) ، والامة الاسلامية هي ايضا تكوين سياسي متكامل» (٣١) .

.. وتكون هذه الصراعات ـ بالضرورة ـ واحدة من مكونات المناخ الفكري الذي عاشه الفتى حسن البنا .

***

.. وكان هناك ايضا «التبشير» وجماعاته التي تناثرت في اماكن عديدة من مصر ..

.. ولقد قيل عن هذا الموضوع كلام كثير لعل اكثره صحة هو ان التبشير لم يكن اكثر من لعبة استعمارية تستهدف استفزاز المشاعر الاسلامية وحرفها عن مسارات الكفاح الطبيعي لتحرير الوطن ، الى مسارات تستهلك قواها في صراعات داخلية تبعد القتال عن مساره الطبيعي ضد الاستعمار .

وعلى اية حال فقد حدث «في نهاية العشرينات ان استفز النشاط التبشيري مشاعر المسلمين في مصر وكان لحوادث الغواية عن الدين ولحوادث نقد الاسلام في محاضرات بعض المبشرين وكتبهم وقع عنيف» (٣٢) .

كذلك فقد تواترت محاولات بعثات التبشير في «خلق اقليات

---

31 — Von Grunebaum, Modern Islam, The Search for Cultural Identity, New York, p. 65.

٣٢ ـ طارق البشري ـ الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٧٢) ص ٢٣٦ .

دينية مصنوعة ، واستهدف الاستعمار بذلك ان يحيل الاقلية الدينية الى رأس رمح يوجه الى الحركة الشعبية ، وأن يثير لدى الاغلبية رد فعل دينيا متطرفا يرتد بها الى مواقف الرجعية ، ويرد الحركة الوطنية ضد الاستعمار الى حركات طائفية ومتعصبة» (٣٣) .

وقد كان ..

اذ تتالت ردود الفعل باتجاه طائفي ومتعصب وتوترت مشاعر الكثيرين وضخمت نتائج عمليات التبشير بصورة مبالغ فيها ، الأمر الذي يعني ان الهدف الحقيقي من التبشير قد تحقق، فلسنا نظن ان احدا كان من السذاجة بحيث تصور ان التبشير كان خطة عملية او منطقية تستهدف استقطاب أفراد من المسلمين باتجاه الديانة المسيحية .

فلا التجربة العملية ، ولا الواقع الموضوعي ، ولا الارقام الفعلية ، لا شيء من ذلك كله كان يشير مجرد اشارة لاي احتمال لنجاح حملات التبشير من هذه الزاوية .

ولعله من الضروري ان نؤكد هنا ان غالبية عمليات التبشير كانت بعيدة تماما عن الكنيسة المصرية وانما ارتبطت اساسا بجماعات من البروتستانت ذوي العلاقات المشبوهة بالقوى الاجنبية .

وعلى اية حال فقد كانت حملات التبشير وردود فعلها بما يمكن ان يسمى التبشير المضاد سمة من سمات هذه الفترة ، ومكونا من مكونات فكر قطاعات من المسلمين المتشددين ، واذا كان البعض مثل حزب الوفد وغيره فهم أبعاد اللعبة وردها الى صاحبها الطبيعي وهو الاستعمار ولجأ الى مقاومتها «وبكفاءة عالية بالدعوة

---

٣٣ ـ المرجع السابق . ص ٢٥٠ .

الى وحدة عنصري الامة» (٢٤) فان البعض الآخر قد اتخذ منها ذريعة للهجوم على المسيحية بما يعمق الخلاف ويوسع الهوة. ويخلق المناخ اللازم للتعصب الديني .. وهكذا فان هذا البعض الذي وقع في وهدة التبشير المضاد ، يكون قد حقق - ايا كانت نواياه - مطامح الاستعمار .

★ ★ ★

وفي خضم ذلك كله كانت تنمو فكرة التناقض بين الحضارتين الشرقية والغربية ، وكان البعض يثير هذا التناقض من منطلق وطني ، والبعض يثيره من منطلق اسلامي .

هكذا «الميكادو» قد علمنا .

ان نجعل الاوطان اما وابا

.. انه فهم التيار الوطني الذي يرفض «الغرب» ويتطلع شرقا نحو حضارة تحقق الطموح الوطني من خلال معطيات شرقية ، كذلك كانت حركة «مصر الفتاة» تستلهم في مطلع الثلاثينات نهضة اليابان كنموذج للنهضة الشرقية المرجوة ومن منطلق معاد للاستعمار عموما .

اما التيارات الاسلامية فقد كانت ترى «الشرقية» كدعوة ذات طابع ومنطلق ديني ، يستهدف حشد جهود مسلمي الشرق ضد الدعاوي الغربية ومظاهر الحضارة الغربية .. «كانت الاسلامية بالنسبة للشيخ حسن البنا طريقا للوصول الى الامم الآسيوية المسلمة ، وكانت تتمثل قول كبلنج «الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا» (٣٥)» .

---

٣٤ - المرجع السابق . ص ٢٥١ .

٣٥ - محمد شوقي زكي - الاخوان المسلمون والمجتمع المصري - القاهرة (١٩٥٤) ص ٦٠ .

وكانت «الشرقية» بالنسبة للتيارات الاسلامية مدخـلا او مخرجا يتيح الهجوم على الغرب ، وعلى كل ما هو غربي سواء في ميادين الفكر او الحضارة او الثقافة او غيرها .

وكانت هذه التيارات ترى «انه لا خلاص للعرب والمسلمين، ولا فرصة امام الشرق كي يحترم نفسه ما لم يتخلص من كـل معطيات الحضارة الغربية ، وان يعتمد على نفسه وعلى رحمة الله الواسعة ، وبذلك يمكن للمسلمين ان يقاوموا الافكار الغربية لانهم ليسوا في حاجة اليها» (٣٦) .

ويواكب حسن البنا هذا التيار فيقول : «ان المدنية الغربية التي تتباهى بعلومها والتي استطاعت ان تسيطر علـى العالم ، تعاني الان من الافلاس والانهيار ذلك ان اسسها السياسية قد انهارت تحت وطأة الديكتاتورية ، وانظمتها الاقتصادية تتداعـى بفعل الازمة ، وكيانها الاجتماعي يتآكل ، والناس هناك يسيطـر عليهم الطمع والقهر» .. ويؤكد حسن البنا «لقد بدأت قيـادة العالم شرقية ، ثم اصبحت غربية ، وها قد حان الحين لينهض الشرق من جديد» (٣٧) .

وهكذا تختلط ــ وربما عن عمـد ــ فكرة «الشرقيـة» بالاسلامية ، كسبيل للهجوم على الغرب من منطلق غير صحي وغير صحيح .. فهو هجوم لا ينبعث من فهم واضح لمعنى الاستعمار، ولا يقود الى اسلوب محدد لمجابهته .. فالاستعمار هو مجـرد «صليبية ــ اوربية» (٣٨) و«استعمار مسيحي» بل ان كاتبا اسلاميا

---

36 — Mitchell, R. The Society of Muslim Borthers - Oxford - London (1969) p. 99.

٣٧ ــ حسن البنا ــ الرسائل الثلاث ، ص ٨٧ وما بعدها .

٣٨ ــ الشهاب ــ ١٤ نوفمبر ١٩٤٧ .

شهيرا يؤكد ان جوهر الصراع مع الاستعمار هو صراع «صليبي وليس اقتصادي أو مالي او سياسي» (٣٩) .

ومن ثم فان الهجوم على الغرب قد اتخذ منحا غريبا اذ تحول الى الهجوم على كل من ينهل من ثقافة الغرب وعلومه او يدعو للتنوير مستفيدا من معطيات حركة التنوير الغربية . وتوجه السهام الحادة الى شخصيات اسلامية مثل طه حسين والشيخ علي عبد الرازق والشيخ خالد محمد خالد متهمة اياهم بأنهم «خضعوا بوعي او بغير وعي لغواية الثقافة الغربية الاستعمارية»(٤٠) .

وهكذا فهمت «الشرقية» على وجهين ، واستخدمت كسلاح ذي حدين لكنها كانت وفي ذلك الحين عنصراً فاعلا في تكوين المناخ الفكري العام ، الى درجة تمكنها من ان تؤثر بلا شك في وجدان ومشاعر ومنطلقات شاب سياسي ومتدين مثل حسن البنا .

★★★

وللسلفية والتجديد قصة تستحق وقفة هي الاخرى .. قصة تركزت حول موضوع الدين وتحديات العصر .

وكانت هذه القضية هي الشغل الشاغل لمصر .. لمجدديها وسلفييها ، ثوارها ومعتدليها ورجعييها ، وعلمائها ومفكريها ورجال الدين فيها ، وذلك طوال الفترة من نهايات القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين .

وكانت العلاقة الشائكة والحتمية بين الدين وتحديات العصر تتبلور — في كثير من الاحيان — في موضعين .. العدالة الاجتماعية والموقف من العقل ومنجزات العلم الحديث .

---

٣٩ — سيد قطب — العدالة الاجتماعية في الاسلام . الطبعة الثالثة .

٤٠ — سيد قطب — من هنا نعلم . الطبعة الرابعة ١٩٥٤ .

والحقيقة ان الاسلام بطبيعته ، وبطبيعة الوضع الطبقي لشيوخه قد استطاع ان يجد حلا لمسألة العلاقة بين الدين والعدل الاجتماعي .

كان رفاعة الطهطاوي والافغاني والكواكبي رواد هذه المعركة على ارض مصر .

الطهطاوي في كتابه الرائع «مناهج الالباب المصرية في مباهج الآداب العصرية» كان يصيح بأعلى صوته «الارض للزراعيين» ويقول «ان الفضائل جميعا تعود الى اصل واحد هو العدل العمومي والانصاف المشترك» (٤١) وهو ينتقد الملاك لانهم يتمتعون «في العادة بالمتحصل من العمل ، ولا يدفعون نظير العمل الجسيم الا المقدار اليسير الذي لا يكافىء العمل» (٤٢) .

ويأتي بعده الافغاني لترتفع صيحته اكثر فأكثر ولتتخذ ثوبا واضحا تماما «اما الاشتراكية في الاسلام فهي ملتحمة مع الدين الاسلامي» و«اول من عمل بالاشتراكية بعد التدين بالاسلام هم اكابر الخلفاء من الصحابة» ، وهو يقدم تعريفا شاملا وتقدميا للاشتراكية « فالاشتراكية هي التي ستؤدي حقا مهضوما لاكثرية من الشعب العامل» .

وتكون صيحة الشيخ الكواكبي ، اعلى هي الاخرى .. «ان النظام الطبيعي في كل الحيوانات ان النوع الواحد منها لا يأكل بعضه بعضا والانسان يأكل الانسان ، ومن غريزتها ان تلتمس الرزق من الله اي مورده الطبيعي والانسان حريص على التماسه

---

٤١ ـ رفاعة الطهطاوي . مناهج الالباب المصرية في مباهج الآدابالعصرية ـ لطبعة الثانية ـ ص ١٣١ .

٤٢ ـ المرجع السابق ـ ص ٩٣ .

من اخيه» (٤٣) .

ثم ان الكواكبي يمجد العلم والعلوم العقلية «فالمستبد لا يخاف من العلوم الدينية المتعلقة بالمعاد لاعتقاده انها لا ترفع غباوة ولا تزيل غشاوة وانما يتلهى بها المتهوسون .. لكن ترتعد فرائص المستبد من علوم الحياة مثل الحكمة النظرية والفلسفة العقلية وحقوق الامم او سياسة المدنية .. وغيرها من العلوم المزقة للغيوم ، المبسقة للشموس ، المحرقة للرؤوس» (٤٤) .

وهو يهاجم الاغنياء فهم «ربائط المستبد يذلهم فيئنون ، ويستدرهم فيئخون ، ولهذا يرسخ الذل في الامم التي يكثر اغنياؤها ، أما الفقراء فيخافهم المستبد خوف النعجة الذئاب» (٤٥) ، وهو يدعو صراحة الى الاشتراكية باعتبارها «السر كل السر في نجاح الامم المتمدنة» (٤٦) . ويقول الكواكبي ايضا «ان الداء العام هو الفقر .. ومن اعظم اسباب الفقر ان شريعتنا مبنية على أن في أموال الاغنياء حقا معلوما للبائس والمحروم فيؤخذ من الاغنياء ويوزع على الفقراء . لكن الحكومات الاسلامية قد قلبت الموضوع فصارت تجبي الاموال من الفقراء والمساكين وتبذلها للاغنياء ، وتحابي بها المسرفين» (٤٧) .

وتبقى القضية الاخرى ...

ولعل الافغاني كان رائدا ايضا . فبعد كتابة «الرد على

---

٤٣ ــ عبد الرحمن الكواكبي . طبائع الاستبداد في مصارع الاستعباد ــ طبعة الدستور العثماني (١٣١٨ هـ) ص ٥٩ .

٤٤ ــ المرجع السابق ص ٣٣ .

٤٥ ــ المرجع السابق ص ٥٠ .

٤٦ ــ المرجع السابق ص ٦٩ .

٤٧ ــ عبد الرحمن الكواكبي : ام القرى . طبعة محمود افندي طاهر صاحب جريدة العرب ص ٤١ .

الدهريين» والذي هاجم فيه «النيتشريين» (دعاة الطبيعة) والماديين ، والذي اختص فيه نظرية التطور بهجومه وتهكمه وادانته قائلا «اذا كان زعم داروين ان الانسان كان قردا ثم عرض له التنقيح والتهذيب صحيحا .. فعلى زعم داروين هذا يمكن ان يصير البرغوث فيلا بمرور القرون وكر الدهور وان ينقلب الفيل برغوثا كذلك» (٤٨) . بعد هذا نجده يراجع نفسه في كتابه الآخر «خاطرات جمال الدين» .

«فقد سئل الافغاني عن قول المعري :

والذي حارت البرية فيه   حيوان مستحدث من جماد

وهل يقصد ما عناه داروين بنظرية النشوء والارتقاء فقال : لا اغالي ولا ابالغ اذا قلت : «ليس على سطح الارض شيء جديد بالجوهر والاصول اما مقصد ابي العلاء فظاهر واضح وليس فيه خفاء ، فهو يقصد النشوء والارتقاء . مهتديا بما قاله العرب قبله بهذا المذهب ، اذ قال ابو بكر بن بشرون في رسالته لابي السمح ، عرضا ، في بحث الكيمياء : «أن التراب يستحيل نباتا ، والنبات يستحيل حيوانا ، وان ارفع المواليد هو الانسان (الحيوان) . وهو آخر الاستحالات الثلاثة وارفعها . وان ارفع مواليد التراب (ومنه المعادن) النبات ، وهو ادنى طبقات الحيوان ، سلسلة تنتهي عند الانسان» (٤٩) .

ولعل الافغاني بموقفه هذا قد تأثر الى حد ما برسائل اخوان الصفا وبأفكارهم ، ولعله لم يكن مطلوبا منه في اطار التجديات

---

٤٨ ـ جمال الدين الافغاني ـ الرد على الدهريين ـ ترجمة محمد عبده وعارف ابي تراب . الطبعة الرابعة (١٩٦٤) .

٤٩ ـ جمال الدين الافغاني ـ خاطرات جمال الدين ـ املاء علي محمود باشا المخزومي ـ بيروت ـ (١٩٣١) .

المطروحة في زمانه ان يقدم اكثر مما قدم .

لكن العطاء الحقيقي للافغاني كان تلميذه محمد عبده .

يقول مارسيل كولومب «وليس من السهولة ان نوضح أثـر هذين الرائدين (الافغاني ومحمد عبده) على الجيل الذي تلاهما . ومع ذلك فثمة شيء مؤكد ، ذلك انه عندما تبذل المحاولات لجعل الدين يتوافق مع العلم الحديث ، وعندما تتقبل فكرة اعادة النظر في الشريعة الاسلامية كضرورة حتى تتسق مع مقتضيات العصر، فلا بد ان ندخل في اعتبارنا ان الافغاني ومحمد عبده هما اللذان هيئا النفوس بالتدريج لتقبل مفهوم للدولة وللدين يختلف عـن مفهومهما في القرن السابق» (٥٠) .

لكن محمد عبده كان يختلف عن استاذه في المسألتين الهامتين العدل الاجتماعي والموقف من العقل والعلم الحديث .

في المسالة الاولى كان اكثر تخلفا .. وفي الثانية كان اكثر تقدما ولعل السبب واضح .

فالصراع الاجتماعي احتدم عنيفا بعد ان طرد الافغاني مـــن مصر وصار على كل مفكر ان يختار موقعه الاجتماعي والطبقـــة التي ينحاز اليها .. وما أصعب ان يختار مثقف برجوازي صغير موقع الدفاع عن الكادحين .

فالشيخ محمد عبده يهاجم التطرف لدى الثوار العرابيين ، ويلومهم صراحة على انتمائهم للشعب والفقراء . بل هو يؤكد أنه انتقد حكومة رياض ومسلك الخديوي توفيق «لكنني كنت ضد الثورة ، كنت أعتقد انه يكفي جدا ان نحصل على دستور خلال خمس سنوات ، وكنت أعارض أسلوب طـــرد رياض باشا ، ومظاهرة عابدين ، وكان سليمان باشا اباظة والشريعي باشـــا

---

٥٠ ـ مارسيل كولومب ـ المرجع السابق ص ١٥٧ .

يؤيداني ضد الثورة لكننا كنا جميعا نطالب بالدستور» (٥١) .

.. لكن الثورة قامت ، ومس لهيبها شغاف قلب كل مصري ، واندفع الفلاحون ينخرطون في سلك جيش من اصحاب الجلاليب المسلحين بأي شيء وهم يهتفون «الله ينصرك يا عرابي» .

ولم يكن امام الشيخ محمد عبده الا ان يقف معها محاولا ـ قدر الامكان ـ ان يحد من ثوريتها .. وفي ١٣ فبراير ١٨٨٢ اقامت جمعية المقاصد الخيرية حفلا كبيرا ابتهاجا بتشكيل وزارة العرابيين برئاسة محمود سامي باشا البارودي ، وفي حشد كبير من الاعيان وقف محمد عبده ليحذر «الثوار» من «ثوريتهم» ، وليحذر «الاعيان» من تساهلهم او تغافلهم تجاه هذه «الثورية» .. قال محمد عبده «انه لم يعهد في أمة من امم الارض ان الخواص والاغنياء ورجال الحكومة يطلبون مساواة انفسهم بسائر الناس وازالة امتيازاتهم واستئثارهم بالجاه والوظائف بمشاركة الطبقات الدنيا لهم في ذلك ، فكيف حصل في هذه المرة ، ومن أهل هذا المجتمع ؟ فهل تغيرت سنة الله في الخلق ، وانقلب سير العالم الانساني ؟ ام بلغت فيكم الفضيلة حدا لم يبلغه احد من العالمين ، حتى رضيتم واخترتم عن روية وبصيرة ان تشاركوا سائر امتكم في جاهكم ومجدكم وتتساووا بالصعاليك حبا بالعدالة والانسانية ؟ ام تسيرون الى حيث لا تدرون وتعملون ما لا تعلمون ؟» (٥٢) .

وبرغم هذا الموقف المتخلف من القضية الاجتماعية فان محمد

---

51 — Blunt, W. Secret History of English occupation of Egypt - London (1907), p. 493.

٥٢ ـ د. الحديدي ـ عبد الله النديم . ص ١٧٧ .

عبده يبرز بعد عدة اعوام رائدا من رواد التجديد وداعية من دعاته .

فالعقل والتنوير كانا يصعّدان معركتهما ، ومنجزات العلم الحديث تفرض نفسها وبالحاح على حياة المجتمع والافراد طالبة اجابة صريحة و«فتوى شرعية» في كل امر جديد ، وكانت فتاوي محمد عبده تتألق دوما باتجاه متقدم .

وهو يبدأ معركته بتجريد رجال الدين من كهنوتهم الذي يحاولون ان يفرضوه على البشر قائلا «ليس في الاسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة ، والدعوة الى الخير والتنفير من الشر ، وهي سلطة خولها الله لادنى المسلمين يقرع بها انف اعلاهم ، كما خولها لاعلاهم يتناول بها من ادناهم» . والحقيقة ان محمد عبده كان يجابه مهمة صعبة ، فمع نهايات القرن التاسع عشر تم وضع مجموعات القوانين الجديدة ، التي تغطي مجال المعاملات المدنية كلها ونظام العقوبات وذلك نقلا عن القوانين الفرنسية ، وتم انشاء هيكل قضائي حديث ، وانتشر التعليم الحديث ايضا . وهكذا كانت مصر وهي تقترب من روح العصر.. وتتلامس مع المدنية الحديثة تتمايز فيها شخصيتان ، ومؤسستان في عديد المجالات الهامة ، مؤسستان للقضاء ومؤسستان للتعليم .. الخ «مما فصل عن الازهر اهم جانب من جوانب وظيفته الاجتماعية» .. «ومع نهايات القرن التاسع عشر وضح الصدع امام المبصرين وغير المبصرين جميعا .. وتم صدع مماثل في المؤسسات الاجتماعية والمؤسسات الفكرية ، وفي البناء الاخلاقي والسلوكي للافراد . امام هذه المشكلة قامت دعوة محمد عبده تحاول رتق هذا الفتق الذي يتسع . ويدعو لتفتيح الفكر الاسلامي ليستوعب الحاجات المدنية للمجتمع ، وليمكن الفكر الاسلامي من أن يقدم الاساس الاخلاقي والمعنوي لهذه الحياة المتطورة . وكانت وسيلته الى ذلك الدعوة لتطوير الازهر وتنقيح

مناهج التعليم فيه ، وفتح باب الاجتهاد» (٥٢) .

لكن الازهر وقف من حركة محمد عبده موقف الرفض ، بينما تلقفها التيار العقلاني وتمسك بها في مواجهة دعاة التقليد ، وهكذا ازدادت الهوة اتساعا بين حركة التجديد .. وبين الازهر .

والحقيقة ان محمد عبده قد استفاد كثيرا جدا من اقامته في اوربا لفترة من الوقت ، ولعل هذه الاقامة لم تكسبه استنارة وسعة أفق ، ورغبة نهمة في الدفاع عن العقل والعلم فحسب ، وانما قدمت امام عينيه نمطا من السلوكيات ونموذجا للحياة يختلف اختلافاً جذريا عما يراه في ارض وطنه ، ولعل ذلك هو الذي دفعه الى الاعراب عن دهشته لان «الكفرة يتصرفون كمسلمين بينما يتصرف المسلمون وكأنهم كفرة» (٥٤) .

ولعل هذا الموقف يتضح ايضا من اعجابه الشديد بالفيلسوف الروسي تولستوي .. فعندما كان محمد عبده مفتيا للديار المصرية كتب الى تولستوي يقول «ايها الحكيم الجليل مسيو تولستوي : لم نحظ بمعرفة شخصك ، ولكننا لم نحرم التعارف بروحك. سطع علينا نور من افكارك ، واشرقت في آفاقنا شموس من آرائك ألفت بين نفوس العقلاء ونفسك .. فكما كنت بقولك هاديا للعقول ، حاثا بعلمك للعزائم والهمم ، وكما كانت آراؤك ضياء يهتدي به الضالون ، كان مثالك في العمل إماما يقتدي به المرشدون» (٥٥) .

---

٥٣ ـ الكاتب ـ اغسطس ١٩٧٤ ـ طارق البشري ، مقال «الازهر بين القصر والحركة الوطنية» .

54 — New Middle East, January - February 1975 . Article by Desmond Stewart «Egypt in Search of Religious and Political Community».

٥٥ ـ مجلة الاذاعة والتليفزيون، ١٠ـ٧ـ١٩٧١ ، د. عثمان امين ، مقال =

هكذا يتكلم مفتي الديار المصرية مع مفكر هو على اية حال غير مسلم بل ومتهم من كنيسته بالالحاد .. وهكذا كان تقديـــــره لحضارة الغرب وللافكار الجديدة فيه. ولقد كان المنطلق الاساسي لمحمد عبده هو تصميمه على «ان الاسلام لم يتعارض ولا يمكن ان يتعارض مع العلم . فالعلم مثله مثل العقيدة يكشف للناس اسرار الطبيعة» (٥٦) .

وبينما كان «السلفيون» وظلوا حتى ما بعد زمن محمد عبده بكثير يتنكرون للحضارة الغربية والثقافة الغربية كان محمد عبده يرى ان مفتاح التقدم هو تبني العلوم الغربية والثقافة . وقـــد اكد محمد عبده في احد مقالاته المبكرة «ان سر تفوق اوربا يكمن في تفوقها في مضمار البحث العلمي ، والى تقدم نظم التعليـــم فيها » (٥٧) .

وبعد ان يؤكد محمد عبده على ضرورة التلامس مع الفكـــر الغربي الحديث ، يخطو خطوة جديدة شائكة ، لكنها حاسمة فهو يدعو الى تحديث الفكر الاسلامي ، فقد كان يرى ان الاسلام لا يمكن ان يرسخ أقدامه عبر الازمان اذا ما استمر معتمدا علـــى «التقليد» . وكم هاجم محمد عبده دعاة التقليد وكم اكد «انـــه بدون استخدام العقل سوف يتعذر على المسلمين احراز اي تقدم او تطور» (٥٨) وذلك في الوقت الذي كان يعاني فيه الآخرون من «عقدة» الخوف والرفض لكل ما هو قادم من الغرب ، ولكل ما

= «صفحة مجهولة من تاريخنا الفكري» .

56 — Khadduri - Ibid - p. 63.

57 — Adams - Islam and Modernism in Egypt p. 39 and 135.

58 — Khadduri - Ibid - p. 61.

هو إعمال للعقل ، باعتبار انه تهديد او اضعاف لنفوذ الاسلام . الامر الذي أشعرهم بضرورة شن «هجوم مضاد» فتشبثوا بشعار الجامعة الاسلامية ، وتهافتوا على ادانة كل ما هو عقلي وعلمي او جديد (٥٩) .

وفي هذا المناخ يمضي الاستاذ الامام محمد عبده مفتي الديار المصرية ليصدر سلسلة من الفتاوي الشرعية تحاول ان تيسر على المسلمين مجابهاتهم وتعاملاتهم مع حياة المدينة الحديثة. والحقيقة ان الاستاذ الامام كان مطالبا باصدار فتاوي شرعية في مسائل معقدة مثل «أرباح الاموال المودعة في البنوك» .. و«سعر الفائدة» و«التأمين على الحياة» و«الشركات المساهمة وأرباحها» .. وفي مسائل اخرى قد تبدو بسيطة لكنها من فرط بساطتها تلح على المسلم في كل تعاملاته : «التصوير الفوتوغرافي» .. حلال ام حرام ؟ واستخدام التليفون والراديو حلال ام حرام ؟ .. وهكذا وبصدر رحب وبعقل مفتوح مدرك لتبعات المفتي المستنير تجاه عصره حاول محمد عبده ان يقدم اجابات توفق بين تعاليم الاسلام واحتياجات العصر .

وحتى في المسائل الشديدة التعقيد والتي قد يتحرج شيخ مسلم من البحث عن الجديد تجاهها مثل المرأة وعلاقاتها بالمجتمع وتحريرها ومسألة الحجاب .. الخ ، تروج شائعات قوية عن اسهام الاستاذ الامام في اعداد كتاب صديقه الحميم قاسم امين عن تحرير المرأة .

ويمضي الاستاذ الامام بعد رحلة مجيدة ليترك تلاميذا يختلفون اختلافا شديدا حول تفسير تعاليمه ، ويقول الباحث مجيد خضوري «ان البعض من تلاميذ الامام قد حاول ان يطول تعاليمه،

---

59 — **Khadduri - Ibid - p. 56.**

ويصل بها الى نهايتها المنطقية ، اي ان «ينفي» دور الاسلام كعقيدة تجاه المجتمع ككل ، وان يحصره تجاه الفرد وضميره ووعيه . وكان هذا البعض يرى ان الاسلام عقيدة حية ومن ثم فيتعين لها ان تتطور باستمرار ، وان النهاية الحتمية لهذا التطور هي علمانية المجتمع الاسلامي» .

ويمضي خضوري قائلا ان هذه الآراء قد رفضت بشدة من جانب «مريدي الامام من المحافظين» وخصوصا هؤلاء الذين كانوا ـ برغم ولائهم لشيخهم ـ الا انهم «كانوا يرون انه قد قدم تنازلات غير ضرورية لصالح المدنية والتطور الحديث ، وكان على رأس هؤلاء المحافظين المتشددين من اتباع محمد عبده الشيخ رشيد رضا » (٦٠) .

وبرغم أن رشيد رضا كان أقرب هؤلاء المريدين إلى قلب الامام الا انه كان اكثرهم حرصا على تفسير تعاليمه تفسيرا محافظا ومتزمتا الى أبعد الحدود» (٦١) .

وهكذا نجد امامنا ثلاث مدارس .. لا مدرستان فقط .

ـ التقليديون .. (المحافظون من شيوخ الازهر) .

ـ المجددون (الشيخ محمد عبده وتلاميذه المستنيرون) .

ـ المجددون المحافظون (الشيخ رشيد رضا وتلاميذه) .

وعن هذه المدرسة الاخيرة سنتحدث قليلا .. لانها ذات علاقة بموضوع بحثنا .

لقد قرر رشيد رضا ان يخوض معركتين لا معركة واحدة

---

60 — Ibid - p. 65.

٦١ ـ لمزيد من التفاصيل حول العلاقة بين تعاليم الشيخ محمد عبده وافكار رشيد رضا راجع سامي الدهان : قدامى ومعاصرون ـ القاهرة (١٩٦١) ص ١٩٧٣ وما بعدها وأيضا ابراهيم العدوي ، رشيد رضا .

معركة ضد علماء الازهر الذين كان يريد ان ينتزعهم بعيدا عن نهجهم في «التقليد» وعن «تعصبهم المذهبي» وأخرى «ضد دعاة التفرنج» وكان رشيد رضا يشير دوما الى خطورة كلا التيارين.. ويرفضهما معا وبنفس الحدة (٦٢) .

وفي كتابه «الخلافة أو الإمامة العظمى» يهاجم الشيوخ «الذين ازوروا الى زوايا مساجدهم او جحور بيوتهم» ويتهمهم بأنهم عاجزون عن اداء واجبهم وعن الابقاء على نقاء اقدس التقاليد وأنبلها ، ويهاجم في نفس الوقت دعاة التفرنج قائلا انه من الجنون ان نسعى الى انتزاع مقومات الامة الاسلامية الدينية والتاريخية ، واستبدال مقومات امة اخرى ومشخصاتها بها» (٦٣) .. ورويدا رويدا كان رشيد رضا يتخلى عن تعاليم الامام ، ويبتعد بهجماته العنيفة ضد دعوة «التجديد» عن معسكر استاذه بل لعله كان يقترب من معسكر خصوم الامام من دعاة «التقليد» . فهو يدعو الى العودة للمصادر الاولى .. وبالنسبة له فان العمل والجهد والامل يتركز في شيء واحد «الخلافة الاسلامية» .. «فهي الحكومة المثلى التي بدونها لا يمكن ان يتحسن حال البشرية» (٦٤) . والدولة الاسلامية الاصلية هي في الواقع خير الدول ليس بالنسبة للمسلمين فحسب ولكن بالنسبة لسائر البشر فهي وسط بين الجمود وبين حضارة الافرنج المادية التي تفتك بها ميكروبات الفساد وأوبئة الهلاك فهي عرضة للزوال» (٦٥) . وهو يبتعد كثيرا عن نهج استاذه عندما يؤكد ان

---

٦٢ ـ مارسيل كولومب ـ المرجع السابق ص ١٦٨ .

٦٣ ـ رشيد رضا ، الخلافة او الامامة العظمى ، مطبعة المنار بمصر (١٣٤١ هـ) .

٦٤ ـ المرجع السابق ص ١١٦ .

٦٥ ـ المرجع السابق ص ١٢٨ .

السيادة المطلقة في الدولة هي «لاولي الامر» الذين «أمر الله بطاعتهم» (٦٦) .

.. وهكذا تمضي دعوة الاستاذ الامام على يد تلاميذ يضيقون بتجديده وليبراليته ، فيتراجعون بها نحو «التقليد» و«المحافظة»، ويستمر التراجع .. فتلاميذ التلاميذ .. أكثر محافظة ، واكثر تمسكا بضرورة العودة الى التقليد .

وقد تأثر الشيخ حسن البنا بالاستاذ الامام ، لكنه تأثر اكثر بكثير برشيد رضا .. وبالنسبة لجماعة الاخوان المسلمين كان الافغاني بمثابة «الاب الروحي» وكان الاخوان يقدمون حسن البنا في صورة «أفغاني» عصره (٦٧) .

واذا كان احد الاخوان قد قال ان الافغاني كان مجرد «مؤذن او هو مجرد صرخة» وان رشيد رضا كان مجرد «مؤرخ او هو سجل» وان المرشد كان «بنا» (٦٨) ، فان الشيخ حسن البنا يورد تقديرا محدودا لهؤلاء الرواد جميعا «فالافغاني كان يرى المشكلات ويحذر منها وكان محمد عبده يعلم ويفكر ،ورشيد رضا يكتب ابحاثا» ، لكنهم كانوا جميعا في نظره مجرد «مصلحين دينيين واخلاقيين» يفتقدون الرؤية الاسلامية الشاملة (٦٩) . وربما كان احد تلاميذ الشيخ البنا اكثر وضوحا في تقديم هؤلاء الرواد فهو اذ يمايز بين دعوة محمد عبده ودعوة حسن البنا يقول ان دعوة الاخوان المسلمين تتميز عن غيرها بأنها تعني الجهاد والنضال

---

٦٦ ـ رشيد رضا ـ كتاب الوحي ـ ص ٢٣٩ .

67 — Smith, Wilfred Cantwell. Islam in the Modern history (1957) p. 51.

٦٨ ـ الدعوة ـ ٢٠-٢-١٩٥١ .

٦٩ ـ مذكرات الدعوة والداعية . المرجع السابق ص ٥٨ .

والعمل .. وانها ليست مجرد رسالة فلسفية (٧٠) .

ومع ذلك فانه يتعين علينا الا ننسى ان الشيخ احمد عبد الرحمن البنا والد حسن البنا واستاذه الاول كان تلميذا من تلاميذ محمد عبده ، وان الطالب حسن البنا كان قارئا مثابرا لمجلة المنار ، ولعله مارس على صفحاتها اولى محاولاته في الكتابة (٧١) .

واذ استمر الشيخ رشيد رضا في تراجعه عن «التجديد» حتى اصبح متمسكا «بالسلفية» مؤكدا ان «السلف» هم القادرون على فهم المغزى الحقيقي للمبادىء الاسلامية كما انزلت في القرآن ووردت في الحديث (٧٢) فانه يستحق اكثر من غيره من الرواد - الذين كانوا اكثر منه تألقا - مديح وثناء الشيخ البنا ، الذي وصف مجلة المنار بأنها قدمت اجل الخدمات للاسلام في مصر وغيرها من البلدان (٧٣) والذي تباهى بأن الشيخ رشيد رضا كان على وشك الانضمام لجماعة الاخوان المسلمين قبيل وفاته (٧٤) .

.. وهكذا يحدد الشيخ حسن البنا موقفه كامتداد اكثر «سلفية» للتيار «السلفي» بين تلاميذ محمد عبده .

ويلخص البرت حوراني الموقف كله في عبارة تقول «اذا كان

---

٧٠ - احمد انس الحجاجي ، الرجل الذي اشعل الثورة (١٩٥٢) ص ٤٣ .

71 — Mitchell - op. cit. p. 322.

72 — Khadduri - op. cit. p. 67.

٧٣ - مذكرات الدعوة والداعية - ص ٢٧٢ .

٧٤ - لمزيد من التفاصيل حول المقارنة بين افكار رشيد رضا وحسن البنا راجع :

— Safran, Nadav - Egypt in Search of political Community. (1961). p. 291.

التاريخ هو ما تعيه ذاكرة الانسان عن الماضي ، فان هذا الماضي يظل بالنسبة للبعض أملا يتعين الارتداد اليه ، وبالنسبة لبعض المسلمين سيظل العصر الاسلامي الاول صورة وحيدة لما يجب ان يكون عليه العالم» (٧٥) .

***

وحتى الدين فهمه البعض فهما ميكيافيليا. وحاول وباستمرار استخدامه اداة في لعبة السياسة والصراع السياسي والاجتماعي.

وثمة عبارة قد تثير القشعريرة في أبدان البعض أوردها توماس هوبز صاحب «الليفياتان» أو «الوحش» حول هذا الموضوع (استميح القارىء ليس فقط في ان اوردها بنصها وانما في ان اطلب اليه ان يتذكرها من الان فصاعدا ، وهو يطالع صفحات هذا الكتاب .. فلربما كانت هذه العبارة قادرة على تفسير الكثير من المواقف التي قد تبدو — في اطار حسن النية — غير مبررة وغير منطقية) . يقول توماس هوبز «الدين هو مجرد مانعة للصواعق الاجتماعية .. والكنيسة قوة اخرى من قوات الامن التي تستخدمها الدولة لحفظ الاستقرار الاجتماعي ، لا تختلف عن البوليس والجيش في طبيعتها ، ولكنها افعل منهما اثرا وأوسع مدى ، وربما اقل تكلفة ، انها تقيم على كل انسان شرطيا ملازما له داخله» (٧٦) .

---

75 — Hourani, Albert - Arabic Thought in the Liberal Age. 1789 - 1939 - Oxford (1970) p. 80.

٧٦ — نقلا عن : د. لويس عوض ، تاريخ الفكر المصري الحديث — الجزء الثاني — كتاب الهلال عدد ابريل ١٩٦٩ ص ٢٨٢ .

ولقد نختلف حول تفسير معطيات هذه العبارة ، ولقد نرفضها رفضا قاطعا ، لكنه يتعين علينا أن نستبقيها في ذاكرتنا لتفسير مواقف الكثير من القوى الرجعية تجاه الدين ، ومحاولاتها استخدامه واستخدام بعض رجاله ومنظماته كأدوات في صراعها الاجتماعي .

وهكذا كان الامر في مصر منذ مطلع القرن العشرين .. استمرت المحاولات من جانب الإحتلال البريطاني تارة .. والقصر الملكي تارة اخرى ، ثم احزاب الاقليات ـ عندما نشأت ـ مرة ثالثة لاستقطاب القوى الدينية واستخدامها اداة «أقل تكلفة» من البوليس في إحكام قبضتها على الانسان المؤمن .. واقامة «شرطي ملازم له من داخله» يعمل دوما على اخضاعه لصالحها في كل مواقف الصراع السياسي والاجتماعي .

والازهر قلعة الاسلام المكينة ، ورمزه الشامخ في العالم اجمع كان لا بد له ان يكون محطا لمؤامرات هذه القوى واغراءاتها، وهدفا لاستقطابه في خضم هذه الصراعات .

وقد حرص فؤاد منذ ان كان سلطانا على ان يحكم قبضته على الازهر وعندما كانت لجنة الثلاثين تصوغ دستور ١٩٢٣ كانت عين فؤاد مركزة اساسا على موضوع العلاقة بين الملك وبين اهم مؤسستين في ذلك الحين وهما : الازهر والجيش .

واتت نصوص المشروع الاول للدستور خالية من اية اشارة لسلطات الملك تجاه الازهر الامر الذي يعني ان لجنة الدستور لم تر منح الملك اية سلطات استثنائية تجاه الازهر بل جعلت الاشراف عليه مثله مثل غيره من المؤسسات للوزارة المسؤولة امام البرلمان(٧٧) .. لكن مشروع لجنة الثلاثين قد خضع لتعديلات كثيرة،

---

٧٧ ـ دستور ١٩٢٣ ـ ص ١٥٢ .

وبعد صراع مرير اسفرت المعركة عن نص يُحال الى قانون يصدر فيما بعد لينظم «الطريقة التي يباشر بها الملك سلطته .. فيما يختص بالمعاهد الدينية وتعيين الرؤساء الدينيين وبالاوقاف التي تديرها وزارة الاوقاف ، وعلى العموم المسائل الخاصة بالاديان المسموح بها في البلاد» (٧٨)، «واذا لم توضع أحكام تشريعية تستمر مباشرة هذه السلطة طبقا للقواعد والعادات المعمول بها الان» (٧٩) ، وهكذا «استخلص الملك بهذا النص اعترافا دستوريا بأن له سلطة خاصة فيما يتعلق بمسائل الاديان واقرارا دستوريا ببقاء الوضع الراهن حتى يصدر قانون جديد ينظم هذه السلطة .

ويعترف الشيخ الظواهري - الذي عينه فؤاد شيخا للازهر - بأن الملك فؤاد «كان حريصا على ان يعرف كل شيء عن الازهر والمعاهد الدينية ، فقد كان جلالته يعتبر هذه الناحية من الامور المصرية الناحية الخاصة به يديرها جلالته بدون وساطة احد وزرائه» (٨٠) .

ولقد رأينا في صفحات سابقة كيف حاول فؤاد أستخدام الازهر في مسألة الخلافة ، والآن نرى كيف حاول استخدامه ايضا في مسائل الصراع السياسي .. وبالذات في خصومته ضد سعد زغلول الزعيم المحبوب من شعبه والذي كان من المستحيل مقاومة مثل هذا النفوذ الذي يتمتع به بغير إستقطاب مؤسسة كالازهر .

وقد بدأت محاولات السراي باستقطاب عدد من شيوخ

---

٧٨ - الكاتب - اغسطس ١٩٧٤ - طارق البشري ، مقال الازهر بين القصر والحركة الوطنية .

٧٩ - من مذكرات شيخ الاسلام الظواهري - المرجع السابق - ص ٧٩ .

٨٠ - الاخبار - ٤-١١-١٩٢٤ .

الازهر .. ثم في تبني بعض مطالب الازهريين واظهار حكومة سعد بمظهر الرافض لها .. وتطور الامر الى مطالبة بعض شيوخ الازهر بما أسموه رفع ألوساطة بين الملك وشيوخ الازهر «كما لا وساطة بين جلالة الملك وبين رئيس الوزراء ، اذ لا يليق في عهد جلالتكم الميمون ان كبير رجال الدين دون كبير رجال الدنيا» (٨١)، وفي ٥ نوفمبر ١٩٢٤ تبرز ظاهرة جديدة .. مظاهرة من طلاب الازهر تتوجه لاستقبال الملك فؤاد لدى عودته من مصيفه بالاسكندرية وهي تهتف «يسقط سعد زغلول» «لا رئيس الا الملك» . وتستمر هذه الظاهرة يشجعها الملك وبوليسه والشيوخ من اصدقاء السراي .

وتزخر ملفات البوليس السياسي بتقارير وافية عن هذه المحاولات ، ولنورد واحدا منها كنموذج :

محافظة القاهرة .

ادارة الضبط فرع «ب»

الموضوع : تقرير عن حالة الازهر الشريف يوم ٤ فبراير ١٩٢٧ (نمرة ١٩٠ سياسي سري)

مطلوب رد

حضرة صاحب المعالي كبير الامناء لحضرة صاحب الجلالة الملك:

أتشرف بإخبار معاليكم انه كان بالازهر امس عدد كبير جدا لمناسبة صلاة الجمعة . فألقيت فيه الخطب الكثيرة طول النهار وفي الليل ايضا ، وقد كانوا يصيحون بالنداءات الآتية من وقت لآخر «يحيا جلالة الملك ــ يحيا حسن نشأت باشا ــ يسقط البرلمان والحكومة وسعد باشا» .

وقد كان البوليس مرابطا على بعد من الجامع الازهر ، ولم

---

٨١ ــ الاخبار ــ ١١-١١-١٩٢٤ .

تحصل مظاهرات ولم تقع حوادث .

وهذا لمعاليكم للمعلومية .

وتفضلوا معاليكم بقبول فائق الاحترام .

تحريرا في ٥ فبراير ١٩٢٧ ـ حكمدار بوليس مصر» (٨٢)

ويعقب د. عبد العظيم رمضان على هذه العلاقـــــة قائلا :

«استمرت علاقة التحالف بين القصر والازهر طوال عهد الملك فؤاد وحتى نهاية حياته . ونظرا لان القصر كان على علاقة تحالف اخرى مع الانجليز ، فلم يكن هناك مفر من ان يتأثر الازهر بهذه العلاقة ايضا . وحين اتجهت السياسة البريطانية في ربيع ١٩٣٥ تحت ضغط الحركة الوطنية الى تقديم بعض الترضيات للجماهـــير المصرية فرضت على الملك اخراج الشيخ الظواهـــري من منصب شيخ الازهر وتعيين الشيخ محمد مصطفى المراغي مكانه ولم يجد مفرا من اجابة الطلب ، وكان الشيخ مصطفى المراغي على صلة بالسلطات البريطانية منذ ان كان موظفا كبـــيرا في السودان ، وعندما نقل الى مصر اتصل باللورد جورج لويد المندوب السامي البريطني ، واصبح على علاقة وطيدة معه ، الى حد انه لم يكن يمضي اسبوع دون ان يكون الشيخ مدعوا او زائـــــرا في دار المندوب السامي ، كما حكى محمد شفيق رئيس القسم العربـي بدار المندوب السامي» (٨٣) .

وهكذا امتد التدخل في شؤون الازهر وفي امور الدين .. من الملك العاجز ، الى احزاب الاقليات الفاشلة ، الى الانجليـــز

---

٨٢ ـ جمال سليم ـ البوليس السياسي يحكم مصر ـ دار القاهرة للثقافة العربية ـ ص ٢١٥ .

٨٣ ـ صباح الخير ـ ٣١-٣-١٩٧٧ . د. عبد العظيم رمضـــان ـ مقال : الدين في الصراع السياسي .

المحتلين .

فقط .. لنتذكر الاسطر السابقة ونحن نتابع في صفحات قادمة علاقات الشيخ حسن البنا بالقصر ، وبالشيخ المراغي .. ونتابع موافقه المتشددة تجاه الوفد والمتساهلة بل والصديقة تجاه احزاب الاقلية .

هل اللعبة تتكرر ؟

لسنا نريد اجابة سريعة ، فلننتظر تسلسل الاحداث، ولنترك للاستقصاء العلمي وليس للعاطفة الحكم والقرار .

***

.. وهكذا يكون المسرح معدا كي يظهر «البطل» .

فبغير الصفحات السابقة يكون الحديث عن الشيخ حسن البنا حديثا علميا وموضوعيا امرا مستحيلا .. ولقد يتصور البعض .. بل وحاولوا كثيرا استخدام اسلوب السيرة الذاتية البحتة في التعريف بالقادة السياسيين ومنهم حسن البنا ، ونعتقد ان هذا وان كان أيسر السبل الا انه اكثرها بعدا عن الاسلوب العلمي للتأريخ .

فعملية التأريخ لقائد سياسي ليست ممكنة بغير تقديم «بانوراما» واسعة وعميقة للمكونات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية لشخصيته ومنهجه وسلوكه..

من هو اذن حسن البنا ؟

لقد تكلمنا عن الصراعات الدائرة في تلك الفترة :

- الصراع بين العلم وحركة التنوير عامة وبين القوى المحافظة .
- الصراع بين الوطنية المصرية وبين دعاة الخلافة الاسلامية .
- التبشير .. والتبشير المضاد .
- التناقض بين دعاة الحضارة الغربية والمتوسطية وبين رافضيها .

● الصدام بين «التجديد» و «التقليد» .
● دور الدين ومؤسساته في لعبة السياسة .

من هذه الصراعات والتناقضات وفي خضمها نبتت شخصية حسن البنا وتفاعلت واتخذت مواقفها .. ولهذا فانه بغير بحثنا عن هذه الصراعات يوشك الحديث عن حسن البنا ان يكونَ مسطحا وبغير عمق وان يكون مجرد سرد لسيرة ذاتية معزولة عن أحداث مجتمعها .

وباختصار .. لقد كانت الصفحات السابقة حديثا في صلب موضوعنا وليست مقدمة له .. ولا يبقى امامنا كي نتعرف تعرفا مبدئيا على الرجل سوى قليل من الكلمات عنه (٨٤) .

● الاسم : حسن احمد عبد الرحمن البنا «الساعاتي» .
● تاريخ الميلاد : اكتوبر ١٩٠٦ .
● محل الميلاد : المحمودية بحيرة .
● مهنة الوالد : مأذون الناحية وإمام مسجد القرية ، وقد مارس ايضا مهنة اصلاح الساعات ومن هنا كان لقب «الساعاتي» .

وكان الشيخ احمد عبد الرحمن البنا واحدا من طلاب الازهر على زمن الامام محمد عبده وهو واحد من الازهريين الذين واصلوا طوال حياتهم الدراسة والبحث في كتب الفقه .

وقد أنجب الشيخ احمد خمسة ابناء اكبرهم «حسن» الذي

---

٨٤ ــ للمزيد من التفاصيل عن حياة حسن البنا راجع :
مذكرات الدعوة والداعية .
ــ موسى اسحق الحسيني ــ الاخوان المسلمون كبرى الحركات الاسلامية الحديثة .
ــ اعداد مجلة «الدعوة» الصادرة في ذكرى وفاته في ١٣ فبراير ١٩٥١ ، ١٢ فبراير ١٩٥٢ و ١٠ فبراير ١٩٥٣ ، ١٦ فبراير ١٩٥٤ .

حرص ابوه فيما بعد ان يؤكد ان مولده وطفولته قد احاطت بهما هالات من الخوارق والكرامات . وعندما بلغ الطفل الثامنة من عمره دفع به ابوه الى كتّاب القرية حيث تتلمذ على يد ازهـري شديد التدين هو الشيخ محمد زهران .

ويحاول الوالد ــ بعد وفاة ابنه .. ان يضيف الى الصورة الباهرة له في اذهان مريديه مزيدا من التفاصيل .. فالطفل ابن الثامنة ينزعج من منظر تمثال لامراة شبه عارية فوق احد زوارق النهر في قريته فيلجأ للبوليس ويصمم على ازالة التمثال، وينجح فيما اراد (٨٥) .

ومن الكتاب الى المدرسة الابتدائية في سن الثانية عشرة ، وهناك التقى بمدرس متدين آخر ضمه الى جماعة بالمدرسة اسمها «جماعة السلوك الاجتماعي» وهي جماعة استهدفت ترويـض نفوس اعضائها من التلاميذ والزامهم بالتحلي بالاخلاق الحميـدة في سلوكهم اليومي والتعفف عن الشتائم او مخالفة تعاليم الدين، وكانت الغرامات المالية المرهقة بالنسبة لتلاميذ فقراء هي سـلاح الارغام في يد الجماعة .

وسرعان ما اصبح الفتى المتدين ابن الشيخ المتدين تلميذ معلم الكتاب المتدين رئيسا للجماعة ، وسرعان ما اكتشف ايضا ضعف منطلقات الجماعة فأسس مع عدد من زملائه الاكثر حماسـا «جماعة النهي عن المنكر» وكان هدفها فرض الالتزام بتعاليم الدين من خلال توجيه خطابات تهديد الى من ترى انهم من بين سكان المدينة ــ لا يلتزمون بهذه التعاليم .

وسريعا تأتي الخطوة التالية .. فمن جماعة النهي عن المنكر،

---

٨٥ ــ المصور ٢٩ــ٨ــ١٩٥٢ ــ الشيخ احمد عبد الرحمن البنا ــ مقال أورد فيه الكثير من القصص المماثلة .

الى جماعة اسمها «اخوان الحصافية» .. وهكذا اصبح الفتى التلميذ بالمدرسة الابتدائية «صوفيا» يحضر حلقات الذكر ويهتز في صفوفها مع رجال اكبر منه سنا بكثير . لكنه يلتقي في حلقات الذكر بتلميذ صغير السن مثله هو احمد السكري ، ولعل التلميذين على حداثة سنهما وجدا ان «التطوح» في حلقات الذكر لا يكفي وانه من الضروري القيام بعمل ما للحفاظ على تعاليم الدين ولمقاومة النشاط التبشيري الذي هبط الى المدينة الصغيرة فاثار كثيرا من المشاعر فيها .. وهكذا اسس التلميذان مع زمرة من زملائهما جمعية جديدة اسمها «جمعية الحصافية» ظلت تعتبر نفسها فرعا من الجماعة الصوفية الكبيرة لكنها تتميز عنها «بالعمل الجدي» للحفاظ على تعاليم الدين ، وعلى مقاومة البعثات التبشيرية .. واصبح «حسن» سكرتيرا للجمعية ، وكان لم يزل في الثالثة عشرة من عمره .

عام واحد او عامان ــ اذن ــ قفز فيهما الفتى الصغير من «جماعة السلوك الاخلاقي» الى «النهي عن المنكر» الى حلقات الذكر الحصافية .. الى «العمل الجاد» دفاعا عن الاسلام .

عام آخر .. ويلتحق الفتى ابن الرابعة عشر بمدرسة المعلمين الاولية في دمنهور حيث ينغمس اكثر فأكثر في النشاط الديني وفي حلقات الذكر للحصافيين الامر الذي يمكنه في عام ١٩٢٢ من أن يصبح عضوا عاملا في صفوفهم .. ويبلغ به الحماس الى درجة ارتدائه لبعض الوقت العباءة البيضاء والعمامة ذات الذؤابة .. وبدأ في دراسة كتب الفقه الاسلامي ، وفي هذه الايام يصطدم الفتى بكتاب ابو حامد الغزالي «إحياء علوم الدين» ويصطدم بما يقوله الغزالي من ان التعليم يجب ان يقتصر على ما هو ضروري «لتحقيق الواجبات الدينية واكتساب الرزق» ويتساءل الفتى في حيرة عن مدى فائدة استمراره في الدراسة بمدرسة المعلمين الاولية .. وبعد تردد واصل الفتى دراسته في

المعلمين الاولية حتى تركها في عام ١٩٢٣ ليلتحق بدار العلوم .

وهكذا يصل الفتى .. الحصافي الانتماء .. الريفي النزعة الى قاهرة العشرينات (٨٦) التي كانت تموج بصراعات حزبية مريرة وبتيارات علمانية عارمة وباتجاه قوي نحو المدنية الحديثة.. وفي اثناء ذلك كانت الثورة الكمالية تلهم الليبراليين ودعاة التجديد المزيد من الشجاعة ، والمحافظين ودعاة الخلافة المزيد من السخط والتشدد .. وتلفت الفتى حوله بعين متشكك يرى في كل ما حوله «إضعافا لشأن الدين» (٨٧) وفي هذا الخضم العارم ومنه جفل الفتى وزملاؤه .. «والله وحده يعلم كم أمضينا من ليال لبحث حال الامة ، نحلل العلة ونفكر في وسائل العلاج الممكنة ولقد بلغ بنا القلق درجة وصلنا معها الى حد البكاء» (٨٨) .

ولا ملاذ لفتى ريفي شديد التدين يشعر بالغربة القاتلة في مدينة القاهرة سوى «الصوفية» .. ومن جديد يعود الفتى للاتصال بجمعية الحصافية والى جوارها ينضم الى جمعية اخرى تنظم المحاضرات الاسلامية هي «جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية » (٨٩) .

هو اذن صوفي يأخذ نفسه بالجد في العبادات كغيره من ابناء جماعته .. وهو باحث عن المعرفة الاسلامية يستمع الى محاضراتها .. ولكن ذلك كله لا يصلح حال القاهرة المتمردة امام عينيه ، تلك المدينة التي يشعر تجاهها بغربة قاتلة وتجاه تصرفات

---

٨٦ ــ محمد حبيب احمد . نهضة الشعوب الاسلامية في العصر الحديث ص ١٠٥ .

٨٧ ــ انور الجندي ــ قائد الدعوة : حياة رجل وتاريخ مدرسة، ص١٣٧

٨٨ ــ المؤتمر الخامس ص ٧ .

٨٩ ــ المرجع السابق ص ٧ .

جمهورها برفض قاطع .. هنا تتكون القناعة الاساسية التي حركت وجدان الفتى طوال ما بقي من حياته «المسجد وحده لا يكفي» فلا بد من رجال يهبون حياتهم «للامر بالمعروف والنهي عن المنكر» .. ومنه ومن عدد من اصدقائه الطلاب في دار العلوم ، والازهر .. تكونت مجموعات للوعظ والارشاد في المساجد والمقاهي وغيرها من التجمعات الشعبية.. وكان هدف البنا المجدد هو سد هذه الهوة التي تفصل بين الحياة الفعلية للانسان المسلم وبين التعاليم الاسلامية ، وذلك بحث المسلم على ان يتكيف بحياته ويحصرها في اطار هذه التعاليم .. ومن القاهرة الى الريف انطلق الشبان الذين اصبح من الممكن اعتبارهم النواة الاولى لجماعة الاخوان المسلمين (٩٠) .

وفي هذه الاثناء كان الفتى الشيخ حائرا يبحث عن مشورة لدى الجيل الاكبر سنا من رجال الدين .. وفي المكتبة السلفية تعرف على مديرها محيي الدين الخطيب ثم تعرف على الشيخ رشيد رضا .. وايضا بفريد وجدي واحمد تيمور باشا محاولا ان يستلهم من هؤلاء طريقا جديدا للعمل من اجل الاسلام (٩١) .. والتقى ايضا بمشايخ الازهر فلم يعجبه منهم استسلامهم امام التيارات غير الدينية .. وبدأت علاقاته بهذه الفئة من «الموظفين الدينيين» كما اسماهم هو تؤرقه .. فاذا كان شيوخ الازهر على هذا الحال من الاستسلام .. فما هو السبيل ؟

كان الفتى يدرك انه لا بد من عمل ما .. لا بد من طريقة ما لنشر الدعوة الاسلامية ومقاومة هذه التيارات الجارفة للمدنية الحديثة وللدعاوي العلمية والعلمانية .

---

90 — Mitchell, Ibid. p. 5.

٩١ ـ مذكرات الدعوة والداعية ، ص ٤٩ .

لكن واحدا ممن قابلهم لم يبد له نصحا وافيا ولا اجابة شافية .

وفي السنة النهائية بدار العلوم طلب اليه كتابة مقال مدرسي موضوعه «تحدث عن الآمال الكبيرة التي تراودك بعد اتمام دراستك ، وبين كيف ستعد نفسك لتحقيق تلك الآمال» ، وعبر الفتى عن كل طموحه ومشاعره «ان افضل الناس هم اولئك الذين يحققون سعادتهم بتوفير سبل السعادة للآخرين وباسداء المشورة لهم» وتحقيق ذلك يكون بأحد طريقين «طريق الصوفية الحق والتفاني بالعمل الصادق في خدمة الانسانية» او «طريق التعليم واسداء النصح» .

ويسكب الفتى على الورق كل ما في نفسه من مرارة .. «انني اعتقد ان شعبي قد ابتعد عن اهداف ايمانه نتيجة للمراحل السياسية التي مر بها والتأثيرات الاجتماعية التي تعرض لها وتحت تأثير الحضارة الغربية .. والفلسفة المادية والتقاليد الافرنجية » .

وهكذا فقد اصبح ايمان الشباب فاسدا وسادت بينهم «مشاعر الشك والحيرة ، وبدلا من الايمان تفشى الالحاد ...» وبعد كل هذا القدر من النقد لمجتمعه يقرر الفتى الشيخ اطار مستقبله «ان يكون ناصحا ومعلما» وأن يكرس نفسه لتعليم الاطفال بالنهار وآبائهم بالليل ، مبصرا اياهم بأهداف الدين والمصادر الاصلية لرفاهيتهم وسعادتهم في الحياة ، وهو يتعهد ان يبذل لهذه المهمة اقصى ما يمكنه من مثابرة ونكران ذات ، ومن فهم ودراسة واهبا لذلك جسدا يشوق لمواجهة المصاعب وروحا نذرها لله . ثم يختم مقاله بعبارة: «هذا عهد بيني وبين ربي»(٩٢).

---

٩٢ ــ احمد انس الحجاجي ــ روح وريحان ــ ص ٨٥ .

بهذه المشاعر يتخرج الفتى .. الشيخ حسن البنا من كلية دار العلوم عام ١٩٢٧ .. وعين مدرسا للغة العربية بمدرسة ابتدائية في مدينة الاسماعيلية .

وهكذا أعد المسرح .. وتهيأ البطل .

ولا يبقى امامنا سوى ان نتابع الاحداث .

الفصل الثاني

الشيخ .. مرشداً

.. نحن الان نقترب من نهاية العشرينات .. ويمسك الشيخ البنا قلمه ليصف هذه الفترة قائلا «انه الوقت الذي تأرجحت فيه الامة المصرية في حياتها الاجتماعية بين اسلامها الغالي العزيز الذي ورثته وحمته والفته، وعاشت به واعتز بها اربعة عشر قرنا كاملة، وبين هذا الغزو الغربي العنيف المسلح المجهز بكل الاسلحة الماضية الفتاكة من المال والجاه والمظهر والمتعة ووسائل الدعاية» (١) .

---

١ ـ مذكرات الدعوة والداعية ـ ص ٤٩ .

وكانت محاولات الاستفزاز للمشاعر الاسلامية مستمرة ، وتتداخل فيها عناصر مريبة ، فصحيفة «اسرائيل» لصاحبها البرت موصيري وكانت جريدة صهيونية صرفة تجاهر بصهيونيتها (٢) تشن حملاتها حول موضوع «التبشير» فتنشر سلسلة من المقالات تحت عنوان «كيف حاولوا تنصيري» تتحدث فيها عن محاولات تنصير التلاميذ اليهود والمسلمين في المدارس الكاثوليكية (٣) ، وتتصاعد في نفس الوقت الموسيقى المصاحبة من الجانب الآخر حيث تمارس جماعات مشبوهة محاولاتها للتبشير ، بل وشرذمة واستقطاب عدد من المسيحيين نحو مذاهب لم تكن معروفة في مصر .

وكانت التجربة الدستورية تتعثر ، والبناء الراسمالي يتعثر ايضا ، والازمة الاقتصادية العالمية تنعكس آثارها عنيفة على مصر لتشعر الجميع بالاحباط .. ويحاول البعض ان يجد في «الاسلامية» مخرجا من هذه الازمات المتلاحقة (٤) .

وفي ١٩ سبتمبر ١٩٢٧ يبتدىء العام الدراسي ، ويكون على المدرس الشاب ان يرحل الى مدينة جديدة تماما ، وهو يعترف بأنه لم يكن يعرف موقعها على الخريطة ، وكل ما كان يعرفه عنها انها ترتبط بقناة السويس .. وان فيها معسكرات للمحتلين

---

٢ ـ طارق البشري ـ المرجع السابق ـ ص ٢٣٨ .

٣ ـ «اسرائيل» ـ ٣١-٧-١٩٣١ .

٤ ـ يلاحظ ان انهيار التجربة الدستورية السريع في الداخل ، وتفاقم الازمة الاقتصادية على نطاق المعسكر الراسمالي كله ، واصرار الكثير من المفكرين وحتى الليبراليين منهم على رفض الاشتراكية .. لم يترك امامهم سوى «الاسلامية» مخرجا وأملا .. ويبدو ذلك من نزوع الكثيرين من امثال د. محمد حسين هيكل وعباس العقاد ود. طه حسين وتوفيق الحكيم نحو البحوث والكتابات الاسلامية.

الانجليز .

وفي الاسماعيلية يهب المدرس الشاب حياته لتنفيذ الفكرة التي آمن بها والتي سجلها كتابه في موضوع بحثه الذي قدمه لدار العلوم والذي اشرنا اليه سابقا .. كان يعلم الاطفال نهارا ، وآباءهم ليلا ومعظم هؤلاء الآباء عمال وموظفون صغار وتجار بسطاء (٥) . ومن المدرسة الى المسجد يلقي خطبا ومواعظ ، ومن المسجد الى المقاهي يتحدث ويخطب ويناقش ، ومن خلال ذلك كله ينتقي اكثر الناس اهتماما ليكون منهم مجموعات خاصة يمنحها المزيد من وقته وجهده .

ويحدد المدرس الشاب اسهم اتجاهه .. انه يريد ان يمسك بمصادر النفوذ في المدينة وقد حدد هذه المصادر :

١ ــ العلماء .
٢ ــ مشايخ الطرق الصوفية .
٣ ــ علية القوم .
٤ ــ النوادي (٦) .

وكانت المدينة تعاني من السيطرة الاجنبية الكاملة .. كل شيء للاحتلال ولشركة قناة السويس حتى لافتات الشوارع مكتوبة بالانجليزية .. اما المصريون فلا يخصهم في هذه المدينة سوى «البؤس» . وعلى اية حال فان دعوة حسن البنا «لم تكن موجهة الى كبار موظفي شركة القناة وانما الى العمال المطحونين والى الفقراء ، وهؤلاء الذين عاشوا الحرمان في مواجهة الامتيازات الصارخة للمجتمع الاوربي في المدينة كانوا على أتم استعداد للانصات لدعوة البنا» (٧) .

---

٥ ــ فتحي العسال ــ حسن البنا كما عرفته . ص ٥٤ .
٦ ــ مذكرات الدعوة والداعية ــ ص ٢٢ .
7 — Khadduri - Ibid, p. 74.

وبرغم انهماك حسن البنا في عمله الجديد في الاسماعيلية ، وبرغم احساسه بخصوبة التربة في الاسماعيلية وسرعة عطائها ، الا انه لم يقطع علاقاته بالقاهرة .. تلك المدينة التي لم ينس لها ابدا «خطاياها» .

وفي عام ١٩٢٧ ايضا كانت هناك في القاهرة .. ولنفس الاسباب التي حركت وجدان الشيخ الشاب في الاسماعيلية .. حركة متقدة بين بعض الدعاة الاسلاميين انعكست «في تشكيل جمعيات دينية ذات طابع اجتماعي ، تعمل على تربية الجيل الجديد وفقا للتعاليم والاخلاقيات الاسلامية ، ودونما خوض في الواجبات الملحة تجاه المجتمع ككل . وكانت اهم هذه الجمعيات «جمعية الشبان المسلمين»(٨) وقد اسهم في تأسيس هذه الجماعة العديد من الشخصيات الاسلامية بعضها من رجال الحزب الوطني (عبد الحميد بك سعيد والشيخ عبد العزيز جاويش) وبعضها من تلاميذ الشيخ محمد عبده (احمد تيمور باشا ومحب الدين الخطيب ومحمد الخضر حسين) (٩) .. والحقيقة ان جمعية الشبان المسلمين برغم انها «قد رفعت شعارات دينية صريحة الا انها لم تهتم في نشاطها العملي بتعميق التعاليم الاسلامية ، كذلك فانها قد توجهت اساسا الى الشبان ودوائر المتعلمين ولم تبذل اي جهد للتوجه نحو الجماهير وكانت الحاجة ملحة في الدوائر الاسلامية الى التركيز على العمل الديني في مواجهة التيارات العلمانية .. وهكذا تكونت جماعات عدة ذات واجهات متطرفة

---

٨ ــ المرجع السابق ، ص ٧٠ .

٩ ــ لمزيد من التفاصيل عن جماعة الشبان المسلمين راجع :
Heyworth - Dunne, J. - Religious and Political Trends in Egypt, (1950) pp. 11 - 14.

لكن احدا منها لم يستطع ان يعمق جذوره ، وان يكسب تأييدا كذلك الذي كسبته جماعة الاخوان المسلمين» (١٠) .

وهكذا فان حسن البنا برغم اتصاله بجماعة الشبان المسلمين، وبرغم انه كان مراسلا في الاسماعيلية لمجلة «الفتح» التي اشرف على تحريرها محب الدين الخطيب احد قادة الشبان المسلمين الا انه كان يشعر بالحاجة الى تأسيس جماعة من نوع جديد .

وكانت اتصالاته في الاسماعيلية تتبلور في عدد محدود ، وبرغم جهده المكثف واتصالاته الواسعة .. تبلور الامر في البداية في ستة من العاملين بالمعسكرات البريطانية .

كان ذلك في مارس ١٩٢٨ .. عندما اجتمع البنا بالرجال الستة . وقد حرص البنا على ان يروي لنا قصة الاجتماع الاول، وان يرويه بأسلوب درامي يوحي بأن الدعوة قد نبعت من نفوس اتباعه وانه لم يفرضها على احد .. لقد تجمع الرجال الستة .. وتوجهوا لحسن البنا وبعد ان شكروه على ما بذله من جهد في تعليمهم وتعريفهم بأمور دينهم قالوا .. «لقد سمعنا ووعينا وتأثرنا ، ونحن لا نعرف السبيل العملي للوصول الى عزة الاسلام وخدمة ورفاهية المسلمين . لقد سئمنا حياة الذل والقيد هذه .. وعار علينا ان نرى العرب والمسلمين بلا منزلة ولا كرامة اذ انهم ليسوا اكثر من اجراء وتابعين للاجانب . ونحن لا نملك شيئا الا دمنا وأرواحنا .. وقليل من المال ، وإنا لنشعر بالعجز عن تفهم الطريق الى العمل كما تفهمه انت ، ولا نعرف الطريق الى خدمة الوطن والدين والامة كما تعرفه انت . وكل ما نرغب فيه الان هو ان نقدم لك كل ما نملكه حتى نصبح في حل من المسؤولية امام الله ، ولكي تصبح انت مسؤولا امامه عما يجب ان نقوم به ، فاذا

---

10 — Khadduri - Ibid. p. 70.

تعاهدت مجموعة امام الله وباخلاص على ان تحيا في سبيل دينه وأن تموت في سبيله ، وعلى ألا تسعى الا الى ما فيه رضاه ، فسوف تضمن نجاحها وفلاحها مهما قل عدد اعضائها» (١١) .

وتبدو الصورة الدرامية واضحة من فخامة الاسلوب وعمق الفكرة ، ولعلها تبدو كذلك ايضا عندما يؤكد الشيخ البنا في حرص على ان الدعوة قد جاءته ولم يطلبها ، والبيعة قد اتته ولم يذهب اليها ، وانه حمل على كتفيه ـ دون ان يطلب ـ مسؤولية القائد .

وتكتمل الصورة الدرامية عندما يتحدث البنا عن تأثره العميق بكلمات الرجال الستة ، وتهيبه من تحمل المسؤولية التي القيت على عاتقه ، وكيف انهم اقسموا جميعا على ان يكونوا « جندا لرسالة الاسلام» وتباحثوا في اسم للجماعة فقال البنا «نحن اخوة في خدمة الاسلام ومن ثم فنحن الاخوان المسلمون» (١٢) .

وبرغم اختلاف الشيخ البنا عن الجماعات الدينية السابقة الا انه قد اعلن عن نفسه في البداية كجماعة دينية خالصة هدفها «الامر بالمعروف والنهي عن المنكر» (١٣) .

ويلاحظ ان البنا قد أكد ان جمعيته لم تكن في البداية سوى امتداد للجمعية الحصافية الخيرية التي دعت الى مكارم الاخلاق ومقاومة المنكرات وحملات التبشير «وقد كافحت الجمعية في سبيل رسالتها مكافحة مشكورة وخلفتها في هذا الكفاح جمعية

---

١١ ـ مذكرات الدعوة والداعية ، ص ٧٣ ـ ٧٤ .

١٢ ـ موسى اسحق الحسيني . المرجع السابق ، ص ١٧ .

وأيضا : عبد الباسط البنا ، تاج الاسلام وملحمة الامام ، ص ١٨ .

١٣ ـ د. يونان لبيب رزق ـ الاحزاب المصرية قبل ثورة ١٩٥٢ . مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية (الاهرام) (١٩٧٧) ـ ص ٨٨ .

الاخوان المسلمون» (١٤) وكان البنا يؤكد في البداية ان هـــدف جمعيته «يتلخص في الرجوع الى كتاب الله وسنّة رسوله ، وتطهير العقول من الخرافات والاوهام ، وارجاع الناس الى هدي الاسلام الحنيف» (١٥) .

ويلاحظ احد الباحثين ان هذه الاهداف لم تكن لتختلف مطلقا عن هدف أية جمعية اسلامية خيرية (١٦) ويعزز استنتاجه هـذا برؤية لاحد مؤسسي الجماعة هو د. عبد الرحمن حسب الله في ذكرياته التي يؤكد فيها ان الجماعة كانت في البداية تمثل جمعية خيرية (١٧) .

لكن البنا يعود فيؤكد «ايها الاخوان : انتم لستم جمعيـــة خيرية ولا حزبا سياسيا ولا هيئة موضوعية الاهداف محـدودة المقاصد ، ولكنكم روح جديد يسري في قلب هذه الامة ينجيـه بالقرآن ، ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله» (١٨).

ويلاحظ باحث آخر ان البنا كان يقدم لاتباعه مزيجا مـــن «التقاليد الصوفية المتجردة مع الفكر العقائدي واكن دون محتوى نظري ولو حتى في اطار اسلامي بحت» (١٩) .

وربما كان ذلك بسبب حرص البنا علـــى عدم التمذهب بجماعته . . بمعنى عدم اعلان انتماء جماعته او تفضيلها لمذهب

---

١٤ ـ مذكرات الدعوة والداعية ، ص ١٦ .

١٥ ـ المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

١٦ ـ السيد محمد عشماوي ـ تاريخ الفكر السياسي المصري ١٩٤٥ـ١٩٥٢ رسالة دكتوراه غير منشورة ـ ص ٢٠٢ .

١٧ ـ الاعتصام ، مايو ١٩٧٦ .

١٨ ـ حسن البنا ـ بين الامس واليوم ص ٢١ .

19 — Gibb, W.A.R, Modern Trends in Islam (1947) p. 7 .

من المذاهب الاربعة او لغيرها من المدارس او الحركات التي ظهرت على الامتداد التاريخي للعمل الاسلامي .. فالمذاهب الاربعة واجبة الاحترام والاختلافات بينهـــا يتعين النظر اليهـــا بعين الحب والاخاء .. فقد حرص البنا على الا يدع مجالا للاختـــلاف بين المسلمين ازاء دعوته (٢٠) .

وعلى اية حال فقد «نجحت جماعة الاخوان في تقديم نفسها كحركة دينية ، واعتبرت نفسها البديل عن تعثر الاتجاهـــات العلمانية وتعثر انماط وانظمة الحكم والقيم الاوربية «المستوردة»، وقدمت نفسها على انها قادرة على تقديم الحلول المحددة للقضايا الايديولوجية والتناقضات الاجتماعية التي واجهت المجتمـــع المصري في ذلك الوقت ، مؤكدة ان القرآن هو الاساس القـــوي لقيام مدينة فاضلة» (٢١) .

وقبل ان نحاول فحص هذه المقولة تفصيلا تلح علينا ملاحظة اوردتها باحثة في تاريخ الفكر السياسي المصري اذ لاحظت ذلـك الحماس غير المعتاد الذي استقبلت به جريدة كالاهرام .. جماعة الاخوان المسلمين . فمنذ نشأة الجماعة والاهرام يتابع بصـورة غريبة نشاط الجماعة مقرظا ومؤيدا .. في يناير ١٩٢٩ صورة للمؤسسين وعددهم اثني عشر عضوا .. وفي فبراير ١٩٢٩ خبر عن تأسيس فرع للجماعة في اسيوط ثم خبر عن افتتاح فـــرع القاهرة في شارع القصر العيني ، وبعدها اخبار عدة عن تأسيس فروع في نجع حمادي وبنها ... الخ (٢٢) .

ثم تعاود جريدة الاهرام التي اشتهرت بتحفظها التقليدي تجاه

---

٢٠ ـ حسن البنا ـ بين الامس واليوم ، ص ٩ .

٢١ ـ السيد محمد عشماوي ـ المرجع السابق ص ٤٠ .

٢٢ ـ آمال محمد كامل بيومي ـ التيارات السياسية في مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ . رسالة ماجستير غير منشورة ـ ص ٢٥ .

الجماعات الدينية وخاصة الاسلامية منها اهتمامها بل ودعايتها للجماعة : «ان الاخوان يقدمون للبيئة المصرية معهدا علميا متكاملا بانشائها قسما ليليا للغات الحية وآخر للفنون الجميلة نذكر منها الموسيقى الشرقية ، وفن التمثيل من الناحية الاخلاقية . وانشأت قسما للحفر ـ بالاضافة الى القسم الرياضي ، وبجانب هذه الاقسام اهتمت الجماعة بتكوين مكتبة عامرة بالمؤلفات النفيسة والمطبوعات مما جعلها مرجعا وافيا بحاجة الاعضاء» (٢٣) .

.. ونتجاوز هذه الملاحظة .. ونتركها كعلامة استفهام .

ونحاول ان نتقدم في بحثنا .. وامامنا خطوتان هامتان .

ان نلقي نظرة على ... الرجل

.. واخرى على ... الجماعة .

فقط يتعين علينا ان نحذر من ان مجرد محاولة فصل الرجل عن الجماعة تشبه محاولة الجراح استخدام مشرطه بين عضلتين في عضو واحد .

---

٢٣ ـ الاهرام ٢٠ يناير ١٩٣٠ .

الرجل ..

ماذا يمكن ان يحدث عندما ينصهر في بوتقة واحـــــدة ولاء الصوفي لشيخه ، ببيعة المريد لإمامه ، بوفاء السياسي لزعيمه ؟

الاجابة .. يحدث ذلك النوع الغريب من الحب الذي ربـط كل اخواني بالشيخ حسن البنا .. «ارم بنا حيث شئت ، فوالله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك» (١) هكذا حدثه احد أتباعه .

«كان كل منا يشعر انه يقف منه موقف المريد من شيخه ، وقد أسلم له القياد ليأخذ بيده الى الله» (٢) هكذا تحدث عنـــه

---

١ ـ مؤتمر طلبة الاخوان المسلمين (١٣٥٧ هـ) (من خطاب لمحمود الجنيدي جمعة عضو مكتب الارشاد العام) .

٢ ـ الدعوة ، ١٥-٢-١٩٥٥ ـ حسن العشماوي مقال : ماذا اقول عن حسن البنا ؟

واحد من كبار قادة الاخوان .

«كان يجلس على الحصير اذا كان المجلس ارضا ، وفي آخر الصفوف اذا اصطفت المقاعد للجلوس ، منكمشا فلا يكاد يرى ، متواضعا فلا يكاد يعرف ، يلبس في غالب احيانه الجلباب العادي من أرخص الاقمشة» (٣) هكذا وصفه زعيم اخواني آخر .

ويتحدث عنه كاتب امريكي فيقول «زرت هذا الاسبوع رجلا قد يصبح من أبرز الرجال في التاريخ المعاصر ، وقد يختفي اذا كانت الحوادث اكبر منه ، وذلك هو الشيخ حسن البنا زعيم الاخوان» ويقول «كان الرجل خلاب المظهر ، رقيق العبارة ، بالرغم من انه لا يعرف لغة اجنبية ، لقد حاول أتباعه الذين كانوا يترجمون بيني وبينه ان يصوروا لي اهداف هذه الدعوة وافاضوا في الحديث على صورة لم تقنعني ، وظل الرجل صامتا حتى اذا بدت الحيرة على وجهي قال لهم : قولوا له شيئا واحدا هل قرات عن محمد ؟ قلت نعم ، قال هل عرفت ما دعا اليه وصنعه ؟ قلت نعم ، قال هذا هو ما نريده . لقد نظرت الى هذا الرجل .. سمته البسيطة ، ومظهره العادي ، وثقته التي لا حد لها بنفسه ، وايمانه العجيب بفكرته ، وكنت أتوقع ان يجيء اليوم الذي يسيطر فيه هذا الرجل على الزعامة الشعبية ، لا في مصر وحدها ، بل في الشرق كله» (٤) .

ويمضي الكاتب الامريكي «لقد حمل حسن البنا المصحف

---

٣ ـ الدعوة ، ١٥ـ٢ـ١٩٥٥ ـ عبد الرحمن البنا مقال : الرجل الذي لم يحمل ضغنا .

٤ ـ الهلال ـ ابريل ١٩٧٧ ـ مقال : راي كاتب امريكي في حسن البنا ـ بقلم روبير جاكسون ـ ترجمة انور الجندي .

ووقف به في طريق رجال الفكر الحديث» و«كان الرجل القرآني يؤمن بأن الاسلام قوة نفسية قائمة في ضمير الشرق وانها تستطيع ان تمده بالحيوية التي تمكن له في الارض» .

.. وهكذا يمكننا ان نجد العشرات والعشرات من الآراء التي تثير دهشة القارىء لما قد يلمحه فيها من مبالغة .. والعجيب ان هذا القدر من الافراط في الحب لدى أتباع الشيخ يقابله مثله — وربما اكثر — من الخصومة والرفض لدى مناوئيه .

أي رجل هذا ...؟

نعود مرة اخرى .. الى فحص ملفه .

مدرس لغة عربية في مدرسة ابتدائية بالاسماعيلية .. وعندما بدأ نشاطه الجم في صفوف العمال والحرفيين خاض غمار هذا النشاط بحماس يفوق الوصف .. وكان حماسه هذا يأسر أتباعه وخصومه معا .. كان لا يعرف اليأس ولا التعب .. يقحم نفسه على المجلس اي مجلس محتميا بدعوته الى القرآن والدين .

قرر يوما ان ينشىء فرعا لجماعته في ابو صوير فسافر الى البلدة وحيدا ولم يكن يعرف فيها احدا ومضى في الشارع يتفرس في وجوه الناس في الطرقات والمقاهي والحوانيت حتى رأى صاحب دكان «وقورا مهيبا سمحا فيه صلاح وله منطق ولسان. ورأيته يبيع ويتحدث الى زبائنه فتوسمت فيه الخير فسلمت عليه وجلست اليه والى من معه في الدكان وقدمت له نفسي والغرض الذي من اجله زرت ابو صوير وانني توسمت فيه الخير ليحمل أعباء هذه الدعوة . واخذت في حديثي الفت نظر الجالسين الى نقط اساسية : الى سمو مقاصد الاسلام وعلو أحكامه والى ما في المجتمع من فساد وشر وسوء ، والى ان ذلك ناتج من تركنا لاحكام الاسلام . والى وجوب الدعوة الى تصحيح هذا الوضع والا كنا آثمين لأن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبذل النصيحة فريضة واجبة . والى ان الطريقة الفردية وحدها

لا تكفي» (٥) .

ويمكن القول ان رحلة ابو صوير هذه قد تكررت مئات بل وآلاف المرات ، والشيخ الشاب يحمل حقيبة صغيرة فيها ملابسه يتجول من قرية لقرية ، يقصد أعيان القرى يقيم في مضايفهم ، يتحدث ويناقش ويدعو، فان لم يجد صدرا رحبا فالمسجد موجود فيه يستريح ، وينام ، ويدعو الناس .

«وكان اعجب ما في الرجل صبره على الرحلات في الصعيد.. هذه الرحلات التي لا تبدأ الا في فصل الصيف حيث تكون بلاد الوجه القبلي في حالة غليان .. وفي احشائها يتنقل الرجل بالقطار والسيارة والدابة وفي القوارب وعلى الأقدام . وهناك تراه غاية في القوة واعتدال المزاج .. لا الشمس اللافحة ولا متاعب الرحلة تؤثر فيه ولا هو يضيق بها» .. «وقد أمدته هذه الرحلات في خمسة عشر عاما زار خلالها اكثر من الفي قرية .. وزار كل قرية بضع مرات بفيض غزير من العلم والفهم للتاريخ القريب والبعيد للاسر والعائلات والبيوتات واحداثها وامجادها وما ارتفع منها وما انخفض .. والوانها السياسية واثرها في قراها ، ورضا الناس عنها وبغضهم لها .. وما بين البلاد أفرادا واحزابا وهيئات وطوائف من خلافات او حزازات . وكان يزور احيانا بلدا من البلاد بلغت فيه الخصومة بين عائلتين مبلغها ، وكل عائلة تود ان تستأثر به لتنتصر على الاخرى فيقصد الى المسجد مباشرة، او يغير طريق سفره فلا يستقبله احد الا بعد ان يكون قد قصد الى دار عامل فقير في البلد . وكنت اذا قلت له فلان الحسيني مثلا او الحديدي او الحمصاني ، قال لك .. ان هذا الاسم تحمله خمس أسر او اربع احداها في القاهرة والثانية في دمنهور والثالثة في الزقازيق والرابعة في .. فأيهما تقصد ؟.. وقد

---

٥ ـ مذكرات الدعوة والداعية ، ص ١٠٠

حدثني انه كان يدخل بلدا من البلاد احيانا لا يعرف فيه احــــدا فيقصد الى المسجد فيصلي مع الناس ثم يتحدث بعد الصلاة عن الاسلام .. واحيانا ينصرف الناس عنه فينام على حصير المسجد وقد وضع حقيبته تحت راسه والتف بعباءته» (٦) .

كانت هذه الشبكة الواسعة جدا من العلاقات الشخصية هي مصدر زعامة حسن البنا وهيمنته على الجماعة .. فان عشرات الالوف من اعضاء الجماعة كانوا يفخرون بانهم اصدقاء شخصيون للمرشد (٧) .. ومن هذه الصداقات وبها اقام المرشد جماعتــه وهيمن عليها .. وعندما كانت الجماعة بصدد شراء المبنى الـذي اصبح مركزا عاما لها واشفق البعض من ضخامة الثمن المطلوب قال البنا ببساطته المعهودة «انني أعرف شخصيا عشرة آلاف من الاخوان المسلمين ، كل منهم مستعد ان يعطيني اي شيء أطلبه منه .. وقد غطي المبلغ خلال اسبوع» .

واذا كان البنا يجذب مريديه ببساطته وعلاقاته الشخصية ، فان أتباعه قد بالغوا الى حد كبير في اضفاء هالات من الزعامــة حوله .. فاذا كان هو قد اختار لنفسه لقب «مرشد» فان أتباعه كانوا يطلقون عليه اسماء عدة منها رجل الساعة ــ والقائـــــد الاسلامي ــ والاخ الروحي ــ والمناضل العربــي ــ والمصلــــح الاجتماعي ــ والمؤمن القوي (٨) . واذا كانت دراسات عديدة قد افاضت في اسباب وبواعث قوة جماعة الاخوان المسلمين فـــان كتّاب ومفكري الجماعة انفسهم قد أكدوا اكثر من مرة «ان سر

---

٦ ــ الهلال ــ ابريل ١٩٧٧ ــ راي كاتب امريكي في حسن البنا ، المرجع السابق .

٧ ــ الرسالة ، ٢٨ــ٤ــ١٩٥٢ .

8 — Mitchell - Ibid. p. 297.

نجاح الحركة كان يكمن في شخصية البنا» (٩) بل أن كاتبا آخر من مؤرخي الاخوان يقول «ان سيطرة البنا على أتباعه كانت مطلقة كاملة الى درجة تصل الى السحر» (١٠) .

وقد وصفت جريدة مصرية في تهكم واضح طبيعة العلاقة بين المرشد وأتباعه فقالت «اذا عطس المرشد في القاهرة قال له الاخوان في اسوان يرحمكم الله» (١١) .

.. وعندما مات البنا كتب احد أتباعه قائلا «سأحي وأموت مقيما على ولائي لك» (١٢) .

لقد كان البنا زعيما حقا لا جدال في ذلك .. ولقد أعد نفسه منذ البداية ليكون كذلك .. فهو يقول «يجب إن يكون الزعيم زعيما تربى ليكون كذلك ، لا زعيما خلقته الضرورة وزعمته الحوادث فحسب ، او زعيما حيث لا زعيم .. ان زعماء خلقتهم الظروف ، ارادوا ان يستعجلوا النتائج قبل الوسائل وخدعتهم غرارتهم بقيادة الشعوب ومكائد السياسة فظنوا السراب ماء»(١٣).

ومنذ البداية صمم المرشد على ان يعود أتباعه على الطاعة المطلقة .. أليست هي «البيعة في المنشط والمكره» ، وعندما كان المرشد يستعد لمغادرة الاسماعيلية منقولا الى القاهرة مدرسا بمدرسة عباس بالسبتية اختلف مع بعض اعضاء الجماعة هناك حول من يخلفه في قيادة الشعبة .. ولاين البنا المختلفين معه

---

٩ ـ فتحي العسال ، حسن البنا كما عرفته . المرجع السابق .

١٠ ـ موسى اسحق الحسيني ، المرجع السابق ، ص ٥٤ .

١١ ـ أبو الحسن الندوي ، مذكرات سائح في الشرق العربي (١٩٥٤) ص ٢٦ .

١٢ ـ احمد أنس الحجاجي ، الرجل الذي أشعل الثورة (١٩٥٢) ص ٢

١٣ ـ مذكرات الدعوة والداعية ، ص ١٤٦ .

لكنهم صمموا على اختلافهم وابلغوا ضده النائب العام على اساس انه قد بـدد أموال الجماعة .. فلما خرج من التحقيق بريئـا حاولوا ملاحقته بالاتهام لدى ناظر مدرسته بالقاهرة .. وهنـا ظهرت لاول مرة قوة الردع البدني في الجماعة حيث تجمع عدد من اصدقاء المرشد «واعتدوا على المنشقين بالضرب وقبض عليهم وقدموا للمحاكمة» (١٤) .والغريب ان البنا يورد الواقعة دونما تحرج او استنكار لاسلوب «التعدي» على الخصوم السياسيين.. وبعد حادث مدرسة عباس الابتدائية بالسبتيـة .. بدأ الضرب والاعتداء البدني على خصوم الجماعة أسلوبـا معتمدا مـن الاخوان .

ويتحدث البنا عن هذا الاختلاف قائلا «الواقع ان هذا المظهر كان جديدا وغريبا على أوضاع الاخوان التي لم تعرف الا الوحدة الكاملة والاندماج الكامل ، فراي احدهم هو راي جميعهم ..» بل هو يؤكد ان المخالفين له قد تلبسهم الشيطان وزين لهـم ذلك .. ثم لا يلبث أن يسميهم بالخوارج ويؤكد ضرورة اخذهم بالحزم «فان من يشق عصا الجمع ، فاضربوه بالسيف كائنا من كان» لكنه يتأسف «لاننا تأثرنا الى حد كبير بالنظم المائعة التـي يسترونها بألفاظ الديمقراطية والحرية الشخصية»(١٥) . ولنتأمل هذه العبارة فهي تلخص كل فلسفة الشيخ في العمل التنظيمـي وفي حقوق المختلفين معه في الراي .. وهي تشرع للاخوان الحق في ان يضربوا المختلفين معهم في الراي «بالسيف» .. ولعلهم قد اطاعوا شيخهم كثيرا في هذا الصدد .

وعلى اية حال فان المرشد لم يكن ليخفي سيطرته المطلقة على الجماعة بل لعله كان حريصا على ابرازها فهو يقول «ان فرعـي

---

١٤ ــ المرجع السابق ، ص ١١٦ .

١٥ ــ المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

جمعية الاخوان بالمحمودية وشبراخيت سوف لا ينفعان كثيرا لانهما انشئا بغير اسلوبي ولا ينفع في بناء الدعوة الا ما بينت بنفسي وبجهود الاخوان الحقيقيين والذين يرون لي معهم شركة في التهذيب والتعليم وهم قليلون» (١٦) .

والاخ المثالي في نظر المرشد هو من لا راي مستقل له «والاخ الشيخ .. له اساليبه الخاصة ، وهو ينظر لي كاخ وزميل فلا يصغي لآرائي الا قليلا ، ومن هذه الناحية يكون توحيد الفكر ضربا من التعسر ، فالاعتماد عليه مخاطرة كذلك» (١٧) ، وهو يشكو .. ويشكو من رجاله «انني اتمنى ان يكون الى جانبي رجال يفهمون ويدبرون فأسلم اليهم هذا العمل وارتاح بهم قليلا واطمئن الى مقدرتهم .. ولكن اين هم (!)» (١٨) .

لكن اغرب ما كتبه البنا في هذا الصدد عبارة تستحق التأمل لانها توضح طبيعة تقييمه للمتعاونين معه من رجاله فهو يشكو من انه يجد نفسه بين «ضعف الامين وخباثة القوي» ونتأمل هذه العبارة ولا نملك الا الدهشة .

وكان البنا هو المنظم الاساسي للجماعة وصاحب نظريتها التنظيمية فصاغ للجماعة «فكرا وتنظيما بما يجعلها مرتبطة به شخصيا ، وما يجعله المسيطر الاوحد عليها ، المسك بأعنتها والموجه لنشاطها وقد استغل في ذلك عاملين اولهما : الغموض المحيط بأهدافها وبطبيعتها وبمناهجها العملية كدعوة سياسية وثانيهما : بناء تنظيم الجماعة بطريقة تجعله صاحب الامر وحده وتجعل سائر اجهزة التنظيم ومستوياته ولجانه مجرد كيانات

---

١٦ ـ المرجع السابق ، ص ١٥١ .
١٧ ـ المرجع السابق ، ص ١٤٢ .
١٨ ـ المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

استشارية يملك عليها الامر ويجب عليها له السمع والطاعة»(١٩).

وعندما اجتمع المؤتمر الثالث للاخوان ليحدد الهيكل التنظيمي للجماعة ويشكل هيئاتها المختلفة فانه ينتهي الى فقرة تقول «وقد ترك المجتمعون لفضيلة المرشد العام تحديد مهمة كل هيئة من هذه الهيئات ووضع البيان الذي يوضح ذلك التحديد» (٢٠) . وهكذا منح المؤتمر تفويضا شاملا للمرشد بالسيطرة على كل اجهزة الجماعة وهيئاتها .

وكانت الهيئة التأسيسية لجماعة الاخوان تتكون من ١٥٠ عضوا «وهي بمثابة مجلس الشورى العام ، والجمعية العمومية لمكتب الارشاد وتضم من سبقوا للعمل للدعوة .. وهي من يمنح العضوية لنفسها بمعنى انها شكلت اولا بالاختيار ثم تتولى هي اختيار الاعضاء لها .. وينبني الهيكل الاساسي للتنظيم على مبدأ الاختيار من اعلى» (٢١) .

وكان مكتب الارشاد يتكون من ١٢ عضوا ، ٩ اعضاء من القاهرة ، ٣ من الاقاليم (٢٢) . ويشير بعض معارضي البنا الى ان مكتب الارشاد كان في بداية الامر مكونا من عشرين عضوا فلما ثارت ازمة صهره عبد الحكيم عابدين والتهم الاخلاقية التي وجهت اليه استخدم البنا سلطته في تخفيض عدد اعضاء مكتب الارشاد الى ١٢ عضوا ليسهل سيطرته على المكتب بعد ان يتخلص من

---

١٩ — طارق البشري ، المرجع السابق ص ٣٦٧ .

٢٠ — مذكرات الدعوة والداعية ، ص ٢٠٦ .

٢١ — محمد شوقي زكي ، الاخوان المسلمون والمجتمع المصري — دار العهد الجديد للطباعة (١٩٥٤) .

٢٢ — قانون النظام الاساسي لهيئة الاخوان المسلمين العامة ، م١٩ ، ص ١٦ .

خصوم صهره (٢٣) . وعلى اية حال فان كل تاريخ الجماعة يؤكد ان سلطات المرشد كانت مطلقة .

وعندما بدأ عبد المجيد حسن (قاتل النقراشي) يدلي باعترافاته قال «قد أخبرني عبد السميع الغتيمي الذي استقال من جماعة الاخوان ان سبب خروجه من الجماعة هو ان الاستاذ حسن البنا كان يفرض ارادته على مكتب الارشاد العام» (٢٤) .

وثمة شاهد آخر هو صالح عشماوي فهو يكتب قائلا «عند اول عهدي بعضوية مكتب الارشاد ثار البحث هل الشورى في الاسلام ملزمة ام غير ملزمة ؟ اي هل يتقيد فضيلة المرشد العام برأي مكتب الارشاد ام ان المكتب هيئة استشارية للمرشد له ان يأخذ برأيها او يخالفه اذا شاء . وكان راي الامام الشهيد ان الشورى ليست ملزمة وللمرشد ان يأخذ برأي المكتب ويجوز له ان يخالفه» (٢٥) . والغريب ان عشماوي يورد هذا الامر مدحا في فضيلة المرشد الذي ما ضاق ابدا بمطالبة البعض بالديمقراطية .. وان كان قد حرمهم منها بحزم ..

ولكن هناك شاهد ثالث من كوادر الاخوان سجل في صراحة فريدة معارضته بل وتهكمه لاسلوب المرشد في السيطرة على الجماعة .. يقول هنداوي دوير احد قادة الجهاز السري للاخوان في شهادته امام محكمة الشعب «الاستاذ البنا ترك ١٠٠ شخص او اكثر كلهم قد بعض ولا يدينون لاحد بالولاء .. والاستاذ البنا كان غاوي بترينات .. يعني المحل مثلا في الظاهر والبترينة في

---

٢٣ ـ الجمهورية ، ٢٣ـ٩ـ١٩٥٤ .

٢٤ ـ لطفي عثمان ، قضية مقتل النقراشي باشا ـ القاهرة (١٩٥٠) ص ٣٧ .

٢٥ ـ الدعوة ، ١٢ـ٢ـ١٩٥٢ . مقال صالح عشماوي .

شارع فؤاد .. ومعنى ذلك انه كان يضم الى الجمعية التأسيسية اناسا لا صلة لهم بالاخوان المسلمين ، فمثلا جه واخد من النيابة خرج برشوة ، وبصينا لقيناه عضو في الجمعيـــة التأسيسية ، والواقع ان الشيخ حسن البنا كان يضعهم جميعا في الظل لانـه رجل عملاق . فلما الاستاذ البنا اخذ بهذه الصورة لم يكـــن للهيئة التاسيسية قوة ارادية او اي صفة» (٢٦) .

ولم يكن ذلك غريبا على منطق الاخوان .. فقد كانت ادبياتهم تؤكد انه «يجب على الاخ ان يعد نفسه اعدادا تاما ليلبي امـــر القائد في اية ناحية ، وان الدعوة تتطلب منا ان نكون جنــودا طائعين لقيادة موحدة لنا عليها الاستماع للنصيحة ، ولها علينا الطاعة كل الطاعة في المنشط والمكرة» (٢٧) .

وفي رسالة «التعاليم» التي صاغها المرشد جاء انه يتعين على العضو «الثقة بالقائد والاخلاص والسمع والطاعـــــة في العسر واليسر والمنشط والمكرة» (٢٨) وقد كتب احد قادة الاخوان مخاطبا المرشد قائلا «ان من حقك علينا الطاعة ، على هذا بايعنا وعاهدنا، ولنا فيك الثقة الكاملة وعندك الطمأنينة الشاملة» (٢٩) .

ولكنه من حق الاخوان علينا ان نعود بالامر الى جـــــذوره الاصلية .. فالجوهر في كل ذلك هو فكرة البيعة . وقسم البيعة عند الاخوان يقول «اعاهد الله العلي العظيم على التمسك بدعـوة الاخوان المسلمين والجهاد في سبيلها والقيام بشرائط عضويتهـا

---

٢٦ ـ محكمة الشعب ـ الجزء الاول ـ المحاكمات التي تمت من ٩ ـ ١٣ نوفمبر ١٩٥٤ ، محاكمة محمود عبد اللطيف ـ شهادة هنداوي دوير ص ٣٣ .

٢٧ ـ الاخوان المسلمون (الاسبوعية) ٢٦ـ١٠ـ١٩٤٦ ـ حديث الاسبوع .

٢٨ ـ حسن البنا ، رسالة التعاليم .

٢٩ ـ انور الجندي ، الاخوان المسلمون في ميزان الحق ـ ص ٦٩ .

والثقة التامة بقيادتها والسمع والطاعة في المنشط والمكـــرة . واقسم بالله العظيم على ذلك وابايع عليه والله على ما اقــــول وكيل» (٣٠) . والبيعة في رأي المفكر الاسلامي ابن خلدون « هي العهد على الطاعة ، كان المبايع يعاهد اميره على ان يسلم له النظر في امر نفسه وامور المسلمين ، لا ينازعه في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه من الامر في المنشط والمكرة» (٣١) .

وتستند فكرة البيعة الى حديثين شريفين ، الاول يقول «من مات وليس في عنقه بيعة فقد مات ميتة جاهلية» ويقول الثاني «من بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع فان جاء آخر ونازعة فاضربوا عنق الآخر» .

ويحاول ابو الاعلى المودودي وهو واحد من اشهر المفكريـــن الاسلاميين في نظر الاخوان المسلمين ان يضع الاطار النظـــري لفكرة الخضوع المطلق للمرشد فيقول «لا ينتخب للامارة الا من كان المسلمون يثقون به وبسيرته وبطباعه وخلقه ، فاذا انتخبوه فهو ولي الامر المطاع في حكمة ولا يعصى له امر ولا نهي ويعتمد عليه في تنفيذ الاوامر اعتمادا كاملا» . والمودودي لا يعتد برأي الاغلبية « فالاسلام لا يجعل من كثرة الاصـــوات ميزانا للحــــق والباطل . . فانه من الممكن في نظر الاسلام ان يكون الرجل الفرد اصوب رأيا واحد بصرا في مسألة من المسائل من سائر اعضاء المجلس ، فان كان الامر كذلك فليس من الحق ان يرمى برأيه لانه لا يؤيده جمع غفير ، فالامير له الحق ان يوافق الاقلية او الاغلبية

---

٣٠ ـ قانون النظام الاساسي لهيئة الاخوان المسلمين وشعبها طبقا للتعديل الذي أقرته الجمعية العمومية باجتماعها غير العادي (٣٠ يناير ١٩٤٨) ص ٧ .

٣١ ـ د. حسين فوزي النجار ، الاسلام والسياسة . دار الشعب ـ القاهرة (١٩٧٧) ص ١٧٤ .

في رأيها وكذلك له الحق ان يخالف اعضاء المجلس كلهم ويقضي برأيه» (٣٢) .

ولم يفعل البنا اكثر من انه قد سار على هذا النهج .

وهكذا استمد البنا قوته المهيمنة على الجماعة .. من النظرية التي البست فكرة البيعة ثياب الخضوع المطلق .. ومن امساكه بزمام كل امر من امور الجماعة ما خفي منها وما ظهر .. فقد علم عن المرشد انه كان يخفي لنفسه وحده كثيرا من المصادر والشخصيات .. التي يستمد منها العون كلما اراد وبحيث «يكون في خفاء بعض علاقاته خفاء لبعض جوانب شخصيته عن الآخرين وخفاء لبعض مصادر قدرته ومصادر معرفته» (٣٣) .. ويذكر السادات ان حسن البنا كان يجمع خلال الحرب السلاح ويخزنه بغير ان يطلع اقرب الناس من كبار الاخوان على ذلك .. ويقول السادات «ان حسن البنا وحده كان الرجل الذي يعد العدة لحركة الاخوان ويرسم سياستها ثم يحتفظ بها لنفسه ، وان اقرب الناس اليه لم يكن يعرف من خططه شيئا ولا من اهدافه شيئا» (٣٤) .

وكان الجهاز السري .. والسلاح مصدرين جديدين من مصادر القوة الطاغية للشيخ .. كذلك فانه في تنظيم كجماعة الاخوان المسلمين .. تكون الغيبية هي الاخرى سلاحا في اطلاق الامام او الشيخ .

يقول طارق البشري في اشارة الى هذه المسألة «وعندما غيب عن الفرد الفهم وتصبح صور الماضي هي الرصيد الوحيد

---

٣٢ ـ ابو الاعلى المودودي ، نظرية الاسلام السياسية ـ القاهرة (١٩٧٧) ٢٩ ـ ٣٠ .

٣٣ ـ اسحق موسى الحسيني ، المرجع السابق ص ١١٤ .

٣٤ ـ انور السادات ، اسرار الثورة المصرية ـ ص ٦٦ .

لديه .. واذا كان الهدف غير واضح فستكون وسيلته هي العمل الخارق للعادة غير المستند الى فهم الواقع ، وتتعلق الابصار بالفكرة القديمة فكرة المهدوية والامام الذي سيملأ الارض عدلا ونورا بعد إن ملئت ظلما وجورا ، ويفصل الامل في التحرر عن الواقع .. وتكون غاية الانسان هنا لا ان يشارك في صنع مستقبله ولكن ان يكل الى غيره زعيما او إماما رسم المستقبل وصنعه ، ولهذا يبايعه على السمع والطاعة ويدرب نفسه على الانصياع لاوامره ونواهيه ، ويجد تحقيق ذاته في هذا الانصياع » (٣٥) .

وتأتي هذه الهيمنة على الفرد من خلال تداخل الجماعة وعقيدتها في شؤون الفرد ودخائل حياته وتسللها الى كل وقائعها فهي تضع مئات من الاوامر والنواهي تحكم حركته وتصرفاته في حياته اليومية . فهي تنصحه بالتزام طريقة معينة في التحدث والضحك وهي تلزمه بتعليمات معينة متعلقة بصحته (المكيفات . التدخين . النظافة . الرياضة . الطعام) وبتعليمات متعلقة بثقافته (ماذا يقرأ ومتى وكيف ؟) ، وتعليمات متعلقة بتعامله مع الناس (الحياء ـ التأثر ـ الشجاعة ـ الصدق الوفاء ... الخ) وتعليمات متعلقة بتعاملاته المالية ، وتعليمات حول علاقته بربه واخرى حول علاقته بالدعوة وثالثة تحدد له واجبات ما قبل النوم ورابعة تحدد له واجبات لحظات الاستيقاظ .

.. وهكذا تحيط الجماعة بالفرد وتقيم من تعليماتها سياجا يحصره تماما في اطارها وتهيمن على كل نثريات حياته وبالتدريج يشعر هو وكأنه يستمد وجوده المادي من الجماعة .. ومن إمامها .

---

٣٥ ـ طارق البشري ، المرجع السابق ، ص ٦٦ .

وهي تحتم على العضو «ان يتخلى عن صلته بأية هيئة او جماعة لا يكون الاتصال بها في مصلحة الدعوة» (٢٦) .

ويتم هذا كله في مناخ يسوده عبق سلفي وتهويمات غيبية تحيط بالامام والجماعة ومنشآتها وافرادها .. ويروي حسن البنا كيف ان احد الشيوخ قد نصحه بأن يعمق عبق السلفية في جماعته قائلا «يا اخي سم ، فأقول وما أسمّي يا سيد محمد ؟ فيقول : سم اخوانك واصحابك ومنشآتك قل لهذا انك تشبه ابا بكر ، ولهذا انك تشبه عمر فان هذا يبعث فيهم الحمية .. وسم منشآتك معهد حراء للبنين ، مدرسة أمهات المؤمنين للبنات ، نادي الخندق» (٢٧) . واتقن الشيخ البنا فن اطلاق التسميات بصورة بعثت الفخر في نفوس رجاله الذين اسماهم «رهبان الليل وفرسان النهار» .

وفوق هذا كله كان الرجل خطيبا قادرا على ان يدير رؤوس أتباعه بحلو كلامه وبساطته وعمقه . وأن يحيط نفسه وكلماته برحيق اسلامي يؤثر في نفوس هؤلاء الاتباع .

وكان «حديث الثلاثاء» وسيلة للهيمنة المباشرة على قلوب أتباعه ..

ومنذ عام ١٩٣٩ بدأ حسن البنا يعقد مساء كل ثلاثاء لقاءات مع اعضاء الجماعة في المركز العام(٢٨) ليحدثهم عن أمور الدعوة .. وتاريخ الاسلام ، وليحدثهم عن المشكلات الاقتصادية والاجتماعية

---

٣٦ ــ انور الجندي ، الاخوان المسلمون في ميزان الحق ، ص ٤٢ .

٢٧ ــ مذكرات الدعوة والداعية ، ص ٩٨ .

٢٨ ــ عبد الباسط البنا ، تاج الاسلام وملحمة الامام ــ القاهرة (١٩٥٢) ص ٢٦ .

من وجهة نظر اسلامية (٣٩) . وكان قادرا دوما على ان يخلق رباط روحي بينه وبين مستمعيه (٤٠) . وبحديث الثلاثاء الذي واظب حسن البنا عليه .. واصبح البنا بشخصه اقوى اداة تثقيف وإعلام في الجماعة (٤١) .

وقد ظل يوم الثلاثاء ذا تاثير خاص في نفوس اعضاء الجماعة جميعا .. يوم يحتشدون بالآلاف في فناء المركز العام ثم يطلع عليهم الامام «في جلبابه الابيض ، وعباءته البيضاء وعمامته الجليلة بينما تنطلق الحناجر بالهتاف .. الله أكبر ولله الحمد» (٤٢) .

وفي خطبه كان البنا يقدم ردودا سهلة وبسيطة في ظاهرها، ولكنها تستهدف الامعان في تعميق المناخ السلفي ، بل ويصل الامر الى تشبيهه نفسه في بعض الاحيان بالرسول .. وقد سأله واحد من الحاضرين يوما — وربما في محاولة لاحراجه — من اين ينفق ؟ — وكان قد ترك وظيفته الحكومية — فقال في هدوء «كان محمد يأكل من مال خديجة ، وانا آكل من مال «أخو خديجة» يقصد صهره» (٤٣) .

وبالنسبة للبنا كانت الخطابة سلاحا هاما .. بل لعلها كانت احد الشروط التي حددها كضرورة يتعين توافرها في اي كادر من كوادر الجماعة ، بل لقد كان يشرف بنفسه على تعليم هؤلاء الكوادر فنون الخطابة الاسلامية . وفي عام ١٩٣٨ أشرف البنا بنفسه على اول «مدرسة للكادر» نظمتها الجماعة لتلقين الكوادر

---

٣٩ — عبد الخبير الخولي ، قائد الدعوة الاسلامية ، حسن البنا (١٩٥٢) ، ص ٢١ .

٤٠ — محمد لبيب الكبوهي ، الايمان والرجل — القاهرة (١٩٥٠) ص ٥٩ .

41 — Mitchell - Ibid - p. 189.

٤٢ — الهلال ، ابريل ١٩٧٧ — راي كاتب امريكي .. المرجع السابق .

«الدعوة والارشاد» (٤٤) .

.. ولنواصل فحصنا لملف الشيخ بحثا عن مختلف جوانب شخصيته .. فالذين تابعوا الحياة السياسية للشيخ يرون كيف استخدم المناورة أسلوبا لتعامله السياسي .. وكيف انه فهم الحياة السياسية على انها مناورات ودسائس ، يتعين على كل من يخوضها ان يتقنها وان يمارس هذه الاساليب بل وأن يتفوق على غيره في هذا الصدد .

وربما قاده ذلك الى بعض «اللامبدئية» يلاحظها كل من تابع خطوات تحالفاته السياسية وتقلبها دون مبرر مقبول الا المصلحة الذاتية .

و«اللامبدئية» مغرية تستدرج السياسي .. الى الاسهل والاقرب لكنها تقوده في النهاية الى مواقع الخطر .. وهي مغرية بمعنى انها عندما يتلمسها الانسان تحتويه وتقوده في كل تصرفات حياته ابتداء من العلاقة مع السلطة والرؤساء الى أبسط نثريات الحياة .

يحكي صالح عشماوي وهو واحد من القربين من المرشد انه هاجم ذات مرة احدى الهيئات الرسمية نطلبت اليه الحكومة ان يعدل عن هجوه او تقدمه الى المحاكمة فرفض العدول ولكن الشيخ البنا نصحه قائلا «اكتب يا صالح ما يطلب منك» . ويمضي صالح قائلا « لقد عرفت عن الامام قوله : اوصي الذين يتعرضون للعمل العام ويرون انفسهم عرضة للاحتكاك بالحكومات الا يحرصوا على الكتابة فذلك أروح لأنفسهم وللناس ، وأبعد عن فساد التعليل وسوء التأويل» (٤٥) . انه «الغموض» كمدرسة وخطة في العمل السياسي سوف نرى آثارها في صفحات قادمة . كذلك

---

44 — Mitchell - Ibid, p. 190.

٤٥ ـ الدعوة ، ٢٢-٤-١٩٥٢

قولته لصالح عشماوي هذه «اكتب يا صالح ما يطلب منك» تقودنا الى احد مفاتيح شخصية الشيخ ... وتذكرنا انه هو نفسه قد كتب ذات يوم ما طلب منه .. كتب يدين رجاله وهم رهن القيد ويصفهم بأنهم «ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين» مؤملا بموقف «لامبدئي» أن ينقذ بعضا من بقايا الجماعة في محنة ١٩٤٨ .. لكن الواقع اثبت ان خصومه كانوا اكثر منه ذكاء اذ ايقنوا أن خطوة واحدة الى الخلف من القائد سوف تدمر الجيش كله وتدفع السجناء الى الانهيار .. والاعتراف . وقد كان .

.. ومرة اخرى نعود الى ملف الشيخ .

كانت الجماعة في ايامها الاولى بالاسماعيلية تحاول ان تجمع تبرعات لبناء اول مقر لها .. وجاءت اولى التبرعات من شركة قناة السويس خمسمائة جنيه (وتلك علامة استفهام نسجلها ونمضي) ويفزع بعض المخلصين من أتباعه ويتساءلون حول جواز قبول تبرع من شركة إستعمارية كشركة قناة السويس وحول جواز بناء مقر للجماعة ومسجد بهذا المال ، ويجد الشيخ المخرج السهل «هذا مالنا لا مال الخواجات ، والقناة قناتنا والبحر بحرنا ، والارض ارضنا وهؤلاء غاصبون في غفلة من الزمن» (٤٦) .

وكان البنا يستخدم في بعض الاحيان وسائل في الاقناع تكشف عن نفس النهج .. اغضبه الموقف السلبي لشيوخ الازهر من جماعته ودعوته فوجه حديثه اليهم قائلا «أن لم تريدوا ان تعملوا لله فاعملوا للدنيا وللرغيف الذي تأكلونه فانه اذا ضاع الاسلام في هذه الامة ضاع الازهر وضاع العلماء فلا تجدون ما تأكلون ولا ما تنفقون فدافعوا عن كيانكم ان لم تدافعوا عن كيان الاسلام» .. ونتأمل هذه الكلمات ولا نملك الا الدهشة .

---

٤٦ ـ مذكرات الدعوة والداعية ، ص ٩٦ .

والشيخ يتخذ من التعليم الحديث موقفا شديد «السلفية» ، بل هو يرتد بموقفه هذا الى مواقف تناساها حتى السلفيون انفسهم . وفي خطابه الاول في مسجد الاخوان بالاسماعيلية حرص على الدعوة لاقامة دور للتعليم الديني مهاجما مدارس التعليم الحديث واصفا اياها بالمدارس المبتدعة التي يخرج منها الابناء «وقد تسممت عقولهم بالافكار الخبيثة الفرنجية وحشيت ادمغتهم بالآراء الالحادية وشبوا على التقليد والاباحية» (٤٧) .

***

ويتحول الاعجاب بالمرشد الى مبالغات يتوقف عندها الباحث لا ليتساءل عن مدى صحتها ، وانما عن هذا الحماس في المبالغة في الحديث عن الشيخ .. فكاتب امريكي – مثلا – يقول «لقد كانت شخصية حسن البنا جديدة على الناس ، وعجب لها كل من رآها واتصل بها .. كان فيه من الساسة دهاؤهم ، ومن القادة قوتهم ومن العلماء حججهم ، ومن الصوفية ايمانهم ، ومن الرياضيين حماسهم ، ومن الفلاسفة مقاييسهم ، ومن الخطباء لباقتهم ، ومن الكتاب رصانتهم ، ثم هو فوق كل هذا «يعرف لغات الازهريين والجامعيين والمهندسين والصوفية واهل السنة ، ويعرف لهجات الاقاليم في الدلتا وفي الصحراء وفي مصر الوسطى والعليا وتقاليدها . بل انه يعرف لهجات الجزارين والفتوات واهالي بعض احياء القاهرة .. وكان في حديثه اليهم يروي لهم من القصص ما يتفق مع ذوقهم وفنهم ، بل كان يعرف لغة اللصوص وقاطعي الطريق والقتلة وقد القى اليهم مرة

---

٤٧ – المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

حديثا (!)» (٤٨) .

واذا كان البنا قد اخذ من الازهريين لغتهم وحججهم ومن الصوفيين ايمانهم فانه لم يقبل منهم ولا من غيرهم مشاركة له ولجماعته في كونها «جماعة المسلمين» اي صاحبة الحق في تمثيل مصالح مجموع المسلمين .. فالازهريون قادتهم وجمهورهم في نظر الشيخ «دينيون رسميون» وكانت لهجته تجاه رجال الازهر لهجة عدائية دوما .. وهو يحمل علماء الازهر بسلبيتهم وعزوفهم عن خدمة الاسلام خدمة حقيقية جزءا من مسؤولية «تدهور احوال الامة الاسلامية» (٤٩) . ولكن الشيخ كان حريصا على الا يخوض معركة سافرة وصريحة ضد رجال الازهر وعلمائه وان اتى بعض اتباعه ليفجر هذا الصراع عنيفا معلنا ان في مصر مجموعتين اسلاميتين: المجموعة الرسمية والمكونة من رجال الازهر ومجموعة «الجمعيات الاسلامية» وهما لا تلتقيان (٥٠) ويقول محمد الغزالي ، وهو احد قادة الاخوان ، «لقد نام علماء الازهر وتبعهم المجتمع الاسلامي» (٥١) .

بل ان الشيخ الغزالي يغالي في هجومه على علماء الازهر قائلا «ان اسلام الازهر هو الاسلام الذي يدعمه الاستعماريون»(٥٢).

---

٤٨ ـ الهلال ـ مايو ١٩٧٧ . مقال : حسن البنا في رأي كاتب امريكي .

٤٩ ـ مجلة الشباب ١٤-١١-١٩٤٧ ، ص ٣ . وراجع ايضا احمد انس الحجاجي ، رسالة من المريخ ، ص٥٦ .

٥٠ ـ محمد الغزالي ، الاسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والراسماليين (الطبعة الثالثة ١٩٥٣) ص ٢٦ .

٥١ ـ محمد الغزالي ، في موكب الدعوة ـ (١٩٥٠) ـ ص ١٢ .

٥٢ ـ محمد الغزالي ، الاسلام والاستبداد السياسي ـ القاهرة (١٩٥٠) ـ ص ١٢ .

واذا كان الشيخ البنا يرى ان فشل الازهر في رسالته يرجع الى انه يهتم بتخريج علماء حفظوا مواد العقيدة عن ظهر قلب ولـــم يستوعبوها روحيا (٥٣) فان محمد الغزالي قد تطرف الى درجة القول بانه «يعرف رجالا من شيوخ الازهر يعيشون كمـا تعيش ديدان البلهارسيا والانكلستوما من دماء الفلاحين والبؤساء» (٥٤).

اما «الصوفيون» فقد لاينهم الشيخ البنا .. فهو منهم اولا واخيرا وكذلك عدد كبير من مريديه .. وان كان قد حذر منهـــم تحذيرات خفية .. واتى الشيخ الغزالي ليكمل كعادته حلقــــة الهجوم .. فالصوفية في نظره او في نظر جماعة الاخـــوان المسلمين «من بقايا عصور الاقطاع تستخدم لتخدير الجماهير»(٥٥).

وكان الشيخ لم يكفه كل ما حازه من نفوذ وهيمنة على نفوس اتباعه ، فلجأ بالاضافة الى كل ما سبق الى نسج هالات مـــن الغموض والقداسة والخوارق حول نفسه .. ولم يكن المرشـــد بالرجل الذي يقول ذلك بطريقة فجة قد تاتي بعكس النتائـــج المرجوة بل يقول هذه المسائل عرضا .. ودون تكلف ، ولهذا كانت تاتي فعلها في نفوس الاتباع وتخلق حوله هالات من التقديس ..

فكل الامور مهما تعقدت تحل في سهولة ويسر ، وحلـــول المشكلات تاتي عفو الخاطر بإلهام سماوي .. حتى اسم الجماعة ياتيه بنوع من الالهام .. وكثيرا ما يستطيع رؤية المستقبل ..

---

٥٣ ـ عبد المجيد الباجوري ، حسن البنا . القاهرة ـ (١٩٥٢) ـ ص١٢ . وراجع ايضا : عبد القادر عودة ، الاسلام بين جهل ابنائه وعجز علمائه (١٩٥٢) ص ٢٢ .

٥٤ ـ محمد الغزالي ، الاسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والراسماليين ـ المرجع السابق ص ٢٧ .

٥٥ ـ المرجع السابق ص ٤٧ .

«رأى في نومه وهو طالب انه يراجع صفحات سئل فيها فعلا في امتحان الغد» بل انه يحكي عن نفسه قصصا تفوق الخيال .. حول تلك العناية غير المرئية التي احاطت به دوما تنجيه وتنقذه وترعاه ، «وقع بيت عليه وعلى اخيه فلم ينجهما منه ، الا استناد السقف على حاجز السلم ، وانه وقع من ارتفاع ثمانية امتار فانجاه ملطم المونة ، وانه امتد حريق الى ثيابه وهو صغير فاغاثه رجال المطافىء ، وان جمحت به فرس تحت حاجز كاد ان يطيح براسه فالهمه الله فاستلقى على ظهره حتى اجتاز الحاجز» (٥٦) .

واذا لم يكن من حق الباحث ان يتساءل عن مدى صحة كل هذه الروايات والمعجزات ، فان من حقه ان يتساءل بأي هدف حرص الشيخ البنا ان يروي كل هذه القصص لاتباعه ..؟ وهذا سؤال هام لانه يحدد نوعية العلاقة التي اراد الشيخ ان يقيمها بينه وبين أتباعه . فأي شيء كان الشيخ يريد من رواياته هذه ان لم يكن تعمده اضفاء هالات من التقديس حول نفسه .

اليس هو الرجل «الذي كان يحقق سيرة رسول الله في نفسه» كما قال عنه اخوه عبد الرحمن (٥٧) ، ولم يكن الشيخ حسن وأخوه عبد الرحمن وحدهما في هذه المحاولة فأبوه ايضا يروي قصصا خيالية عن كرامات ابنه ، الذي كان رضيعا في الشهر السادس من عمره يستغرق في النوم مع والدته وتجثم بجواره أفعى ممدودة الراس الى راسه «وينجيك الله يا ولدي من شرها لارادة سابقة في علمه وأمر هو فيك بالغه» (٥٨) .

وليس بامكان اي باحث ان يتصور ان كل ذلك كان محض

---

٥٦ ـ الاخوان المسلمون ـ العدد الممتاز الصادر في عام ١٩٤٨ بمناسبة مرور عشرين عاما على تأسيس الجماعة .

٥٧ ـ فتحي العسال ، المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

٥٨ ـ المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

مصادفة .

وقبل ان ننتهي من فحص ملف الرجل .. نعتقد ان من حقه علينا ان نؤكد انه كان يعرف من البداية انه يسير هو واتباعه فوق الشوك ، وان الذين لاينهم ولاينوه سوف يصطفون جميعا ضده وضد دعوته . ولعل وعيه بهذه الحقيقة يحسب له ، ولعله يفسر لنا ايضا بعض اسباب اصراره على الغموض .. والخفاء والجهاز السري والسلاح .. وإحكام قبضته على الجماعة .

يقول حسن البنا في حديث له الى أتباعه «سيقف جهل الشعب بحقيقة الاسلام عقبة في طريقكم ، وستجدون من اهل التدين من العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للاسلام ، وينكر عليكم جهادكم في سبيله، وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوي الجاه والسلطان ، وستقف في وجوهكم كل الحكومات على السواء ، وستدخلون بذلك ولا شك في دور التجربة والامتحان، فتسجنون ، وتعتقلون ، وتنقلون ، وتشردون ، وتصادر مصالحكم وتفتش بيوتكم» (٥٩) .

.. وقد كان .

***

وحتى بعد اغتياله يظل طيفه محلقا فوق الجماعة وفوق اصدقائها وخصومها معا ، ويظل الموقف منه معيار الموقف من الحركة كلها .

فعندما قامت ثورة يوليو وخلال شهر العسل الطويل نسبيا بينها وبين الاخوان المسلمين كان الموقف من حسن البنا هو الدلالة والمؤشر .

---

٥٩ – حسن البنا . بين الامس واليوم .

ففي الايام الاولى للثورة زار اللواء محمد نجيب قبر الامـام الشهيد ووقف امامه باكيا .

كذلك فقد قررت الثورة فتح ملف قضيـة اغتيال البنا .. وفي المحكمة وقف البكباشي محمد التابعي نائب الاحكام ليمجد الامام الشهيد ويطالب برأس قاتليه : «أن للمغفور له الشيـخ حسن البنا دعوة استشهد في سبيلها ، تقوم على الاصلاح وترمي الى التخلص من الاستعمار باعتباره رأس الفساد ومصدره»(٦٠) .. لكن زمنا قليلا يمضي ثم تشهد نفس القاعة محاكمة الاخـوان المسلمين وهجمات المدعي العام ضد الدعوة وضد مؤسسها .

وعندما يبدأ «شهر العسل» في الانتهاء يحاول جمال عبـد الناصر ان يستخدم «الشيخ» ضد «الجماعة» . ووسط حملات اعلامية عنيفة ضد «الهضيبي» المرشد الجديد وضد الجماعة ككل يتوجه جمال عبد الناصر في صحبة عدد من اعضاء مجلس الثورة وعدد من الاخوان المسلمين الموالين له لزيارة قبر «الامام الشهيد» مترحما ومشيدا بالرجل وبأعماله .. (٦١)

وتبقى شخصية الامام الشهيد ، برغم كل استفاضة فـي البحث ، محلا لتساؤلات تبحث عن اجابات .

---

٦٠ ـ محاكمات الثورة ـ الكتاب الاول ـ محاكمة ابراهيم عبد الهادي ، ص ١٧٩ .

٦١ ـ الجمهورية ، ١٣-٢-١٩٥٤ .

.. الجماعة

.. وكانت الظروف ناضجة تماما كي تنهض هذه المجموعـــة الصغيرة ، وتنطلق ، وتصبح كما اسميت بحق كبرى الحركـات الاسلامية في العصر الحديث .

كانت مصر تتململ ، وترفض قبضة الحكـــم الاوتوقراطي ، وحكومات عميلة تماما تزيح بقوة السراي والاحتلال حقوق حزب الاغلبية وتهدد الدستور الوليد ، وحتى حزب الاغلبية هـــذا يخضع هو ايضا لاسلوبه التهادن والتردد ، والازمة الاقتصاديـة تستحكم ، والقضية الوطنية بغير حـل .. والناس جميعـــا يستشعرون الرفض والحيرة معا .. «وكان تكالب السياسيين المحترفين على الحكم بأي ثمن وما اتبعه من كراهية الكثيريـــن للنموذج الدستوري القائم فرصة امام الإخوان المسلمين لكـــي يجذبوا الى صفوفهم مئات الآلاف من الأتباع» (١) .

---

1 — Vatikiotis - The Modern History of Egypt - op. cit. p. 323.

ومن هذا الاحساس العارم بالرفض وعدم الرضاء بما هو قائم نجحت دعوة الاخوان المسلمين (٢) .

وكانت المعركة بين السراي والحكومة حول الازهر تحتدم «ولفترة قصيرة (١٩٢٩ – ١٩٣٠) تنتزع الوزارة من السراي منصب شيخ الازهر» (٣) ثم يعود القصر فينتزع الهيمنة على الازهر .. ويتداخل الاحتلال ايضا وهكذا يبدو رجال الدين التقليديون في مظهر العاجز .. الامر الذي يحث المسلم المتحمس على البحث عن جديد .

«والحقيقة ان المجتمع الحديث والدولة الحديثة قد وضعت المسلم المتدين وسط متناقضات عديدة» (٤) هكذا يقول احد الباحثين ويستخلص من ذلك احد اسباب نجاح دعوة الاخوان وانتشارها .

«وربما كانت جماعة الاخوان المسلمين أولى الهيئات المنظمة التي قدمت تصورا يستهدف تغيير النظام السياسي التقليدي في مصر تغييرا شاملا» (٥) . هكذا أكد باحث آخر .. واستخلص ايضا احد اسباب انتشارها .

لكن الاخوان المسلمين لم يحاولوا مجرد تعديل او اصلاح النظام «بل قدموا انفسهم كبديل قادر على ان يلعب دور ما يمكن ان يسمى بالسياسيين العلمانيين ، ومن ثم كبديل لكل النموذج «المستورد» من اوربا لتنظيم المجتمع والحكومة ، ورفضوا بشكل

---

2 — Khadduri - op. cit - p. 73.

3 — Grunebaum - op. cit - p. 186.

4 — Ibid - p. 247.

5 — Wheellock, Keith - Nasser's New Egypt. London (1960) - p. 3.

قاطع كل منجزاته ومؤسساته» (٦) ، ولعل ذلك قد خلق الكثير من الصعوبات امامهم .

.. وبعد هذه الاسطر التي عكست آراء عدد من الباحثين في وضعية جماعة الاخوان المسلمين نعود الى المجموعة الصغيرة من الرجال التي التفت حول الشيخ البنا في الاسماعيلية .. ونحاول ان نسير معها خطوة خطوة .

كانت البداية كما قلنا في شهر ذي القعدة من عام ١٣٤٧ هـ (مارس ١٩٢٨) (٧) واتخذت الجماعة مقراً لها في احد المنازل القديمة بالاسماعيلية . وعندما قرروا بناء مقر جديد فتحوا باب التبرعات ، ويمكن القول ان اهم تبرع حصلوا عليه كان من شركة قناة السويس التي تبرعت لهم بخمسمائة جنيه (!) .

كذلك اقترضت الجماعة عدة مبالغ من عدد من التجار واستطاعت بذلك ان تبني مسجداً يضم مقر الجماعة ثم الحقت به فيما بعد مدرسة للبنين ومدرسة للبنات ونادي (٨) . وأصبح

---

1 — Vatikiotis.- op. cit. p. 323.

٧ — هكذا اورد الشيخ حسن البنا التاريخين معا ، لكن احد الباحثين في تاريخ الجماعة وهو روزنتال في مقاله «الاخوان المسلمون في مصر» المنشور في مجلة «عالم الاسلام» عدد اكتوبر ١٩٤٧ «اكتشف عند مقارنة التقويمين الهجري والميلادي ان ذي القعدة ١٣٤٧ هـ يوافق شهري ابريل ـ مايو ١٩٢٩ . ونلاحظ ايضا ان الجماعة قد احتفلت بعيد تأسيسها العاشر في يناير ١٩٣٩ مما يرجح ان تاريخ التأسيس هو عام ١٩٢٩ فعلا . لكن الجماعة عادت فاحتفلت بالذكرى العشرين لتأسيسها في سبتمبر ١٩٤٨ الامر الذي عاد بنا الى ترجيح عام ١٩٢٨ خاصة وانه هو التاريخ المذكور في المادة الاولى من قانون النظام الاساسي للهيئة العامة للاخوان المسلمين» ، ص ٥ .

٨ — مذكرات الدعوة والداعية ، ص ٩٦ — ١١٠ .

هذا هو النمط الاساسي لمقار الجماعة .. مسجد ومقر مدرسة وناد ،وربما مشروع اقتصادي لخدمة البيئة .

ويحتاج الامر الى اربع سنوات من العمل الدؤوب والجولات التي لا تنقطع في المدن والقرى القريبة من الاسماعيلية حتى تنهض عدة شعب للجماعة على امتداد الجانب الشرقي للدلتا (بورسعيد - السويس - ابو صوير) وعلى امتداد الجانب الغربي حتى شبراخيت .. وكانت هناك صلات محدودة بالقاهرة (٩) .

لكن هذا النشاط لم يمر بعيدا عن اعين البوليس ولا المتشككين في هذا النشاط . وانهالت التقارير تكيل التهم للشيخ فهو تارة عميل شيوعي ، وتارة وفدي مناوىء لحكومة صدقي ، وتارة ثالثة جمهوري معاد للملك فؤاد ، وتارة رابعة موظف انتهك تعليمات الحكومة .. وتلفت هذه الشكاوي نظر الديكتاتور اسماعيل صدقي الذي يصدر امره لوزارة المعارف بالتحقيق مع الشيخ . ويثبت التحقيق براءته . لكن الشيء الاكثر اهمية من البراءة كان اهتمام اسماعيل صدقي بالجماعة وتفكيره في اقامة علاقات معها .. ضد خصومه (١٠) .

ويتوقف بعض الباحثين عند عام ١٩٣٠ وديكتاتورية صدقي كعلامة طريق في تاريخ الجماعة . فمن ناحية كان اجهاض التجربة الدستورية على يد صدقي «كفيلا بنشوء النزعات السياسية المتطرفة التي ترفض النموذج السياسي القائم ككل» (١١) ، ومن جهة ثانية كانت فكرة الداهية صدقي في تشجيع الجماعة وحثها للتعاون معه ومع السراى في مواجهة الوفد .

---

٩ - المرجع السابق ، ص ٨٤ - ١٠٨ .

10 — Mitchell - op. cit. p. 9.

11 — Vatikiotis - op. cit. p. 262.

والحقيقة ان الشيخ البنا لم يخف هذه العلاقة الخاصة التي نشأت بينه وبين اسماعيل صدقي وان كان آكد انه تلقى من صدقي عرضا بمساعدة مالية مغرية مقابل اعلان الاخوان المسلمين تأييدهم لصدقي ومناهضتهم لحزب الوفد ، وانه قد رفض هذا العرض الذي قدم له من خلال شقيقه عبد الرحمن (١٢) .

والشيء الهام هنا في نظر الباحث ان الداهية صدقي قد التقط الخيط ، وسواء نجح في اقامة علاقة خاصة مع الاخوان ام لم ينجح ، فان نجاحه الحقيقي كان يكمن في مجرد الفكرة التي اصبحت محل اهتمام وتنفيذ لاحق من قبل اجهزة السلطة المختلفة .

وبعد اجازة العام الدراسي ١٩٣٢ انتقل حسن البنا الى القاهرة بناء على طلبه .. ليجد ان له مجموعة من الاعضاء تحاول هي الاخرى ان تنشط وليجد ان عبد الرحمن شقيقه الاصغر يراس جماعة صغيرة اسمها «جماعة الثقافة الاسلامية» ، وتندمج المجموعتان معا لتؤسسا اول شعبة للاخوان المسلمين بالقاهرة .

وهكذا تدب حياة جديدة في صفوف الجماعة بتواجدها في قلب الحركة الاسلامية والسياسية في العاصمة .

واصبح اغلب مؤسسي هذه الشعبة قادة لجماعة الاخوان المسلمين التي انطلقت لتوسع من نشاطها (١٣) .

واذا كان للأزمة الصغيرة التي حدثت في شعبة الاسماعيلية والتي اشرنا اليها سابقا من اثر فانها قد لقنت الشيخ درسا في ان يتخير معاونيه في قيادة الجماعة من اقرب الناس اليه ، وايضا في ان تظل مسائل عدة مثل المالية ومواردها والعلاقات السياسية

---

١٢ - مذكرات الدعوة والداعية ، ص ١٠٩ .

١٣ - المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

الهامة حكرا في يديه وحده .

واعلنت شعبة الاسماعيلية ـ بعد ان تخلصت من المنشقين ـ انتقال المركز العام للجماعة الى القاهرة حيث يوجد الامام .. ويشهد المقر المتواضع بالقاهرة نشاطا جما كان محوره وعموده الفقري الشيخ البنا . كان يومه ويوم الجماعة يسير كالتالي : في الصباح الباكر يتوجه الشيخ الى المركز العام ، ثم يتوجه الى المدرسة ليمارس نشاطه الوظيفي ثم يعود من المدرسة الى المركز العام .. ثم يرتاح في منزله قليلا ليعود مرة اخرى الى المركز .. وطوال هذا الوقت كان الشيخ يوجه اعمال الجماعة التنظيمية والادارية والثقافية ، ويلقي المحاضرات ، ويتحدث الى الزوار الكثيرين الذين كانوا يأتون الى المقر بدافع الرغبة في المعرفة او حتى بدافع الفضول. وقد خصص الشيخ الفترة بين صلاة المغرب وصلاة العشاء لالقاء محاضرات في تفسير القرآن ، وكان معظم مستمعيه من سكان الحي من الحرفيين والتجار الصغار وبسطاء القوم الذين يصفهم احد قادة الاخوان بأنهم كانوا قوما «بلا تعليم وبلا رغبة في التعلم» (١٤) لكن هؤلاء القوم سرعان ما استجابوا لدعوة الشيخ وتكوّن منهم الوعاء الاساسي لعضوية الاخوان المسلمين .

فقد جذبت الجماعة اول ما جذبت «سكان المناطق الفقيرة الذين كانوا يعانون من الوحدة والغربة في مدينة كالقاهرة ، والمهاجرون الوافدون الى العاصمة الذين وجدوا الراحة النفسية في اجتماعاتها ، وفي تأدية الصلوات الجامعة . وقد قامت فروع الجماعة بالنسبة لهؤلاء مقام التجمعات الصوفية وطوائف العمال

---

١٤ ـ لبيب البوهي ، الايمان والرجل ـ ص ١٠

القديمة» (١٥) .

ويمكن القول بأن القاعدة الاساسية للجماعة كانت في هـذه المرحلة مكونة اساسا «من اصحاب الحرف الذين ينتمون الى الطبقة الوسطى الدنيا ومن صغار التجار» (١٦) .

وبعد عام واحد من انتقال المركز العام الى القاهرة كان للجماعة خمسون شعبة في مختلف أرجاء مصر (١٧) .

لكن الباحثين في تاريخ الجماعة يلاحظون ان هذا الاتساع قد صاحبه تغيير في التركيب الاجتماعي (الطبقي) لعضوية الجماعة ، فمع التطورات السياسية والاقتصادية التي طرات على المجتمع المصري في الثلاثينات ، ومع اتسام تصرفات قيادة حزب الوفد بالتهادن ـ الى حد ما ـ فيما يتعلق بالقضية الوطنية (١٨) اندفعت قوى كانت في الاساس من جماهير الوفد الى صفوف الجماعات المتطرفة مثل الإخوان المسلمين ومصر الفتاة .. ويصف أحد الباحثين جمهور الحاضرين في حديث الثلاثاء فيشير الى وجود القوى التي اشرنا اليها فيما سبق والتي يميز اصحابها بأنهم يرتدون «الجلاليب» لكنه يؤكد «ان الغالبية الساحقة من الحاضرين كانت من الطلاب والموظفين والمدرسين والمهنيين»(١٩) .

---

15 — N. Safran, Egypt in Search of political Community - (1961) p. 202.

١٦ ـ ليوناردو بايندر ، الثورة العقائدية في الشرق الاوسط ـ تعريب خيري حماد ـ دار القلم بالقاهرة (١٩٦٦) ، ص ٧٨ .

١٧ ـ د. اسحق موسى الحسيني ، المرجع السابق ص ٢١ .

١٨ ـ لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع راجع : د. رفعت السعيد، مصطفى النحاس ـ دار القضايا ـ بيروت (١٩٧٦) .

19 — Peters Donald, The Moslem Brotherhood: Terrorists or Just Zealots - Reporter, VIII (17 Mar. 1953), p. 8 .

وهكذا تغير الزي السائد من «الجلابية» الى «البدلة» ، وكان ذلك ايذانا بتطور جديد في علاقات الجماعة وأساليب عملها .

ورويدا رويدا تستقر الجماعة ، وتنتقل بمقرها وجمهورها من ازقة القاهرة الضيقة الى مناخ ارحب وجمهور أوسع ، ويمتلىء المركز العام بالموظفين المتفرغين ذوي المرتبات المدفوعة .. بما يوحي باتساع نشاط الجماعة وزيادة عضويتها .

وبدأت القاهرة ومدن القطر المختلفة تشهد رجالا يرتدون زيا جديدا عبارة عن «شال» يضعونه فوق الكتفين وعليه شارة الجماعة ، وفي البداية كان لون الشارة اخضر ثم ما لبث ان اصبح أبيض . وكثيرا ما كان «الدعاة» من اعضاء الاخوان المسلمين يزودون هذا الشال بجيب كبير يتدلى على الصدر يوضع فيه مصحف ظاهر (٢٠) .

واذا كان هذا الزي ـ بما يتكلفه من مال ومن مظهر وقور ـ قد اقتصر على الميسورين من اعضاء الجماعة فان تعليمات الجماعة لاعضائها كانت تحتم في مطلع الثلاثينات ان يضع العضو في خنصر اليد اليمنى خاتما من الفضة ذي عشرة أضلاع ترمز الى الآية الكريمة «قل تعالوا أتلو ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا» وبه سيفان متقاطعان ومصحف (٢١) .

ويشير بعض الباحثين الى ان هذا الزي الاخواني كان اول استخدام مصري لفكرة الزي الحزبي الموحد التي سرعان ما انتشرت في مصر في منتصف الثلاثينات في صورة القمصان الملونة والتي كانت امتدادا او تقليدا لزي التنظيمات الفاشية والنازية التي اجتاحت اوربا في ذلك الحين .

---

٢٠ ـ عبد الباسط البنا ، المرجع السابق .

٢١ ـ مذكرات الدعوة والداعية ، ص ٢١٧ .

وعلى اية حال فان اتساع عضوية الجماعة قد جعل من المستحيل الزام الجميع بزي او شارات معينة .. وهكذا نسيت هذه العادة .

ومع استقرار الجماعة تعقد مؤتمرها الاول في مايو ١٩٣٣ ، وقد تركزت اعمال المؤتمر في بحث النشاط الذي تمارسه البعثات التبشيرية المسيحية وكيفية مواجهتها . وقرر المؤتمر توجيه رسالة الى الملك فؤاد يطالب فيها بضرورة اخضاع نشاط هذه البعثات الاجنبية لرقابة حكومية فعالة (٢٢) .

وفي نفس العام يعقد الاخوان المسلمون المؤتمر الثاني لجماعتهم والذي خصص لدراسة مسائل التثقيف والدعوة ، وقرر المؤتمر تأسيس شركة صغيرة لانشاء مطبعة خاصة بالاخوان المسلمين(٢٣). وكالعادة كان البنا هو صاحب الفكرة وهو المحرك والمنظم في تنفيذها .. وبجهد مكثف منه أثمرت نتائج المؤتمر الثاني مجلة اسبوعية هي «الاخوان المسلمون» لكنها لم تستمر طويلا .. ثم صدرت «النذير» كلسان حال للجماعة .. ولكنها ما لبثت ان انشقت عن الجماعة . لكن اهم ما أسفر عنه هذا التوجه نحو الدعوة والاعلام هو سلسلة الرسائل التي كتبها حسن البنا شارحا فيها اهداف الجماعة واساليبها ورؤيتها للمجتمع المصري ولمشاكله وللدعوة الاسلامية وطرق تعزيزها . وقد كانت هذه «الرسائل» وظلت لامد طويل ــ وربما حتى الان ــ الاساس النظري والفكري لجماعة الاخوان المسلمين .

وهكذا قفز البنا بجماعته القفزة الاولى نحو الصعود .. وهو توسيع نطاق الدعوة والاعلام وتنشيط خطوط الاتصال بين الحركة

---

٢٢ ــ عبد الباسط البنا ، المرجع السابق ص ٢٦ .

٢٣ ــ مذكرات الدعوة والداعية ، ص ١٤٥ .

والجماهير .

وبعد الاعلام يأتي التنظيم ، هكذا كان الشيخ منطقيا في تفكيره .. وهكذا تحددت مهام المؤتمر الثالث الذي عقد في مارس ١٩٣٥ حيث بدأ المرشد يضع قواعد العمل التنظيمي . فبعد توسيع نطاق الدعوة والاتصالات والاعلام لا بد من ضوابط للعضوية ، ولا بد من بناء حزبي محكم وإلا هددت الجماعة بأن تصبح مثل غيرها من الهيئات والاحزاب التي تواجدت في ذلك الحين مجرد لافتة وجماهير ــ قلّت او كثرت ــ تنظيم هلامي غير محدد المعالم .

وصاغ الشيخ شروط العضوية ومراتبها ودور العضو في كل مرتبة ، وأهم من هذا انه وضع النواة الاولى لتنظيم «الجوالة» الذي لعب فيما بعد دورا حاسما في تاريخ الجماعة .

ويحدد المرشد كتابة وبشكل واضح وصارم شروط العضوية ومراتبها :

«على العضو الراغب في الانضمام ان يتحلى بالاخلاق والسمعة الحسنة والسلوك المتين ، ويكون لديه الاستعداد للطاعة التامة وتنفيذ ما يلقى عليه من اوامر . وهو في هذه المرحلة يكون اخا مساعدا اذا اعلن استعداده ووقع استمارة العضوية وتعهد بسداد الاشتراك المالي .. ثم اذا اثبت حسن ادائه للواجبات من حفظ للعقيدة وتعهد بالتزام الطاعات وعكف عن المحرمات وحضر الاجتماعات الاسبوعية يصير اخا منتسبا ويرتفع بعد ذلك لان يصبح اخا عاملا اذا ما اضاف لسابق الواجبات والصفات قدرة على دراسة عقيدة الاخوان ، وتعهد بالورد القرآني ، وحضر مجالس القرآن الاسبوعية وكذلك اذا ما اشترك في صندوق الحج ولجنة الزكاة وانضم الى فرق الرحلات ما دامت سنه تسمح بذلك ، وعليه في هذه المرحلة ان يلتزم التحدث بالعربية الفصحى بقدر المستطاع ، مع عمله الدائم على تثقيف نفسه في الشؤون

الاجتماعية العامة وحفظه للاربعين حديثا نبويا .. أما الدرجة الرابعة وهي اسمى الدرجات فهي درجة الجهاد وهي من حق الاخ العامل والذي يثبت لمكتب الارشاد بمحافظته ومواظبته على كل الواجبات السابقة ويصبح بذلك داعية مجاهدا . والداعية مرتبة سامية اذ لا بد ان يكون مؤمنا بفكرة يدعو اليها بالكتابة والخطابة والحديث العادي .. والعمل الجدي في سيرته الخاصة والعامة بكل ما يستطيع من وسائل الدعاية ، كما يتحلى بالبلاغة فيكون محدثا وقدوة يؤثر في الناس بعمله وشخصه» (٢٤) .

وهكذا وضع البنا اسس تنظيم حديدي محكم استطاع ان يخوض به التجربة التي حلم كثيرا بها .

وكانت «الجوالة» هي فكرة البنا في بناء قوة ضاربة وفاعلة للتنظيم ومن الجوالة جاءت فكرة الكتائب في عم ١٩٣٧ التي اعتبرت تنظيما للصفوة او للكادر الاساسي للجماعة .. والتي ربما كانت هي والجوالة البذور الاولية لفكرة الجهاز السري .

كذلك وافق المؤتمر الثالث على «عقيدة الجماعة» والتي تقول:

«١ ــ اعتقد ان الامر كله لله ، وان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم رسله للناس كافة ، وان الجزاء حق ، وان القرآن كتاب الله ، وان الاسلام قانون شامل لنظام الدنيا والآخرة ، واتعهد بأن أرتب على نفسي حزبا من القرآن الكريم ، وان اتمسك بالسنة المطهرة وان أدرس السيرة النبوية وتاريخ الصحابة .

٢ ــ أعتقد ان الاستقامة والفضيلة والعلم من أركان الاسلام. واتعهد بأن اكون مستقيما اؤدي العبادات وابتعد عن المنكرات : فاضلا اتحلى بالاخلاق الحسنة ، واتخلى عن الاخلاق السيئة ،

---

٢٤ ــ حسن البنا ، تذكرة الداعي ــ مقال منشور بمجلة «الاخوان» الشهرية، العدد التاسع ــ بدون تاريخ .

واتحرى العادات الاسلامية ما استطعت ، واوثر المحبة والـــود على التحاكم والتقاضي ، فلا الجأ الى القضاء الا مضطرا ، واعتز بشعائر الاسلام ولغته واعمل على بث العلوم والمعارف النافعة في طبقات الامة .

٣ ـ اعتقد ان المسلم مطالب بالعمل والكسب والتكسب ، وان في ماله الذي يكسبه حقا مفروضا للسائل والمحروم ، واتعهــد بأن اعمل لكسب عيشي واقتصد لمستقبلي واؤدي زكاة مالـــي واخصص جزءا من ايرادي لاعمال البر والخير واشجع كل مشروع اقتصادي نافع ، واقدم منتجات بلادي وبني دينـــي ووطني ولا اتعامل بالربا في شأن من شؤوني ولا اتورط في الكماليات فوق طاقتي .

٤ ـ اعتقد ان المسلم مسؤول عن اسرته وان من واجبه ان يحافظ على صحتها وعقائدها واخلاقها . واتعهد بأن اعمل لذلك جهدي وان ابث تعاليم الاسلام في افراد اسرتي . ولا ادخـــــل ابنائي مدرسة لا تحفظ عقائدهم واخلاقهم واقاطع كل الصحف والنشرات والكتب والهيئات والفرق والاندية التي تناوىء تعاليم الاسلام .

٥ ـ اعتقد ان من واجب المسلم إحياء مجد الاسلام بانهاض شعوبه واعادة تشريعه ، وان راية الاسلام يجب ان تسود البشر وان مهمة كل مسلم تربية العالم على قواعد الاسلام . واتعهـــد بأن اجاهد في سبيل اداء هذه الرسالة ما حييت واضحي فـــي سبيلها بكل ما املك» (٢٥) .

ولقد تعمدت ان اورد النص كاملا . . ولا يملك الباحث الا ان يسجل ملاحظة واحدة وهي ان النص اخلاقي صرف ولا بأس من ذلك

---

٢٥ ـ د. يونان رزق ، المرجع السابق ص ١٠٧ .

لكنه لا كلمة واحدة عن الاستعمار ولا عن القضية الوطنية في بلد يهيمن الاحتلال على مقدراته .. ولا كلمة دفاع واحدة عن الفقراء ولا حل واحد لمشكلة من مشكلات مصر او شعبها وباختصار هو مجرد اقتباسات اخلاقية تصلح اهدافا لاي مسلم في اي بلد وفي اي زمان .

لكن اخطر ما في الموضوع هو قرار المؤتمر بأنه «على كل مسلم ان يعتقد ان هذا المنهج كله من الاسلام وان كل نقص منه نقص من الفكرة الاسلامية الصحيحة» (٢٦) . ويلاحظ احد الباحثين خطورة هذا المبدأ ويرى «ان الجماعة تصادر به الدين لمصلحتها وبهذا لا تصبح مجرد جمعية تطبق الدين كما يحاول غيرها ان يفعل ، وانما تؤكد ان منهجها وحده هو الاسلام الصحيح ومن ثم فان من يقف ضدها كجماعة يكون خارجا على الاسلام ذاته .. انه مبدأ يسعى للسيطرة على الاسلام لا للإتصاف به فقط» (٢٧) . وبهذا فقط يمكننا ان نفسر حملات القتل والاغتيال التي نظمها اعضاء الجماعة ضد خصومها ، فان خصوم الجماعة هم ببساطة خصوم الإسلام ذاته ؛ والخارجون عليها والرافضون لها ليسوا سوى مجرد رافضين «لجماعة المسلمين» والرافض لجماعة المسلمين جزاؤه القتل .

ويأتي المؤتمر الخامس في عام ١٩٣٩ ليمثل انطلاقة جديدة . وفي هذا المؤتمر يحدد البنا الطبيعة الشاملة لجماعته فهي «دعوة سلفية ، وطريقة سنية ، وحقيقة صوفية ، ومنظمة سياسية ، وجماعة رياضية ورابطة علمية ثقافية ، وشركة اقتصادية ، وفكرة اجتماعية»(٢٨) . وأكد البنا «ان جماعته ترفض التدخل في

---

٢٦ ـ مذكرات الدعوة والداعية ، ص ١٨٣ .

٢٧ ـ طارق البشري ، المرجع السابق ص ٥٢ .

٢٨ ـ المؤتمر الخامس ، ص ١٤ .

الخلافات المذهبية التي بين الاعيان والاعلام والاحزاب والجماعات وانها تكرس جهدها للتنظيم والعمل والسعي الدائب لكسب اعضاء جدد» (٢٩) .

واذ يحاول بعض اتباعه من الشبان «والمتسرعين والقلقين» رفض المنهج المتأني والحذر الذي يرسمه الشيخ بعناية وحرص فانه يحدثهم قائلا ان الطريق ما زال طويلا وشاقا ويحدد لهم توقيت الهجوم العام وقواته .. «في الوقت الذي يكون فيه منكم ـ معشر الاخوان المسلمين ـ ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسيا وروحيا بالايمان والعقيدة ، وفكريا بالعلم والثقافة ، وجسميا بالتدرب والرياضة ، في هذا الوقت طالبوني بأن اخوض بكم لجاج البحار واقتحم بكم عنان السماء ، واغزو بكم كل عنيد جبار ، فاني فاعل ان شاء الله» (٣٠) .

هكذا يكون الجيش مستعدا .

وقد يلاحظ القارىء اننا لم نشر للمؤتمر الرابع للجماعة .. وقد عقد هذا المؤتمر في عام ١٩٣٦ وخصص للاحتفال بتتويج الملك فاروق ، ولذلك قصة اخرى لعلنا نوردها في فصل قادم .

***

نحن الان نفتح صفحة جديدة ..

صفحة ما بعد المؤتمر الخامس ..

كل ما قبل ذلك كان تحضيرا واعدادا .. اما اليوم فهو القول

---

٢٩ ـ المرجع السابق ، ص ١٦ .

٣٠ ـ المرجع السابق ، ص ٢٤ .

الفصل .. هو بدء «التنفيذ» ، كان مجرد اعداد للثلاثمائة كتيبة استعدادا لخوض لجاج البحر ، واقتحام عنان السماء .

ولعله من الضروري هنا ان نلقي نظرة على البناء التنظيمي الذي ابتدعه واقام اسسه بنجاح تام الشيخ حسن البنا .

كانت الجوالة هي اول عمل تنظيمي خاص اقامه البنا ، ولعلها كانت في البداية محاولة «لبلورة» النشاط الرياضي والاجتماعي الذي اهتم به الشيخ غاية الاهتمام مقتديا بالحديث الشريف «المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف» وبالحكمة البليغة «العقل السليم في الجسم السليم» (٣١) .

وفي أعقاب المؤتمر الثالث للجماعة (١٩٣٥) زاد الاهتمام بصورة مكثفة بفرق الجوالة .. واعتبرت تنظيما مستقلا ذات هيكل مستقل تابع مباشرة للمركز العام .. ولعلها اصبحت في ذلك الحين محط اهتمام اكبر من الشيخ فقد بدأت القمصان الملونة خضراء (مصر الفتاة) وزرقاء (الوفد) تملأ شوارع القاهرة والمدن الاخرى تستخدم الردع السياسي والردع المضاد .

وكان لا بد لجماعة كالاخوان من فريق للردع خاص بها .. ولعل الشيخ كان اكثر من اتقن ذلك من قادة العمل السياسي المصريين .

وفي عام ١٩٣٩ عيّن البنا واحدا من اخلص رجاله ــ هو محمود لبيب (ضابط سابق بالجيش) قائدا عاما لفرق الجوالة وكوّن لها مجلس قيادة من سبعة اشخاص .

وباختصار كانت فرق الجوالة هي الوعاء الذي يستوعب اخلص شباب الجماعة واكثرهم ولاء .. ويصقلهم ويدربهم ، ويعوّدهم على الطاعة التامة والتفاني المطلق .. ولعل الشيخ وهو

---

٣١ ــ محمد شوقي زكي ، المرجع السابق ص ٢١

يصوغ جنينيات هذا الوعاء، كان يدرك ان ثمة خطوة اخرى قادمة هي اختيار أخلص هؤلاء الخلصاء .. وانشط هؤلاء النشطاء في وعاء سري تماما هو «الجهاز الخاص» .. لكن لذلك قصة اخرى.

والمهم ان فرق الجوالة قد نشطت ، واتسعت وامتد عملها الى مجالات عدة في الريف والمدينة ابتداء من محو الأمية ومقاومة الكوليرا وخدمة البيئة الى ردع الخصوم السياسيين الى المشاركة في الاحتفالات العامة كجيش خاص بجماعة الاخوان المسلمين .. وفي عام ١٩٤٨ كان عدد اعضاء فرق الجوالة من الاخوان المسلمين ٤٠٫٠٠٠ عضو .

ولقد اثارت فرق الجوالة هذه الكثير من الجدل .. فالهيئة العامة للكشافة قاومت في بداية الامر نشاطها فقانونها يؤكد ان «الكشاف» لا يتداخل في السياسة .. والاحزاب الاخرى قاومتها واعتبرتها نهجا «فاشستيا» في التنظيم .

وبرغم ذلك فقد نجح الامام في ان يبرز شباب جماعته في صورة زاهية تماما فقد كانوا حريصين دوما على خدمة الجمهور، وقدموا بالفعل خدمات هامة وخاصة في اوقات المحن العامة كوباء الكوليرا والملاريا .

ومع «الجوالة» كانت «الكتائب» .. «كتائب انصار الله» . فالجوالة للرياضة والشباب والخدمة العامة وأما «الكتائب» فهي مجموعات تضم كل منها اربعين عضوا من الاعضاء النشطين في الجماعة .. ويلتقون معا ليلة كل اسبوع حيث يقضون اكثر الليل في العبادة وتلاوة القرآن .. وتفسيره وقراءة الاوراد . وكان الهدف الاساسي الذي وضعه الشيخ لهذه الكتائب هو ربط العضو بالجماعة ، وتطوير علاقته بها من علاقة «انتماء» الى علاقة «ايمان» فهو يعبد الله في اطارها وبين صفوفها .. ولعل فكرة هذه الامسيات الدينية ، ذات العبادة المكثفة قد واتت الشيخ من خلال انتمائه السابق للصوفيين .. كذلك كانت الكتائب وعاء

يختبر فيه الرجل رجاله.. ويفرز من بينهم من هو اكثر اخلاصا وولاء. .وكان شعار الكتائب «العمل ــ الطاعة ــ الصمت» (٣٢).. لكن لماذا «الصمت» ؟.. واي حاجة للصمت في ليال ليس فيها سوى التعبد وذكر الله .. وربما كان الرجل ينتقي من بين اخلص خلصائه .. رجالا لعمل جديد لعله «الجهاز الخاص» .

وبعد فترة .. استنفدت «كتائب انصار الله» غرضها بالنسبة للمنظم الفذ الذي استشعر انه قد انتقى ما شاء من رجال .. وانه قد آن الاوان لوضع نظام يشمل اعضاء الجماعة جميعا .. وكانوا قد اصبحوا بضع مئات من الالوف ، وكان نظام الاسر .

وقد بدأ تنفيذ هذا النظام في عام ١٩٤٣ في ظل التزايد الواسع للعضوية وما صاحب بعض فترات الحرب العالمية من ضغوط على الجماعة (٣٣) . وفي بداية الامر أسمي «نظام الاسر التعاوني» ثم أصبح اسمه «نظام الاسر» . وتقوم الفكرة التي وضعها الشيخ البنا على اساس تجميع الاعضاء النشطين في كل شعبة وتقسيمهم الى مجموعات كل مجموعة لا تزيد عن خمسة اعضاء (اصبحت عشرة فيما بعد) (٣٤) وتسمى المجموعة «أسرة» وتنتخب كل اسرة رئيسا يسمى «نقيبا» ويقوم بتمثيل مجموعته امام قيادة الفرع . وتعتبر الاسرة وحدة متكاملة مسؤولةمسؤولية جماعية عما تكلف به . وتكون كل اربع أسر «عشيرة» يراسها «نقيب» الاسرة الاولى من أسر العشيرة . وتكون كل خمس عشائر «رهط» و«الكتيبة» تضم خمسة «رهوط» (٣٥) .

---

٣٢ ــ الدعوة ، ١٥-٤-١٩٥١ .

33 — Mitchell - op. cit. p. 196.

٣٤ ــ نظام الاسر : نشاته واهدافه ، ص ١٨ .

٣٥ ــ المرجع السابق ، ص ١٨ .

وهكذا وصل البنا الى الطموح التنظيمي الذي يريد.. والذي حلم به ، فقد نجح نظام الاسر في ان يحيل الجماعة كلها الى شبكة متصلة الحلقات متماسكة الفعل ورد الفعل ، قادرة على ان تستجيب ـ وعلى الفور ـ لارشادات وتوجيهات القائد .. وفي المركز العام كان «قسم الاسر» تحت اشراف مباشر من «المرشد» وحركة «الاسر» اقوى جهاز في الجماعة .. بل واقوى جهاز سياسي منظم في مصر كلها .

والاسرة تعقد اجتماعات اسبوعية حيث تمارس معا العبادات، وتقرأ القرآن والاوراد ، ويقدم كل عضو حسابا عن نشاطه وعمله وماليته . وكان البنا يحث الاخوان «على ان يعززوا علاقات الاخوة في اطار الاسرة الاخوانية». فاجتماعات «الاسرة» الاسبوعية تعقد خارج الشعبة ويستحسن ان تعقد في منازل اعضائها بالتناوب ، وبخلاف الاجتماعات الاسبوعية كان على الاسرة ان تنظم امسية اسلامية كل شهر .. ويستحسن ان تقضيها في مكان خلوي حيث ينامون ويقراون الاوراد ويصلون معا ويتناولون طعامهم معا .. والاسرة تصلي الجمعة معا وتحل مشكلاتها المالية بينها .. وعلى اساس نظام «التكافل» الاسلامي اذ تحتفظ الاسرة بصندوق تعاوني تضم اليه تبرعات اعضائها وترسل الاسرة خمس ايرادها الى الشعبة لتمول منه المشاريع الاجتماعية التي تديرها الشعبة.

وقد حرص «البنا» على تعزيز نظام «الاسر» كسبيل لارتباط العضو بالجماعة ليس فقط سياسيا وانما اجتماعيا واقتصاديا. فقد حرص «البنا» على ان تصبح الجماعة موئل العضو واسرته ودرعه ومحط آماله وكان يروي دوما كيف فقد احد اعضاء الجماعة مورد رزقه فقدم له اخا له في الاسرة «نصف مرتبه ، فلما سئل: كيف تعيش بنصف راتب ؟ اجاب : وكيف يعيش اخي بلا دخل ؟» .

وقد اوصى البنا الاخوان بأن يقيموا نظام «الاسر» على اساس

اعمدة ثلاثة : التعارف ـ التفاهم ـ التكافل ـ مستلهمين الآية الكريمة «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا» والحديث الشريف «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» (٣٦). وتتجلى براعة البنا كمنظم في انه قد ربط بالجماعة واهدافها كل عضو فيها .. ومنحه القدرة على العمل في اطارها فأصبحت «الاخوانية» اسلوبا للحياة (٣٧) .

.. هكذا يكون الجيش مستعدا .. الاعضاء منتظمون في «الاسر» تشدهم الى المرشد برباط وثيق ، والشباب الاكثر حيوية والاكثر اخلاصا منتظمون في فرق «الجوالة» يتدربون ويتعودون الطاعة التامة والتفاني في الاخلاص لبيعتهم للمرشد وفوق هذا هناك «الجهاز الخاص» المدرب والمسلح والمجهز تجهيزا عاليا ليكون اداة الردع التي لا يعرف احد عنها شيئا سوى المرشد نفسه .. وبهذا يحكم المرشد قبضته تماما على الجماعة كلها .

.. وكما حاول البعض ان يتهكم .. كان الامر حقيقة « اذا عطس الامام في القاهرة .. قال الاخوان في كل مصر .. يرحمكم الله» .

***

والى المجال الصعب بالنسبة لاي مسلم «سلفي» .. وهو مجال العمل وسط النساء وتنظيمهن .. وصلت اهتمامات البنا، فمنذ البدايات الاولى في الاسماعيلية اهتم البنا بالعمل وسط «الاخوات» محاولا برغم تمسكه «بالحجاب» وبضرورة «استقرار

---

٣٦ ـ المرجع السابق ، ص ١٥ .

٣٧ ـ رضوان محمد رضوان ، المأثورات .

المراة في البيت» ان يجد لجماعته موضع قدم في الحركة النسائية . ذلك ان البنا كان يؤكد وباستمرار اهمية الدور الذي تلعبه «الاسرة الاسلامية» في تنشئة جيل مسلم ، فكيف يمكن تصور «أسرة اسلامية» بغير «اخوات مسلمات» ؟

وهكذا كان من بين مشاريعه الاولى وهو لم يزل بعد في الاسماعيلية تأسيس «مدرسة أمهات المؤمنين» ، وفي ابريل ١٩٣٣ اصبحت هذه المدرسة اول فرع رسمي للاخوات المسلمات (٣٨) . واستمر العمل وسط النساء تعرقله التوجهات السلفية للجماعة تجاه قضية تحرير المراة وحقها في العمل وتجاه الحجاب وقضية الاحوال الشخصية ، وتعرقله ايضا مقاومة وتأفف بعض اعضاء الجماعة من العمل وسط «الحريم» ، وهكذا مضت سنوات عشر كاملة على تأسيس الفرع الاول للاخوات المسلمات بالاسماعيلية قبل ان تتكون قيادة مركزية «للاخوات المسلمات» بالمركز العام .. وبدفع خاص من جانب الشيخ البنا تحقق الاخوات المسلمات نجاحا يعتبر بمقاييس الاربعينات وبمقاييس العمل النسائي اكبر من كبير .. فقد وصل عدد الاخوات المسلمات في عام ١٩٤٨ رقما عاليا جدا هو خمسة آلاف عضوة (٣٩) .. لكن الملاحظة الهامة هي أن الاخوان اذ حققوا في الجامعات نجاحا باهرا وسط طلاب الجامعات في الاربعينات الا ان عدد الطالبات المحجبات في الجامعة كان ضئيلا جدا الى درجة ملفتة للنظر .. اذ يبدو ان «الفتيات المتعلمات كن يتصورن دعوة الاخوان كدعوة سلفية تعود بالمراة الى

---

٣٨ ـ احمد انس الحجاجي ، روح وريحان ـ المرجع السابق ص ٢٠٠ .

٣٩ ـ لمزيد من التفاصيل راجع : الاخوات المسلمات ، الرسالة الاولى ـ القاهرة ـ (١٩٥١) .

عصر الحريم» (٤٠) .

وفي ايام «المحنة الاولى» (١٩٤٨ – ١٩٥٠) لعبت الاخوات المسلمات دورا هاما في رعاية اسر المعتقلين وفي تأمين الاتصال بين سجناء الاخوان في مختلف السجون وبينهم وبين من بقي من الاخوان في الخارج .

ومن صفوف الاخوات المسلمات لمعت بعض اسماء .. وبرز احد هذه الاسماء (زينب الغزالي) ليلمع في قمة قيادة الدعوة .

***

واذ يستعد الجيش لمرحلة «التنفيذ» فلا بد من جهاز اعلامي قوي يمكنه من اداء مهامه .. والبنا الذي يرفض الغرب وحضارته .. وكل منجزاتها حرص على ان يوصي الاخوان بأن «يتعلموا من الغرب فنون الدعاية» (٤١) .

وكانت المطبعة الصغيرة التي اسسها البنا بعد المؤتمر الثاني للجماعة مستمرة في طبع رسائله الى الاخوان والتي اصبحت سلاحا اعلاميا يحقق للشيخ الهيمنة الفكرية على الجماعة .. والهيمنة الفكرية للجماعة على قطاعات كبيرة من التيارات الاسلامية .. ورويدا رويدا تنمو المطبعة الصغيرة بفضل الاهتمام الدائب من المرشد لتصبح واحدا من اهم المشروعات الاقتصادية للجماعة (٤٢) .

وبرغم البداية المتواضعة فقد نجح البنا في ان يصدر اول مجلة اخوانية تحمل دعوته الى الجمهور .. وكانت مجلة «الاخوان

---

40 — Mitchell - op. cit. p. 173.

٤١ – حسن البنا ، الرسائل الثلاث ، ص ١١ .

٤٢ – الدعوة ، ١٢–٢–١٩٥٢ .

المسلمون» الاسبوعية التي صدرت لتعلن انها صوت دعوة الحق والقوة والحرية وكانت المجلة مملوكة لواحـــد من كبار السلفيين الذين اثروا تأثيرا كبيرا في الامام عندما كان بعد طالبا .. هـــو الشيخ محب الدين الخطيب صاحب المكتبة السلفية . وبجنيهان فقط كانا كل ما يمكتلها الشيخ حسن في جيبه اغرى الشيـــخ محب الدين الخطيب على مشاركته في اصدار هذه المجلة باســم «الجماعة».. وصدر العدد الاول في مايو ١٩٣٣ لتكون اول مجلة تصدر عن الجماعة ولتستمر في الصدور اربعة أعوام كاملة (٤٣).

ومع مرحلة «التنفيذ» كان لا بد للجماعة من سلاح اعلامـــي جديد .. «النذير» التي كان لها من اسمها الكثير والتـــي كانت «اعلانا» صريحا وصارما من الشيخ لكل سياسيي مصر بـــأن «الاخوان المسلمين» قد اقتحموا ميدان السياسة ..

لكن «النذير» تخرج مع المنقسمين على الجماعة .. هـــي ورئيس تحريرها وصاحب امتيازها لتصبح في عام ١٩٣٩ لسان حال المنشقين الذين اسموا انفسهم «شباب سيدنا محمد» (٤٤) .

ويستخدم البنا علاقاته الوثيقة بالشيخ رشيد رضا وبأسرته ، ليحصل على مجلة «المنار» التي تعثر صدورها بعد وفاة الشيـــخ رشيد عام ١٩٣٥ فأصدرها البنا باسم جماعته منـــذ عام ١٩٣٩ حيث اصدر منها ستة اعداد .. الى ان الغت الحكومة ترخيص المجلة كجزء من ضغطها على جماعة الاخوان والغت في نفس الوقت مجلة اقليمية كانت تصدر عن الجماعة باسم «التعارف» (٤٥) .

لكن شهر العسل يعود سريعا .. ويجد المرشد سبيلا للصلح

---

43 — Mitchell - op. cit. p. 185.

٤٤ ـ مذكرات الدعوة والداعية ، ص ١٤٩ .

45 — Heyworth - Dunne - op. cit. p. 57.

مع الحكام .. وفي عام ١٩٤٢ ، وكجزء من المصالحة العامة ، وكتعبير عن مصالحة جديدة بين الوفد والاخوان تنهض الجماعة من جديد لتصدر في اغسطس ١٩٤٢ مجلتها الاسبوعية «الاخوان المسلمون» والتي صدرت في بداية الامر كل اسبوعين .. وفي مايو ١٩٤٦ صدرت «الاخوان المسلمون» يومية .. وواصلت صدورها حتى حل الجماعة في ديسمبر ١٩٤٨ .

وفي نوفمبر ١٩٤٧ اصدرت الجماعة مجلة شهرية للدراسات الاسلامية باسم «الشهاب» لعلها اقرب ما تكون الى «منار» الشيخ رشيد رضا .. كذلك اصدرت الجماعة مجلة طلابية كانت توزع اساسا على طلاب الجامعات (٤٦) .

***

واذ رفض البنا التعليم الجديث باعتباره انعكاسا غريبا مرفوضا يعلم التلاميذ الضلال والعلمانية ، واذ رفض التعليم الازهري باعتباره مجرد حفظ لموضوعات دينية وانه خال من الاهتمام الروحي والوجداني .. فقد حلم بتعليم من نوع جديد.

وكعادته عندما يقتحم اي ميدان يبدأ بمشروع صغير ثم يبذل من طاقته وجهده ما يجعل اي صغير كبيرا .

وقد بدات المؤسسة التعليمية للاخوان المسلمين منذ الايام الاولى في الاسماعيلية كنموذج يقدمه «الامام» لنوعية جديدة من التعليم تستهدف نهضة الاسلام .. وتستهدف نقد التعليم الحديث ودحضه باعتباره «تعليما علمانيا» (٤٧) .

وفي عام ١٩٣٥ شكلت الجماعة وفدا لزيارة رئيس الوزراء

---

46 — Vatikiotis - op. cit. p. 361.

47 — Mitchell - op. cit. p. 284.

ووزير المعارف العمومية وممثلي الاحزاب السياسية للمطالبة بتعديل أسس التعليم تعديلا جذريا بحيث يقوم على اسس اسلامية حقة (٤٨) . وقد سجلت الجماعة اكثر من مرة انتقادها المرير للحكومة المصرية لكونها حكومة بلد اسلامي وتسمح في نفس الوقت للبعثات المسيحية بافتتاح مدارس ولان مدارس الحكومة تدرّس تاريخ اوربا ولا تدرس تاريخ الاسلام (٤٩) . ونلاحظ انه في عام ١٩٤٨ خاضت صحف الجماعة وشعبها معركة عنيفة ضد المدارس الكاثوليكية . وقد ارسل الاب هنري عيروط الى جريدة الاخوان المسلمين رسالة رد على هذا الهجوم لكن الجريدة لم تنشر هذه الرسالة . واخيرا نجح الاب عيروط في مقابلة الشيخ حسن البنا، ونشرت جريدة «الاخوان المسلمون» موضوعا عن هذه المقابلة ركزت فيه على ضرورة اتحاد رجال الاديان ضد الالحاد والملحدين (٥٠) .

وفي عام ١٩٣٨ وعندما طلب وزير المعارف العمومية الى شيخ الازهر تقريرا عن توحيد نظامي التعليم «الازهري والحديث» اسهم الشيخ حسن البنا في هذا الامر بتقرير تفصيلي وجهه في شكل رسالة الى الوزير أكد فيها ان هزيمة «العلمانية» لن تكون بغير اتقان رجال الدين لمختلف فروع العلوم والمعرفة . ومن ثم فقد أكد البنا انه لا يريد تعليما اسلاميا صرفا، ولا علمانيا صرفا وانما مزيج من الاثنين (٥١) .

وفي عام ١٩٤٦ بدأ البنا يولي شبكة التعليم الاخوانية اهتماما

---

٤٨ ـ حسن البنا ، الرسائل الثلاث ، ص ١١٧ .

٤٩ ـ عبد القادر عودة ، الاسلام بين جهل ابنائه وعجز علمائه .

٥٠ ـ الاخوان المسلمون ، ٥ـ٨ـ١٩٤٨ .

٥١ ـ الاخوان المسلمون ، ١٧ـ٧ـ١٩٤٦ .

خاصا حيث تكونت «لجنة» تأسيس المدارس الابتدائية والثانوية للبنين والبنات «ثم تكونت لجنة الشؤون الثقافية» (٥٢) . ودعا البنا انصاره للتبرع .. وانهالت التبرعات .. ويلاحظ ان احدى القوائم قد ضمت تبرعا بخمسة آلاف جنيه مع وعد تبرع بألف جنيه اخرى لكل مدرسة تؤسسها الجماعة .. وفي عام ١٩٤٦ كان وزير المعارف محمد حسن العشماوي صديقا شخصيا للشيخ حسن البنا فوجه رسالة رسمية للجماعة يدعوها الى المساهمة في مشاريع الوزارة لمحو الأمية وتعميم التعليم . وقدمت الوزارة معونة للجماعة ٧٥ قرشا مقابل كل تلميذ يدرس في مدارسها ثم قدمت لها الكتب والادوات اللازمة لمدارسها مجانا ، ثم قررت الوزارة تغطية نفقات هذه المدارس بالكامل .. وقد دعمت هذه المساعدات ميزانية شبكة التعليم الاخوانية وفوق ذلك قدمت لها اعترافا رسميا . ثم عمد البنا الى تأسيس شركات مساهمة لتأسيس المدارس وقد نجحت هذه الفكرة ايضا .

واتسعت شبكة المدارس الاخوانية الى درجة ان الشيخ البنا قد أكد ان كل شعبة من شعب جماعته الالفين أسست مدرسة او اكثر (٥٣) . ولا بد لنا من ان ندرك أثر ذلك في انتشار الجماعة ونفوذها في صفوف التلاميذ وأولياء الامور والمدرسين والمدرسات .

.. وأسهمت الجماعة ايضا في مختلف أوجه النشاط الاجتماعي .

وقد اشرنا الى دور فرق الجوالة الاخوانية في مقاومة الملاريا والكوليرا ، كذلك فقد وجه البنا جماعته لتأسيس قسم طبي عام

---

٥٢ ــ الاخوان المسلمون ، ١٠-٧-١٩٤٦ .

٥٣ ــ حسن البنا ، قول فصل ــ ص ٣٤ .

١٩٤٤ .. ثم افتتح الشيخ البنا عيادة طبية واجزاخانة ومستشفى صغير بلغ عدد المترددين عليه ٣٠٠ر٥١ مريـــض في عام ١٩٤٧ ووصلت ميزانية القسم الطبي فـــي عام ١٩٤٨ الى ٠٠٠ر٢٣ جنيه .

وفي ميدان الخدمات الاجتماعية بدات الجماعة نشاطـــــا ملحوظا ، وفي عام ١٩٤٦ كان لها ١٠٢ فرعا للخدمات الاجتماعية زادت في ١٩٤٨ الى ٥٠٠ فرع .

وحتى تستطيع هذه الفروع الاستفادة من المعونات الماليـــة الكبيرة التي تقدمها وزارة الشؤون الاجتماعية لمثل هذا النشاط ــ والذي يتعين عليه وفقا للقانون الا يرتبط بأي جماعة سياسية ــ كونت الجماعة فرعا مستقلا عنها للاشراف على هذا النشاط .

وهكذا امتدت يد الجماعة الى مختلف جوانب الحياة فـــي المجتمع المصري واصبحت مؤسساتهـا التعليمية والصحيـــة والاجتماعية ركائز بالغة الاهمية تعزز مكانتها وتدعـــم ماليتها ، وتقوي جذورها وسط الجماهير .

***

والسؤال الملح والمحير هو : كيف استطاع البنا ان يمول كل هذه المشروعات .. وكيف استطاع ان يدبر الموارد المالية الكافية لجماعة تمتد شعبها لتغطي كل انحاء مصر .. ولفرق الجوالـة بملابسها ومعداتها ، وللمدارس ، والمستشفيـــات والمشاغل والمصانع والشركات والمؤسسات .. وهذه المجموعة الهائلة مـن المتفرغين السياسيين والاداريين .. وفوق هذا وذاك .. للجهاز السري بمخابئه وأسلحته وأفراده .

وعند صدور قرار حل الجماعة لاحظ الجميع ان اجمالـــي أصول الجماعة .. من ممتلكات وشعب وأثاثات وشركات ومدارس

ومصانع ومزارع ومشاغل ومستشفيات .. الخ قد وصل رقما خياليًا بالنسبة لحزب سياسي أيا كانت جماهيريته خصوصـــا اذا ما كان التركيب الطبقي لهذه العضوية ينزع نحو البرجوازية الصغيرة (الطلاب ، الفلاحين ، الحرفيين ، صغار الموظفين) وهؤلاء جميعا ليسوا في مستوى مالي يمكنهم من تغطيه هذه النفقات .

ومنذ البداية ونحن نلاحظ سلسلة من علامات الاستفهام :

* تبرع شركة قناة السويس الاستعمارية للجماعة (وهو امر اكده الشيخ البنا نفسه) .

* اقرار الشيخ البنا ان اسماعيل صدقي قد عرض عليـــه معونة مالية مقابل خدمات سياسية من الجماعة (وان كان البنا قد أكد عدم قبوله لهذه المساعدة) .

* ان معظم الخلافات التي ثارت في صفوف الجماعة قـــد اتخذت من موضوع التمويل ومصادره مادة للهجوم على الشيـــخ البنا (فمنذ انقسام الاسماعيلية وحتى انقسام شباب سيدنا محمد ثم انقسام السكري كانت المسائل المالية عنصرا مشتركا) .

* ان الشيخ البنا اذ احكم قبضته على كل اوجه نشــــاط الجماعة ، انفرد تماما وبشكل خاص بموضوع المالية .

* ان كثيرا من حملات التبرع التي كان ينظمها الشيخ البنا كانت تغطى سريعا .. وبطاقات تفوق الامكانيات المالية المحدودة لاعضاء غالبيتهم العظمى من محدودي الدخل . وان الكثيرين من الاقطاعيين والراسماليين قد قدموا تبرعات مالية وعينية للجماعة مبررين ذلك بتشجيع الجماعة على محاربة الشيوعية (٥٤) .

* ان اتهامات كثيرة قد ترددت في ان تمويلا خاصا قد تعاطته الجماعة من الانجليز تارة ومن الامريكيين تارة اخرى (٥٥) .

---

54 — Mitchell - op. cit. p. 182.

55 — Ibid - p. 182.

وبالرغم من كثرة ترديد ذلك الاتهام في العديد من الابحاث والمصادر .. الا ان الباحث المدقق يكتفي بطرح هذه التساؤلات ما لم يجد اجابة مؤكدة .. ومنها يستمر ايضا في طرح سؤال هو : من اين اذن كل هذا السيل المتدفق من التمويل ؟

ولكي نؤكد ان هذا السؤال الاخير في محله تماما ، يكفي ان نقدم نموذجا من استثمارات جماعة الاخوان المسلمين :

- شركة الاخوان للصحافة وراسمالها ٥٠٫٠٠٠ جنيه .
- شركة الاخوان للطباعة وراسمالها ٧٠٫٠٠٠ جنيه .
- شركة الاعلانات العربية ، ويقال ان راسمالها قد بلغ ١٠٠٫٠٠٠ جنيه (٥٦) .
- شركة المعاملات الاسلامية وقد بلغ راسمالها عام ١٩٤٦ ٣٠٫٠٠٠ جنيه (٥٧) .
- الشركةالعربية للمناجم والمحاجر وراسمالها ٦٠٫٠٠٠جنيه.
- شركة الاخوان المسلمين للغزل وراسمالها ٨٫٠٠٠ جنيه .
- شركة التجارة والاشغال الهندسية وراسمالها ١٤٫٠٠٠ جنيه (٥٨) .
- شركة التوكيلات التجارية بالسويس (لم نصل الى رقم راسمالها) .
- شركة مزرعة العركي (وكانت تمتلك ٨٠٠ فدان) (٥٩) .

من اين اتت الجماعة بكل هذه الاموال ؟

سؤال يفرض نفسه .. فالارقام كبيرة جدا خصوصا اذا ما اضفنا اليها الاصول الاخرى كالمدارس والمقار والمشاغل .. الخ .

---

56 — Heyworth - Dunne - Ibid. p. 57.

57 , 58 — Mitchell, op. cit. p. 275.

٥٩ ـ المصور ، ١١-١١-١٩٥٥ .

والاجابة المباشرة صعبة .. الا اذا وجد الباحث الجرأة في استصدار احكام قاطعة مستندا فقط الى الشبهاتَ القوية وليس امامنا سوى انِ نواصل البحث .. فلعلنا في فصل قادم نجـــد المزيد من الضوء نسلطه حول منطقة «الغموض» هذه في تاريــخ الرجل وتاريخ الجماعة .

الفصل الثالث

الصعود .. هبوطا .

واذ يعزز الشيخ البنا صفوف جماعته ، وينتقل بها في هدوء ويسر وبلا ضوضاء من مرحلة لمرحلة محققا نجاحـــا كبيرا ليس فقط في اقامة بناء تنظيمي محكم ، وانما ايضا في اخفاء هويته عن الجميع .. متباعدا عن اي اشتباك ، محاذرا من أن يعادي احدا او يعاديه احد .

اذ ينجح الشيخ في اجتياز مرحلتي الدعوة والاعـــداد واذ تقترب سفينته من شاطىء «التنفيذ» يلبس الشيخ ثيابا جديدة ، وتبدو جماعته في طور جديد تماما .

.. «الى الان ايها الاخوان لم تخاصموا حزبا ولا هيئة ، كما انكم لم تنضموا اليهم ، ولقد تقول الناس عليكم فمن قائل انكم

وفديون نحاسيون ، ومن قائل انكم سعديون ماهريون ، ومن قائل انكم احرار دستوريون ، وانكم بالحزب الوطني متصلون، أو لمصر الفتاة منتسبون ، الى غير ذلك ، وانكم لبريئون ، فما اتبعتم غير رسوله زعيما ، وما ارتضيتم غير كتابه منهاجا وما أتخذتم سوى الاسلام غاية ، فدعوا كلام الناس جانبا وخذوا في الجد والزمن كفيل بكشف الحقائق» (١) .

ويحين الحين .. فلا بد ان تكشف الجماعة عن هويتها السياسية ، لكن الشيخ الشديد الحذر يظل دوما حريصا على تغليف كل موقف ، وعلى اضفاء غمامة من الغموض على جماعته .

«يقولون نحن في حيرة من امر الاخوان المسلمين أهي طريقة صوفية ام جمعية خيرية ، أم حزب سياسي واي شيء يقصدون، وفي اي طريق يسيرون . اما نحن الاخوان فقد تجاهلنا هذه المسميات وأخذنا في الطريق الاول الذي لا يصلح امر الناس الا عليه .. الدعوة الى كتاب الله وسنة رسول الله ، ونهجنا منهج الاسلام ووسيلتنا ايمان ومحبة وعمل» (٢) .

ويمضي الشيخ يوسع من قاعدة جماعته ونفوذها .. مكتفيا بشعارات عامة قد لا يختلف عليها احد . في عام ١٩٢٩ كان لها اربع شعب اصبحت خمسا في عام ١٩٣٠ ثم عشرا في عام ١٩٣١ ثم ١٥ في عام ١٩٣٢ .. ثم تأتي مرحلة ــ سنتحدث عنها طويلا فيما بعد ــ يقفز فيها عدد شعب الجماعة الى ٣٠٠ شعبة في عام ١٩٣٨ . انها مرحلة التقاء الثالوث «علي ماهر ــ الشيخ المراغي ــ حسن البنا» في محور واحد مناهض لحزب الوفد وموال للسراي . ويستمر الصعود .. ففي عام ١٩٤٠ تصبح

---

١ ــ حسن البنا ، مذكرات الدعوة والداعية ، ص ١٥٢ .

٢ ــ الاخوان المسلمون ــ نوفمبر ١٩٤٤ ــ حسن البنا : مقال بعنوان «نحن».

الشعب ..٤٠٠ شعبة .. حتـــى تصل الى الفي شعبة فـــي عام ١٩٤٨ .

ويقول الشيخ البنا في شهادة له امام القضاء أن عدد اعضاء جماعته في عام ١٩٤٥ كان (حسب الاحصاء نصف مليـــون عضو) (٣) . ولا يمضي سوى وقت قليل ـ بضعة اشهر فقط ـ حتى يعلن الشيخ البنا في حديث له لمجلة آخر ساعة «في مصر الف وخمسمائة شعبة تضم مليونا من الاخوان ولنا شعب اخرى في الشرق كله تجعل منا مليونا ونصفا من الاخوان العاملين عدا الاخوان المناصرين وهم كثيرون» (٤) . (ولعلنا هنا نلحظ الاختلاف الكبير في الارقام بما يوحي ببعض المبالغة من جانب الشيـــــخ ومحاولة للتظاهر بالقوة) . لكن جريدة الاخوان تعود فتقول ان شعب الاخوان «تعدو الالفين وخمسمائة ، وعدد اعضائها يربو على نصف مليون» (٥) . بل ان الشيخ البنا نفسه يعود للتواضع مرة اخرى فيقول في شهادة له امام محكمة اخرى «ان جماعة الاخوان المسلمين تتكون من نحو الف شعبة منبثة في البنـــادر والقرى ويتراوح عدد افراد كل شعبة مـا بين ٥٠ و٢٠٠ عضو وبذلك يكون مجموعهم ما بين ٥٠٫٠٠٠ و ٢٠٠٫٠٠٠ من مختلف الطبقات ، عدا الطلبة فهم لا يدخلون ضمن الاحصاء اذ لا يمنحون حق العضوية .. وقد توزع عليهم نشرات الجماعة للعلم بها» (٦).

---

٣ ـ محاضر جلسات المحكمة العسكرية العليا في القضية رقم ٣٧٣ لسنة ١٩٤٥ والخاصة باغتيال احمد ماهر باشا . شهادة الشيـــخ حسن البنا ، ص ١١٥ .

٤ ـ آخر ساعة ، ١٥-٣-١٩٤٦ .

٥ ـ الاخوان المسلمون (الاسبوعية) ٢٧-٧-١٩٤٦ .

٦ ـ محضر التحقيق في قضية اغتيال احمد الخازندار بك . اقوال الشيخ حسن البنا .

ومرة اخرى يتكرر رقم النصف مليون على لسان الشيخ البنا فيقول في آخر رسائله «قول فصل» والذي كتبه بعد ان صدر قرار حل الجماعة .. ان عدد اعضاء الجماعة نصف مليون عضو ونصف مليون من الانصار والاصدقاء (٧) .

ولكن بعض الباحثين يقدم رقما عشوائيا يصل الى ٢ مليون عضو (٨) .

وعلى اية حال فان البنا ــ وأيا كان عدد الاعضاء الذين التفوا حوله ــ قد اعطى نفسه الحق في ان يتحدث باسم «٧٠ مليون عربي و ٣٠٠ مليون مسلم» (٩) .

والذي لا جدال فيه .. ان جماعة «الاخوان المسلمين» كانت واحدة من اكثر القوى السياسية نفوذا واحسنها تنظيما وان الاخوان كانوا بالنسبة لاصدقائهم ولخصومهم على السواء ملء السمع والبصر .

ويشهر حسن البنا سيفه ، مقتحما ميدان السياسة .. متسائلا في تحد وربما في سخرية ايضا «هل اطمأنت الجنوب في المضاجع ؟ هل جفت الجفون من المدامع ؟ هل حوربت الجريمة واستراح المجتمع من شر المجرمين ؟ وهل استغنى الفقراء ، واسبغت الملايين التي تفوق الحصر بطون الجائعين ؟ هل ساقت هذه الملاهي والمفاتن التي ملأت الفضاء وسرت مسرى الهواء العزاء الى المحزونين ؟» .

والجواب جاهز عند الشيخ وقاطع ايضا وهو لا .. «فالامة في قلق واضطراب وحيرة وارتباك وقد يئست من صلاحية هذه

---

٧ ــ حسن البنا ، قول فصل ص ٢٢ .

8 — Florence Elliot and Michael Summerskill - A Dictionary of politics - 4th ed. (1964) p. 247.

9 — Khadduri - op. cit. p. 75.

المناهج والنظم» ثم يعلن «ان واجبنا ان نقود هذه النفوس الحائرة ونرشد هذه المشاعر الثائرة» (١٠) .

.. وهكذا يقتحم الشيخ البنا ميدان السياسة معلنا انـــه سيقود «النفوس الحائرة» .. ولكن السؤال الكبير الذي ستحاول الصفحات القادمة الاجابة عليه هو .. يقود من ؟. والى اين ؟.

---

١٠ ــ حسن البنا ، الاخوان المسلمون تحت راية القرآن ــ ص ١٢ .

سياسة... بلا برامج

.. ولم تكن الاسماء بغير مدلول .

فالشيخ الذي أتقن فن استخدام الكلمات يعرف كيف ينتقيها.

«النذير» كان الاسم الذي اختاره حسن البنا لمجلته التي قرر ان يقتحم بها ميدان معركة «التنفيذ» ويعلن بها نفسه كقـــوة سياسية جديدة .

وقد صدر العدد الاول من «النذير» في مايو ١٩٣٨ ، وفـي افتتاحيته أعلن البنا انه وجماعته سوف ينتقلان «من دعوة الكلام وحده الى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والاعمال» . واذ يعدد البنا القوى السياسية في مصر فانه يؤكد لاتباعه انهم لن يقفوا بعد الان موقفا سلبيا بل «ستخاصمون هؤلاء جميعا في الحكـــم وخارجه خصومة شديدة لديدة ان لم يستجيبوا لكم» (١) .

---

١ ـ النذير ، العدد الاول (مايو ١٩٣٨) حسن البنا ـ الافتتاحية

نحن سياسيون .. كانت هي صيحة الشيخ البنا الذي ظل ولفترة طويلة يناور بحثا لجماعته عن مكمن تعيش فيه وتنمو .. «فالاسلام الذي يؤمن به الاخوان المسلمون يجعل الحكومة ركنا من اركانه .. ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الارشاد ، وقد جعل النبي الحكم عروة من عرى السلام ، والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والاصول ، لا من الفقهيات والفروع . فالاسلام حكم وتنفيذ ، كما هو تشريع وتعليم ، كما هو قانون وقضاء ، لا ينفك واحد منهما عن الآخر» (٢) وهؤلاء الذين يظنون ان تعاليم «الاسلام انما تتناول الناحية العبادية او الروحية دون غيرها من النواحي مخطئون في هذا الظن ، فالاسلام عبادة وقيادة ودين ودولة ، وروحانية وعمل ، وصلاة وجهاد ، ومصحف وسيف ، لا ينفك واحد من هذين عن الآخر» (٣) .

ويستند البنا في دعواه هذه الى منطق عدد من الدعاة الاسلاميين.. وخاصة ابو الاعلى المودودي الذي كانت له بالجماعة علاقات فكرية وعملية وثيقة .. يقول المودودي «الاسلام نظام جامع محكم أسس على مبادىء حكيمة متقنة ، ومن اركانه الكثيرة المهمة الى الجزئيات الصغيرة الدقيقة كلها ترتبط بتلك المبادىء ارتباطا منطقيا ، وكل وضع فيه للحياة الانسانية بمختلف شعبها من النظم ، انما قد اخذ روحه واقتبس جوهره من تلك الاصول الاولية ، ومن هذه المبادىء والاصول تخرج الحياة الاسلامية بمختلف فروعها ، ولذلك فان اردنا ان نعرف شعبة من شعب الحياة الاسلامية معرفة صحيحة صادقة فلا محيد من ان نرجع الى اصلها فاننا لن نتمكن من الدخول اليها من غير ذلك الباب ،

---

٢ ــ حسن البنا ، مذكرات الدعوة والداعية ــ ص ٢٨٣ .

٣ ــ المرجع السابق ، ص ١٥١ .

ولن نعرف حقيقتهـــــا وماهيتهـــا الا بالامعان في أصولهـــــا وقواعدها» (٤) .

ثم يؤكد المودودي في كتاب آخر «ان كلمة الدين في القرآن تقوم مقام نظام بأكمله يتركب من اجزاء اربعة هي :

١ ـ الحاكمية والسلطة العليا .

٢ ـ الطاعة والاذعان لتلك الحاكمية والسلطة .

٣ ـ النظام الفكري والعملي المتكـــون تحت سلطان تلـــك الحاكمية .

٤ ـ المكافأة التي تكافئها السلطة العليا على اتباع ذلك النظام والاخلاص له» (٥) .

ولقد تمسك البنا بهذا الموقف ، لكن الغريب انه أسبغ على الملك الفاسد فاروق وعلى طاغوت القصر الملكي صفة «الحاكمية» بما تكفله لها هذه النظرية من سلطات حاسمة تستوجب «الطاعـــة والاذعان » .

على اية حال .. لقد آن الاوان لكي تكشف الجماعة عـــــن هويتها السياسية وبدأت تخوض حربا اعلامية تبرر فيها نهجها الجديد ، «أتحسب ان المسلم الذي يرضى بحياتنا اليوم ويتفرغ للعبادة ويترك الدنيا والسياسة للعجـزة والآثمين والدخـــــلاء والمستعمرين يسمى مسلما ؟ كلا انه ليس بمسلم فحقيقة الاسلام جهاد وعمل ودين ودولة» (٦) . وهي تستند الى دور الرســـول

---

٤ ـ ابو الاعلى المودودي ، نظرية الاسلام السياسية ـ المرجع السابـــق ص ٥٥ .

٥ ـ ابو الاعلى المودودي ، المصطلحات الاربعة في القرآن ـ تعريب محمد كاظم سباق ـ الطبعة الخامسة (١٩٧١) دار القلم ـ الكويت ، ص ١٢٠ .

٦ ـ الاخوان المسلمون (الاسبوعية) ٤ـ٣ـ١٩٤٥ . حنفي محمود بدير ، مقال بين الدين والسياسة .

في قيادة الدولة الاسلامية الاولى . «لقد كان رسولنا الكريم يوقع المعاهدات ويباشر المفاوضات ويراسل الملوك ويسير الجيوش في الوقت الذي كان فيه رجلا يصلي بالناس ويقيم شعائر الاسلام. فهل كان في هذا رجلا سياسيا ؟ نعم . كان كذلك ونحن من بعده نسير على منهاجه ونعتقد ان السياسة على قواعد الاسلام واعلاء كلمة الله من صميم فكرتنا» (٧) .

بل ان الشيخ البنا نفسه وهو الذي حاذر الاقتراب من السياسة طوال السنوات العشر الاولى من دعوته يقول «استطيع ان اجهر في صراحة بأن المسلم لا يتم اسلامه الا اذا كان سياسيا بعيد النظر في شؤون أمته مهتما بها غيورا عليها .. وان على كل جمعية اسلامية ان تضع في راس برنامجها الاهتمام بشؤون أمتها السياسية والا كانت تحتاج نفسها الى ان تفهم معنى الاسلام»(٨).

والاسلام عند الاخوان «وطن» و«جنسية» . يقول عبد المجيد حسن — قاتل النقراشي باشا — في اقواله امام المحقق «الاسلام عقيدة وعبادة ، ووطن وجنسية ، وسياسة وقوة ، وثقافة وقانون بمعنى انه في عهد المسلمين الاوائل ما كانش فيه حاجة اسمها سياسة ، فكان الحاكم هو الامام وهو الحاكم في الوقت ذاته ، وهو قائد الجيوش ، يتفرغ للسياسة والدين على ان السياسة جزء من الدين» (٩) .

---

٧ — الاخوان المسلمون (الاسبوعية) ٤-٣-١٩٤٥ . الصاوي محمد عوض ، مقال : هل السياسة من صميم فكرتنا ؟

٨ — الاخوان المسلمون ، ١٦-٤-١٩٤٦ : حسن البنا ؛ مقال : الاسلام سياسة وحكم .

٩ — محضر التحقيق في القضية ٥ا لسنة ١٩٤٩ والخاصة بمقتل محمود فهمي النقراشي باشا — اقوال المتهم عبد المجيد حسن ، ص ١٤ .

وهذه الكلمات هي مجرد انعكاس لتعاليم الشيخ البنا التي تقول «ايها الناس الاسلام فكرة وعقيدة ونظام ومنهاج لا يحده موضع ولا يقيده جنس ، ولا يقف دونه حاجز جغرافي ولا ينتهي بامر حتى يرث الله الارض ومن عليها» (١٠) .

لكن البنا كعادته لا يوصد اي باب ، بل يترك لنفسه منفذا .. ولهذا يلجأ دوما ـ وفي مسألة العلاقة بالسياسة بالذات ـ الى التعمية والغموض ويتعمد التعميم والالغاز «هل نحن طريقة صوفية ، جمعية خيرية ، مؤسسة اجتماعية ، حزب سياسي ، نحن دعوة القرآن الحق الشاملة الجامعة .. نحن نجمع بين كل خير» (١١) . لكنه لا يلبث ان يقول «ان الاخوان دعوة سلفية ، طريقة صوفية ، هيئة سياسية ، جماعة رياضية ، رابطة عملية ثقافية ، شركة اقتصادية ، فكرة اجتماعية» (١٢) . ثم يعود البنا الى انكار كلماته ، ليلتوي بالالفاظ في اتجاه معاكس «ايها الاخوان انتم لستم جمعية خيرية ، ولا حزبا سياسيا ، ولا هيئة موضعية الاغراض محدودة المقاصد ، ولكنكم روح جديد ، ونور جديد ، وصوت داو» (١٣) .

ونعود مرة اخرى الى الالفاظ التي لا تحمل مدلولا محددا «روح جديد» «نور جديد» «صوت داو» . ولا يملك الباحث سوى الحيرة .. هل كان الامر يحتمل كل هذا التخبط ام انه تخبط مخطط ومقصود .. فاذا ما حاصر السؤال المحدد «الشيخ» اجاب في براءة «ليس هناك شيء اسمه دين وشيء اسمه

---

١٠ ـ حسن البنا ، الاخوان المسلمون تحت راية القرآن ـ ص ٢٦ .
١١ ـ أنور الجندي ، الاخوان المسلمون في ميزان الحق ـ ص ١١ .
١٢ ـ المرجع السابق ، ص ١٥ .
١٣ ـ المرجع السابق ، ص ٥١ .

سياسة ، هذه بدعة اوربية» (١٤) . ولا يكون امام اي باحث مهما كان محايدا إلا أن يفترض ان الشيخ كان يتعمد وبشكل ظاهـــر الخلط والمراوغة .. وتصف باحثة غربية هذا الاسلوب بأنــــه «اسلوب ذو فاعلية واقتدار فهو يؤكد على الطابع الديني للجماعة اذا ما جابهه في الحكومة رئيس قوي ، ولكنه لا يلبث ان ينغمس في الصراعات السياسية اذا ما وجـد امامه رئيسا ضعيفــــا للحكومة» (١٥) . ويأتي باحث مصري ليعلق على هذا الموقـــف فيقول : «وهكذا استطاع البنا ان يراوغ الحكومات والاحـــزاب والراي العام بوجهي الدعوة ، وكان هذا الغموض يحل مشكلـــة اخرى للجماعة . فهي تنظيم سياسي، اي حزب يسعى للسلطة بينما تنادي بالقضاء على الحزبية والغاء كل الاحزاب .. ثـــم كان هذا الغموض ايضا يعفي الجماعة من تحديد الاهداف الواضحة فيما يتعلق بالقضايا السياسية الجوهرية التي تواجه الامة كالمسألة الوطنية ، ومشاكل نظام الحكم الداخلي ، ويعفيها من تفســـير الموقف العملي الذي تتخذه في كل مناسبة ، ويمنحها القدرة على ان تطرح للناس موضوعا او مشكلة مغايرة تماما لما يشغل الجميع من مشاكل سياسية حادة في اية لحظة» (١٦) .

ولعله من المفيد .. وقبل ان نخوض مع الشيخ حسن البنا بحر السياسة المتلاطم الامواج المختلط المواقف ان نشير الـــى معارضات قوية ذات وزن اسلامي حقيقي حاولت ان تفند فكرة الشيخ وجماعته من قضية الدين والسياسة .

يقول الباحث المدقق حسين فوزي النجار «ويضع محمـــد

---

١٤ ـ النذير ، العدد العاشر (مجموعة عام ١٩٣٨) .

15 — Harris, Christina, Nationalism and Revolution in Egypt. The Role of Muslim Brotherhood (1964) p. 182.

١٦ ـ طارق البشري ، المرجع السابق ص ٥٤ .

مبادىء للحكم والسياسة ، ولكنه لا يضع نظاما للحكم ولا يتخذ في السياسة قاعدة او أسلوبا الا ما يتفق مع مبادىء الاخلاق وهدي الرسالة وخير المسلمين» ، ويرد على مقوله الشيخ حسن البنا من ان النبي كان يجمع بين مهمة رجل الدين ورجل الدولة فيقول «من الخطأ ان تقول ان محمدا كان يسوس أمور الدين الى جانب قيامه بشؤون الجماعة الاسلامية ، فاذا حق لنا أن نقول انه قام مع الصحابة بسياسة المسلمين فما كان في أمور الدين الا مبعوثا واختاره الله لتبليغ رسالته الى العالمين» (١٧) . ويقول «لقد تحولت الجماعة الاسلامية غداة التآمها بالمدينة الى جماعة سياسية بحكم ما واجهت من ظروف حياتها الجديدة ، ولعل ذلك كان من اسباب الخلط بين فكرتي الدين والدولة في الاسلام ولم يجمع النبي بينهما ، ولم يأت في القرآن ما يشير الى اقامة الدولة ، وان ورد فيه ما يشير الى الامة الاسلامية بمعنى الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر» (١٨) . ويؤكد على أن «التشريع الاسلامي تشريع للحياة وللحضارة وليس تشريعا للدولة» (١٩) .

.. فقط اردنا الاشارة الى ان دعوى الشيخ لم تمر بغير معارضة من الباحثين الاسلاميين .. ولنعد ، الى مقولته عن الدين والسياسة .. ولنسجل ملاحظاتنا سريعا على مواقفه العملية .

فالبنا اذ يعلن نفسه كزعيم سياسي .. ويقدم جماعته كهيئة سياسية لا يستنكف من أن يحرم الآخرين جميعا من حق العمل السياسي .. «لقد آن الاوان ان ترتفع الاصوات بالقضاء على

---

١٧ ـ حسين فوزي النجار ، المرجع السابق ص ٦٧ .
١٨ ـ المرجع السابق ، ص ١٤٨ .
١٩ ـ المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .

نظام الحزبية في مصر ، وأن يستبدل به نظام تجتمع فيه الكلمة وتتوفر جهود الامة حول منهاج قومي اسلامي صالح» (٢٠) .

والشيء الذي قد يبدو محيرا للباحث المحايد هو ان البنا كان يؤكد ان الاحزاب والنظام الحزبي ليسا ضروريين لقيام حكومة تمثل الشعب اذ يمكن لهذه الحكومة ان تقوم بدون حزبية ذلك لان الاحزاب تقسم الامة ولا تتفق مع النهج الاسلامي (٢١) .

واذ يدعو البنا صراحة الى حل كل الاحزاب القائمة فانه لا يجد غضاضة في ان يطالب الجميع بأن يفسحوا له الطريق وحده «فحل الاحزاب السياسية سيتلوه قيام حزب واحد على اساس برنامج اسلامي اصلاحي» (٢٢) . ولعله يبدو غريبا ان يمعن البنا في فكرة تصفية كل الاحزاب السياسية ما عدا حزبه الى درجة الاستشهاد بتجربة الحزب الواحد في روسيا وتركيا وكلاهما دولتان لا ترضي جماعة الاخوان عن نهجهما (٢٣) .

وتستمر علامات الاستفهام وعلامات التعجب في التراكم .

ولا نملك الا ان نمضي مع رحلة الشيخ السياسي لنسجل ملاحظتنا .

فالبنا يقدم نفسه كحزب سياسي يريد السلطة . . بل ويؤكد اكثر من مرة انه لن يسعى الى السلطة وانما السلطة هي التي ستسعى اليه «فنحن لا نسعى للحكم ، ولكن هو الذي سيسعى الينا فيما نعتقد . . وحينئذ نفكر في تحديد موقفنا منه . . أنقبله أم نرفضه !» (٢٤) ، لكنه مع ذلك لا يقدم اي برنامج سياسي ، بل

---

٢٠ ـ الاخوان المسلمون (الاسبوعية) ٩ـ٤ـ١٩٤٦ . مقال لحسن البنا .

٢١ ـ حسن البنا ، مشكلاتنا في ضوء النظام الاسلامي ـ ص ٤١ .

٢٢ ـ حسن البنا ، الرسائل الثلاث ، ص ١١٢ .

٢٣ ـ الاخوان المسلمون ، ٢٢ـ٧ـ١٩٤٦ . مقال لحسن البنا .

٢٤ ـ المصور ، ١ـ٣ـ١٩٤٦ .

لعله قد تهرب كثيرا من تحديد اي موقف سياسي واضح مـــن اية قضية قومية او وطنية او اجتماعية . واذا ما سئل كـــاي زعيم سياسي عن برنامجه اجاب «نحن مسلمون وكفى ، ومنهاجنا منهاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفى ، وعقيدتنا مستمدة من كتاب الله وسنّة رسوله وكفى» (٢٥) . ثم هو لا يزيد الامـر تفصيلا ، فاذا ابدى البعض شكوكه حول امكانية العمل السياسي دون برنامج سياسي .. اتهمه الشيخ بانه «مريض القلب ، سيء الظن ، غير سليم القلب ، فهو يطعن ويتجنـــى ويتلمس للبراءة العيب ، وكلا الامرين وبال على صاحبه وهلاك للمتصف به» .

غير ان الامر ليس بهذه السهولة .. اذ لا يمكن لرئيس جماعة سياسية ان يقتحم ميدان العمل السياسي معلنا ان الاســـلام «طاعة وحكم ومصحف وسيف» دون ان يدفع الجميع الـــى التساؤل من سيستعمل السيف ؟ وضد من ؟ ولعل التساؤلات بدت في محلها تماما عندما استخدم السيف بالفعل أسلوبا فـــي تعاملات الجماعة مع خصومها .

والاخوان لا ينكرون حقيقة انهم جماعة سياسية بغير برنامج سياسي .

يجيب واحد من قادة الاخوان المسلمين ـ هنداوي دوير ـ في شهادة له امام المحكمة .. ردا على سؤال المدعى : ألم تضعوا أبحاثا عن كيفية الحكم بالاسلام ؟ قائلا «ايام الاستاذ البنا طلبت منه ان يكتب في هذا فقال لي .. أذكر بالضبط انه قال لي ان احنا شبعنا كتب وكتابات . وان المكتبة الاسلامية مليئة ، وان مهمتنا مش اننا نعمل كتب بل مهمتنا اننا نعمل رجالة» .

«ويعود المدعي ليسأله : يعني مفيش تحديد ولا نص ؟

---

٢٥ ـ حسن البنا ، مذكرات الدعوة والداعية ، ص ٥٣ .

فيجيب : الواقع ان الاخوان لم يعدوا هذا الدستور . وأنا قلت لحضراتكم انني قلت للاستاذ البنا احنا عاوزينك تفضى شوية على اساس انك تكتب لنا ايه اللي يطبقه الاخوان .. واذكر انه قال في مناسبة ما ان الناس يجتمعون على مبادىء لا على تفاصيل، لاننا اذا دخلنا في التفاصيل فسنختلف ونتفرع ولا ننتهي الى خير كثير .. وان احنا ماشيين على مبادىء اسلامية ولو تعرضنا للتفاصيل فيمكن يجيء فقيه ويختلف معنا وجايز نستهلك في مسائل فرعية» (٢٦) .

ويؤكد قائد آخر من قواد الجماعة .. هذه الفكرة ، ويؤكد ان انعدام البرنامج كان امرا مقصودا . يقول منير الدلة عضو مكتب الارشاد العام في شهادته امام محكمة الشعب خلال محاكمة الاستاذ المرشد حسن الهضيبي :

«وكيل النائب العام : هل لجمعية الاخوان برنامج لنظام الحكم ؟

ــ الشاهد : ليس لجمعية الاخوان برنامج مفصل لنظام الحكم .

ــ وكيل النائب العام : على اي اساس تقوم دعوتهم ؟

ــ الشاهد : الجمعية او الهيئة تنادي بالدعوة الاسلامية ، وتدعو الى الفكرة العامة الاسلامية ، الفكرة الاسلامية كفكرة عامة، ولا تضع نظاما او نظام محدد دقيق يسمى نظام الحكم الاسلامي . ولكنها ترسم خطوط عريضة اذا تحققت وجد نظام الحكم الاسلامي ، ويمكن ان يوجد داخل هذه الخطوط عدة انظمة تبقى كلها اسلامية ، اذا كان متوفر فيها الشروط العامة التي يضعها الاسلام . اما اختيار نظام معين وتسميته انه نظام اسلامي فهذه

---

٢٦ ــ محكمة الشعب ــ الجزء الاول . محاكمة محمود عبد اللطيف . المرجع السابق . شهادة هنداوي دوير ، ص ٦٣ .

فكرة دقيقة ، وهذا هو ربما من الاسباب التي دعت الجمعية بالا ترسم صورة وتفرضها بتسميتها انها نظام الحكم الاسلامي واكتفت ببيان الدعوة الاسلامية او الاسس الاسلامية في الناحية السياسية مطالبة به في منحى الحياة العامة .

ـ وكيل النائب العام : ونظام الحكم في مصر هل يخالف الاسلام ؟

ـ الشاهد : الاسلام يضع القواعد العامة ، والحكم يبقى اسلامي اذا كان فيه شورى بأي صورة من الصور ومفيش صورة محددة . وما دام قائما على العدالة ومسؤولية الحاكم عن اعماله الفردية هذه المعاني لو تتوافر يبقى نظام اسلامي .. واذا استكمل الوضع الدستوري في الوضع الحالي اي لما يستكمل نظام الشورى باعادة الحياة النيابية يبقي الوضع الاسلامي» (٢٧) .

ونتوقف امام اكثر من علامة استفهام ترد في شهادة عضو مكتب الارشاد العام .

* لا نظام اسلامي واحد محدد بل «يمكن ان يوجد داخل هذه الخطوط عدة انظمة تبقى كلها اسلامية» !.

* «اختيار نظام معين وتسميته انه نظام اسلامي فكرة دقيقة» !

* نظام الحكم الذي كان قائما في مصر عام ١٩٥٤ نظام اسلامي فقط تنقصه «الشورى» !

ولعله من حق الجماعة علينا ان نفحص هذه الافكار فلقد تكون كلاما ارسل من سجين رهن القيد ، كما اعتاد الكثير من الاخوان ان يفعلوا في اعترافاتهم .. ولهذا فلعله من الضروري ان نتلمس

---

٢٧ ـ محكمة الشعب ـ الجزء السادس ـ المحاكمات التي تمت من ٢٢ الى ٢٥ نوفمبر ١٩٥٤ ـ محاكمة حسن الهضيبي ـ شهادة منير الدله ، ص ١٢٠٨ .

حقيقة «النظام الاسلامي» الذي دعا الاخوان المسلمون اليه .

يقول الشيخ حسن البنا في رسالته الحاسمة الى الزعماء المصريين في عام ١٩٣٨ والمعنونة «نحو النور» : «لا بد من جديد في هذه الامة ، هذا الجديد هو تغيير النظم المرقعة المهلهلة التي لم تجن منها الامة غير الانشقاق والفرقة .. هو تعديل الدستور المصري تعديلا جوهريا توحد فيه السلطات» . ثم اذا به يتوعد بأنه ما لم يستجب الزعماء لمطلب توحيد السلطات هذا «فاذا ابوا فجاهدوهم به جهادا كبيرا» (٢٨) .

وفي رسالة المؤتمر الخامس يقول البنا «ان من نصوص الدستور المصري ما يراه الاخوان المسلمون مبهما غامضا يدع مجالا واسعا للتأويل والتفسير الذي تمليه الغايات والاهواء ، فهي في حاجة الى وضوح والى تحديد وبيان . هذه واحدة والثانية هي ان طريقة التنفيذ التي يطبق بها الدستور .. طريقة اثبتت التجارب فشلها وجنت منها الامة الاضرار لا المنافع فهي في حاجة شديدة الى تحوير والى تعديل يحقق المقصود ويفي بالغاية .. ولا بد ان تكون فينا الشجاعة الكافية لمواجهة الاخطار وللعمل على تعديلها . اما الامثلة التفصيلية والادلة الوافية ووصف طرائق العلاج والاصلاح ففي رسالة خاصة ان شاء الله» (٢٩) .

لكن البنا سرعان ما يتراجع خوفا من ان يتهم بمناهضته للدستور فيقول «ان الدستور بروحه وأهدافه العامة لا يتناقض مع القرآن من حيث الشورى وتقرير سلطة الامة وكفالة الحريات. وان ما يحتاج الى تعديل منه يمكن ان يعدل بالطريقة التي رسمها الدستور ذاته» (٣٠) .

---

٢٨ ـ حسن البنا ، نحو النور .

٢٩ ـ حسن البنا ، رسالة المؤتمر الخامس .

٣٠ ـ انور الجندي ، الاخوان المسلمون في ميزان الحق ـ ص ٦٢ .

بل هو يواصل تراجعه .. الى درجة تثير الدهشة «ما كان لجماعة الاخوان المسلمين ان تنكر الاحترام الواجب للدستور باعتباره نظام الحكم المقرر في مصر ، ولا ان تحاول الطعن فيه او اثارة الناس ضده وحضهم على كراهيته ، ما كان لها ان تفعل ذلك وهي جماعة مؤمنة مخلصة تعلم ان اهاجة العامة ثورة ، وان الثورة فتنة ، وان الفتنة في النار» (٢١) .

لماذا كل هذه القعقعة اذن ؟ ولماذا الحديث عن الجهاد وعن النظام الاسلامي وعن التغيير الجذري .. اذا كان النظام القائم سواء في عهد «جلالة الملك» فاروق (صديق الاخوان) او في عهد جمال عبد الناصر (عدوهم) مقبول من جانبهم .. ولا ينكرون «الاحترام الواجب له ، باعتباره نظام للحكم المقرر» .

لقد خشي الشيخ البنا من التصادم مع السلطة وخشي من الثورة فأوقع نفسه بنفسه بين شقي الرحى ، يريد ولا يريد ، طالب بنظام اسلامي وبالجهاد بحد السيف من اجل تحقيقه ، ثم يقبل ما هو قائم «ولا يحاول الطعن فيه او اثارة الناس ضده» .

والدهشة لم تتملكنا وحدنا من هذا الموقف المتناقض .. فالباحث الامريكي ريتشارد ميتشل يعرب عن دهشته قائلا «دعا البنا الى النظام الاسلامي ، لكنه استخدم هذا التعبير استخداما مطاطا واحيانا عنى به الدولة الاسلامية ، وعلى اية حال فقد قال البنا واكد الهضيبي من بعده هما وعدد من كتاب الاخوان ان النظام الدستوري البرلماني القائم في مصر يمكنه اذا ما ادخلت عليه بعض اصلاحات ، يمكنه ان يلبي المتطلبات السياسية للدولة الاسلامية» . ويواصل ميتشل تعليقه قائلا «واذا كان هذا صحيحا

---

٢١ ــ النذير ــ العدد ٣٣ ــ حسن البنا ، مقال الاخوان المسلمون والدستور المصري .

فان النشاط السياسي للاخوان المسلمين انما يهدف الى شيء آخر غير الاطاحة بالنظام القائم» (٣٢) .

لكن باحثا امريكيا آخر يرى ان كل هذه الاقوال «كانت مجرد ستار من الدخان يخفي سعي الاخوان للانقضاض على النظام ، ذلك ان احدا لا يختلف في ان النظام المطبق في مصر لا يجعل منها دولة اسلامية» (٣٣) .

والامر لا يقتصر فقط على الدستور وانما يمتد ايضا الى «القانون» ، فقد أكد الاخوان في اكثر من موضع وبلسان جهابذة القانون من قادتهم ان القانون المطبق في مصر - باستثناء بعض النصوص - يتفق مع نصوص الشريعة ولا يتناقض مع مبادئها العامة (٣٤) . وقد اكد هذا الموقف بتفصيل واف، واسهاب الاستاذ حسن الهضيبي اثناء محاكمته عندما قال انه عندما كان يطبق القانون المدني وهو قاض لم يكن يناقض الشريعة الاسلامية .

ويعود ريتشارد ميشل الى التساؤل - وهو محق تماما - «اذا ما كان الامر كذلك ، فلماذا اذن اصرار الاخوان على تطبيق الشريعة الاسلامية ؟» (٣٥) .

واذا كان البنا قد حاذر أشد الحذر من ابداء رأيه في التطبيق التفصيلي للشريعة الاسلامية حرصا على الا يؤدي بخوضه في هذا الامر الى الفرقة والخلاف .. او الى التصادم مع النظام القائم او حتى القول باحتمال هذا التصادم .. فان بعض

---

32 — Mitchell - op. cit. p. 236.

33 — Safran - op. cit. p. 290.

٣٤ - راجع لمزيد من التفصيل : عبد القادر عودة ، الاسلام بين جهل ابنائه وعجز زعمائه (١٩٥٢) ص ٢٣ .

٣٥ - لمزيد من التفاصيل راجع : الاخوان المسلمون ، ٢٩-٧-١٩٥٤ . وايضا : محمد عبد الله السمان ، الاسلام المصفى (١٩٥٤) .

اتباعه من قادة حركة الاخوان ومفكريها قد حاولوا حل التناقض القائم بين الشريعة الاسلامية وبين النظام القائم ولكن لصالح هذا النظام وتبريرا له .. فالمذاهب هي مجرد اجتهادات ، وهي ذات قيمة تاريخية في الماضي ، وارشادية في الحاضر ، لكن المسلمين لهم كامل الحرية في التصرف في أمور دنياهم ووفقا لظروفهم. ويؤكد سيد قطب ـ كبير مفكري الاخوان بعد وفاة الشيخ البنا ـ ان السلطات الممنوحة لولي الامر تعطيه حق التشريع مهتديا بمسألتين : المصلحة المرسلة وسد الذرائع (٣٦) .

ولا بد لنا من ان نعيد ونكرر تساؤلنا .. فيم اذن كل الضجة عن العودة للنظام الاسلامي وعن جاهلية النظام الذي كان قائما في الاربعينيات او فيما بعدها .. اذا كان الاخوان المسلمون قادرون دوما على التلون بأفكارهم ومبادئهم فهي تارة تتفق مع ما هو قائم ، وتارة تطالب بادخال تعديلات طفيفة عليه ، وتارة ترفضه لانه جاهلي وضلال ، وكل ضلالة في النار ، ولا مبرر ولا معيار لقفز الجماعة من موقف سوى المصلحة الآنية .. الامر الذي يثير ريبة الباحث في مدى جدية الشعارات التي ترفعها الجماعة او تدعو لها .

وحتى التعديلات التي طرحها الشيخ البنا على البناء الدستوري في ظل النظام الملكي لم تكن تتعدى «موضوع الشورى» .. فما هو رأيه في الشورى ؟ انه يرى ان اهل الشورى يكونون اما من رجال الدين وإما من الرجال المتمرسين على القيادة مثل رؤساء العائلات والقبائل .. ولا تكون الانتخابات بمقبولة الا اذا ما اسفرت عن اختيار أناس من هذين الصنفين(٣٧) .

---

٣٦ ـ سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الاسلام .

٣٧ ـ حسن البنا ، مشكلاتنا في ضوء النظام الاسلامي ص ٦٠ .

وهكذا يرتد الشيخ حسن البنا بتعديله المقترح الى ما هـو اسوأ من قانون الانتخابات المطبق ويعود به الي المفاهيم الاقطاعية وشبه الاقطاعية المتخلفة والتي لا تثق في جمهور المواطنين الذين اكد الاسلام حقوقهم المتساوية مع الآخرين ـ سواسية كأسنان المشط ـ وانما تركز ثقتها وطموحها في رؤوس العائلات الكبيرة وشيوخ القبائل .. الخ !.

وعند الاخوان المسلمين «فان الشعب ليس حرا في اختيار نظام الحكم الذي يريد فالمواطنون معرضون للخطيئة ما لم يلزموا انفسهم بحكومة تقوم على اسس دينية» (٣٨) .

وليس هذا غريبا فأبو الاعلى المودودي يرفض الفكـرة الديمقراطية من اساسها بل ويعتبر ان منح السلطة للجماهير وحتى للاغلبية المطلقة من هذه الجماهير هو مفسدة ومروق .. ولنتابع كلمات الفيلسوف المعتمد من جماعة الاخوان المسلمون «ان المبدأ الرئيسي للديمقراطية الجديدة ان الناس بيد انفسهم حكمهم وتشريعهم ، والى انفسهم كل التصرف في القوانين ، يضعونها كما يشاءون». واذ يستنكر المودودي ذلك فانه يوجه اهانته المباشرة لمجموع الشعب قائلا «ومن البديهي انه اذا كانت قوانين الحياة الجماعية كلها تابعة للراي العام وكانت الحكومة كالعبد لإله هذه الديمقراطية الجديدة ، فلا يمكن لسلطات القانون والسياسة ان تصون المجتمع عن الانحلال الخلقي ، وماذا اقول بل هي تعود بنفسها عونا على افساد المجتمع ودفعه الى المهالك . ولا يكون للحق والخير والصلاح مقياس غير كثرة الاصوات ، بحق هذا الجانب او ذاك . وان اقتراحا مهما بلغ خبثه وضرره ان كان قد نال من رضى العامة ما يكسبه ٥١ صوتا في المائة فلا شيء

---

38 — Khadduri - op. cit. p. 79.

يمنعه من ان يسمو الى مرتبة الشرع» (٣٩) .

ولا نملك سوى علامة استفهام اخرى ؟.

و«النذير» الذي اقتحم الميدان شاهرا سيفه ، يواصل تراجعه خوفا من اي تصادم . وفي بداية ١٩٤٥ يدعو البنا الجمعية العمومية للاخوان المسلمين ويقترح بنفسه ادخال تعديلات على قانون النظام الاساسي فيضاف الى المادة الرابعة من الباب الثاني فقرة تقول «يؤثر الاخوان دائما التدرج والتطور والعمل المنتج والتعاون مع كل محب للخير والحق ، ولا يريدون بأحد سوءا مهما كان دينه او جنسيته او وطنه» .

وفي عام ١٩٤٨ يخطو الرجل خطوة اخرى الى الخلف اذ اقترح بنفسه تعديل المادة الثالثة من قانون النظام الاساسي بحيث اضاف اليها «يعتمد الاخوان في تحقيق أغراضهم على وسائل الدعوة والتربية والتوجيه والعمل وكل وسيلة اخرى مشروعة » (٤٠) .

ولا بد من وقفة تأمل .. فهل كان التراجع حقيقيا ؟ أم ان الشيخ كان يطبق مبدأ «الحرب خدعة» وانه في الوقت الذي كان يسلح فيه جيشه السري الخاص بالقنابل والديناميت والمدافع ويستعد به لاكبر حملة ارهاب شهدها تاريخ مصر الحديث كان يحاول ان يبث الطمانينة في قلوب خصومه ؟.. اذا جاز لنا الترجيح فاننا نرجح الاحتمال الاخير .

ونعود مرة اخرى نحاول ان نبحث في موضوع البرنامج المفتقد .

الشيخ يعد ويعد بانه سيقدم برنامجا ولا يفي بوعده ، وقد قرأنا له في صفحات سابقة اكثر من وعد لم يف به .. وها هو

---

٣٩ ــ ابو الاعلى المودودي ، الحجاب . مؤسسة الرسالة (بيروت) ص ٧٢ .

٤٠ ــ السيد محمد عشماوي ، المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

وعد آخر ، ففي رسالته «الى اي شيء ندعو الناس» اشار المرشد الى قضايا العصر قائلاً ان العالميـــة والقومية والاشتراكيـــة والراسمالية والبلشفية والحرب وتوزيع الثروة والصلة بين المالك والمستهلك كلها خاض فيها الاسلام» . ثم عاد الشيخ فقال «ان المقام لا يسمح بالتفصيل بأن الامر يحتاج لجولات وعد ان يفصل فيها القول (٤١) .. ولم يف البنا بوعده ابداً «ذلك ان البنا كـان دائما غامضا في حديثه عن الاقتراحات التفصيلية والمتعلقـــة بالحكومة الاسلامية ، وانه لم يحدث مطلقا ان شرح نوايـــاه بوضوح» (٤٢) .

ولا يبقى امام الباحث الراغب في الوصـــول الى الحقيقة ، المصمم على فك طلاسم الغموض المفتعل سوى ان ينبش فـــي المواقف العملية .. بحثا عن البرنامج الفعلي الذي اختاره البنـا بنفسه. فاذا كان البرنامج كوثيقة سياسية لم يكتب ابدا بواسطة الشيخ فان مجموع خطواته العملية يشكل برنامجه الفعلي .

فلنسر خطوة خطوة مع الشيخ نتأمل تصرفاته ومواقفه مـــن الاحداث والطبقات والقضايا لعلنا نفهم حقيقة برنامجه الـــذي اراد وعن عمد واصرار ان يخفيه .

ان الشيخ البنا ينصح اتباعه قائلا «اشغلوا الناس عن الفكرة الباطلة بالفكرة الصحيحة» (٤٣) ، اي انه يتعمد الا ينقد ما في افكار الغير من خطأ وانما ينقدها من خلال تقديم بديل .

فما هو البديل الذي قدمه الشيخ البنا ؟

نفيا لدستور ١٩٢٣ نادى الاخوان «القرآن دستورنا» .

---

٤١ ـ حسن البنا ، الى اي شيء ندعو الناس .

42 — Harris - op. cit. p. 162.

٤٣ ـ حسن البنا ، مذكرات الدعوة والداعية ، ص ١١٥ .

ونفيا للزعامات السياسية (النحاس باشا اساســـــا) نادوا «الرسول زعيمنا» .

ونفيا للمصرية والنضـــال المصري رفعوا أعلام «الخلافـــــة الاسلامية » .

ونفيا للنضال المشترك مع الشعوب الاخرى ينادي البنا «ان الدور عليكم في قيادة الامم وسيادة الشعوب وتلك الايام نداولها بين الناس» (٤٤) .

ونفيا لاي نضال اجتماعي ضد ثراء الاثرياء الرأسماليين يقول الشيخ البنا «اما موقف الإسلام من الاغنياء واصحـــاب رؤوس الاموال ، فليس بيننا وبينهم الا اداء الزكاة» (٤٥) .

وفي مجابهة المؤامرات الاستعمارية الصهيونية ضد فلسطين والعرب حرف الاخوان المعركة وهي في أوجها الـــى معركة بين مسلمين ويهود .. وشنوا هجماتهم ضد اليهود المصريين وكأنهم يحضونهم حضا على الهجرة الى اسرائيل (٤٦) .

وهكذا الموقف مقابل الموقف .. ونترك الحكم بين الموقفين لغيرنا . لكن الشيء الاساسي في بلد شبه مستعمـــــر كمصر الاربعينيات كان الموقف من القضية الوطنية . وهنا نجـــد ان الاخوان قد اتخذوا موقفا «مرنا» للغاية اذا جاز لنا التحرج من استخدام الفاظ اخرى .

فالتعمية تسود هنا ايضا .. فالاستعمار (من حيث المبـــدأ) ليس سوى هجمة «صليبية» . وهنا يفرغ النضال ضده مــــن المفاهيم الوطنية والقومية والاقتصادية والاجتماعية ويصب فقط

---

٤٤ ـ انور الجندي ، الاخوان المسلمون في ميزان الحق ـ ص ٢٨ .

٤٥ ـ طارق البشري ، المرجع السابق ص ٦٩ .

٤٦ ـ لمزيد من التفاصيل راجع : د. رفعت السعيـــد ـ اليسار المصري والقضية الفلسطينية ـ دار الفارابي بيروت .

في طاحونة العداء الديني.. الذي يفرق بين المسلمين والمسيحيين من ابناء الوطن الواحد .

ولقد اثار الكثيرون من خصوم الاخوان قصصا عن علاقــات مستمرة بين المرشد (البنا ثم الهضيبي) والسفارة البريطانية .. ولسنا نريد ان نزج بأنفسنا في مجال ترديد تهم بغير أدلة .. لكن احد الباحثين المقبولين من جانب الاخوان ـ والذي افردت مجلة الدعوة مؤخرا صفحات كاملة لتقريظه ـ وهو الباحث الامريكي ميتشل يقول «بعد الافراج عن البنا في اكتوبر (تشريـــن الاول) ١٩٤١ قامت اتصالات بين السفارة البريطانية والاخوان المسلمين ولا احد يعلم من قام بهذا الاتصال ولا متى تم» (٤٧) . لكن الاخوان انفسهم يعترفون بهذا الاتصال ويبررونه بأن الاتصال قد تم بناء على طلب الانجليز الذين خشوا من التقارب بين الاخوان والقصر ! وتمضي جريدة الاخوان المسلمين قائلة دون احساس بأي حــرج انه بعد مناقشة افكار وبرنامج الجماعة أبدى الطرف الانجليزي استعداد السفارة البريطانية لتقديم مساعدة مالية للجماعــــة لمساعدتها على اداء رسالتها وتؤكد الجريدة ان البنا قد رفــض ذلك (٤٨) .

لكن باحثا آخر (Heyworth - Dunne) يؤكد استنادا الى مــا اسماه مصدر اخواني كان على علاقة بالسفارة البريطانية ان حسن البنا قد ألمح خلال الاتصالات ومن خلال عناصر وسيطة «انه على استعداد للتعاون ، وانه سيكون ممتنا لو ان مساعدة مالية قد قدمت له» ويعود الباحث الى التأكيد بأن مساعدات كبيرة قد

---

47 — Mitchell - op. cit. p. 28.

٤٨ ـ راجع في تحقيق هذه الواقعة : حسن البنا ، نظام الاسر نشأتــه واهدافه. وأيضا الاخوان المسلمون ٣١-٧-١٩٤٦ . وأيضا الدعوة ٢٩-٥-١٩٥٤ .

قدمت لجريدة الجماعة وخاصة في غضون عام ١٩٤٧ وان احمد السكري كان معنيا بهذا الامر وانه قد طلب في احدى المرات اربعين الـف دولار وسيارة كمقابـل لمساعدة الجماعة للمخطـط البريطاني (٤٩) . ويشير باحث ثالث الى موقف الاخوان من أحداث عام ١٩٤٢ وكيف انهم تخلوا عن مواقفهم القريبة من المحـور ورفضوا الاشتراك في المظاهرات التي هتفت «الى الامام يا روميل» ويؤكد بعد ذلك ان «المساعدة المالية كانت قد قدمت وقبلت»(٥٠).

وكعادتنا في هذا البحث فاننا لا نريد ان نمسك الا بما هـو ملموس ومؤكد ، فلنأخذ بما هو متيقن منه . المؤكد ان الشيـخ البنا قد اعترف اكثر من مرة كتابة ان جهات متعددة قد عرضت عليه اموالا لمساعدته على تنفيذ «برنامجه» .. اكد ان الطاغيـة اسماعيل صدقي قدم هذا العرض ، واكد ان السفارة البريطانية قدمت العرض .. واكد انه قد رفض العرضين .

حسنا .. ولنأخذه بأقواله ، ولنفترض ان العرضين قـد رفضا .. لكن يبقى السؤال المحير هو لماذا ؟ لماذا يتحمس طاغية كاسماعيل صدقي وسفارة تمثل الاحتلال الكريه الى قلب كـل مصري وكل مؤمن لتقديم معونات ماليـة للاخـوان المسلمين لمساعدتهم على تنفيذ «برنامجهم» ؟

اي برنامج هذا ؟ وما مدى انطباقه على مصالح الاسـلام والمسلمين ومصر والمصريين ! مجرد تساؤل نتركه بغير رد .

لكن الوقائع الملموسة ، والمواقف العملية لجماعة الاخـوان المسلمين تؤكد انه لا صدقي ولا السفارة الانجليزية كانوا سذجا عندما قدموا عروضهم .

---

49 — Heyworth - Dunne - op. cit. pp, 38 - 41.
50 — Boehm, Les Fréres Musulmans - pp. 200 - 218.

فعندما بدأ الطاغية صدقي رحلة خيانته عام ١٩٤٦ ، وعندما وقف الشعب المصري كله ضده .. كان الاخوان يؤكدون في كل مكان تأييدهم لصدقي .. ومستخدمين دون حرج الآية الكريمة «واذكر في الكتاب اسمعيلا انه كان صادق الوعد وكان صديقا نبيا » .

•عندما خطى صدقي خطوة جديدة على طريق الخيانة الوطنية وبدأ مفاوضاته حول المعاهدة التي استحقت لعنات الشعب المصري كله (معاهدة صدقي ـ بيفن) أيده الاخوان واستخدموا واقعة «صلح الحديبية» في تبرير تصرفاته (٥١) .

ويروي شاهد عيان معروف بحياده ودقته ـ هو صلاح الشاهد ـ ما يؤكد ذلك فيقول ان صدقي عندما توصل الى اتفاقية صدقي ـ بيفن «توهم ان الاخوان المسلمين قاعدة شعبية ذات وزن فاستدعى المرشد العام بعد وصوله من لندن بساعتين، وأطلعه على مشروع الاتفاقية قبل ان يطلع عليه النقراشي وهيكل المشاركين له في الحكم ، وحصل على موافقته على المشروع .. ولما اشتدت المظاهرات الشعبية ضد هذه المعاهدة طلب صدقي باشا من المرشد العام ان يركب سيارة سليم زكي باشا مساعد الحكمدار المكشوفة ليعمل على تهدئة الجماهير واستجاب المرشد العام لطلب صدقي باشا» (٥٢) .

ونتوقف أمام هذه الشهادة .

ـ اية علاقة هذه التي تربط بين الطاغية الخائن صدقي وبين المرشد العام ، والتي تجعل المرشد اقرب اليه من شركائه في

---

٥١ ـ محمد جلال ، مصريون لا طوائف ـ دار النيل للطباعة ـ القاهرة (١٩٥١) ص ٦١ .

٥٢ ـ صلاح الشاهد ، ذكرياتي في عهدين ـ دار المعارف ـ القاهرة (١٩٧٦) ص ٤٨ .

لحكم .. النقراشي وهيكل .
- ان البنا قد وافق على المعاهدة التي رفضتها مصر كلها والتي لم تزل وحتى الان رمزا للخيانة الوطنية والتفريط في حقوق الوطن .
- ان المرشد قد سمح لنفسه بأن يركب سيارة البوليس ليعمل على تهدئة المتظاهرين المعارضين لاتفاقية الخيانة .
اما واقعة ركوب المرشد لسيارة سليم زكي فهي مؤكدة وصوره تملأ صحف تلك الايام .. اما الواقعتان الأوليان فقد اوردناهما .. على مسؤولية «الشاهد» .
لكن الملاحظ ان شهر العسل لم يدم طويلا .. وان الاخوان قد حاولوا التوجه نحو امريكا . وكتاب الزعيم الاخواني مصطفى مؤمن «صوت مصر» مليء بالوقائع والادلة .. والتوجه نحو امريكا «ايها الامريكيون.. انتم الشعب الحر .. وقواد الديمقراطية»(٥٣) وعلى هذا المنوال يمضي الكتاب كله .
ولقد كان «شهر العسل» الاخواني - البريطاني مبررا من الجانبين، فالاخوان لم يعتبروا ان النضال ضد الاحتلال البريطاني محور عملهم السياسي كأي حزب وطني آخر بل على العكس من ذلك كانوا حريصين دائما على التأكيد بأن محور النضال هو الحكومة الاسلامية وليس اجلاء المستعمر .
يقول الباحث الوثيق الصلة بحركة الاخوان د. اسحق موسى الحسيني «ان تحرير وادي النيل كله من النفوذ الاجنبي كان مطلبا يلي في الاهمية لدى الاخوان مطلب اقامة الحكومة الاسلامية» (٥٤) .

---

٥٣ - مصطفى مؤمن ، صوت مصر - ص ٢٧١ .
٥٤ - د. اسحق موسى الحسيني ، المرجع السابق ص ٩٤ .

وبينما كانت مصر كلها تغلي بالنضال ضد الاستعمار ، والمظاهرات تملأ الشوارع مطالبة بالجلاء ، والجامعة تلتهب بالعمل الثوري ضد الاحتلال وعملائه نجد مؤتمر طلاب الاخوان ينحرف بالقضية كلها نحو ضرورة التركيز على «استرجاع الخلافة الضائعة» (٥٥) .

وفي رسالة «نحو النور» يورد البنا ما أسماه بالموبقات العشر . . ويضع الاستعمار على رأسها ثم يورد خمسين مطلبا من المطالب العملية للدعوة تحت عنوان «بعض خطوات الاصلاح العملي» ولم يرد بها مطلب واحد يتعلق بالقضية الوطنية او بالجلاء او بالاستقلال او بمقاومة الاستعمار ، كل ما هناك عبارة تقول «تقوية الروابط بين الاقطار الاسلامية جميعا وبخاصة العربية منها تمهيدا للتفكير الجدي العملي في شأن الخلافة الضائعة» (٥٦) . وفي العيد العاشر للجماعة (١٩٣٨) اكد حسن البنا ان الاخوان يعطون الاولوية لاسترداد الخلافة . وفي رسالته «الى اي شيء ندعو الناس» تحدث البنا عن الوطن الاسلامي قائلا انه ما يسمو عن حدود الوطنية الجغرافية والوطنية الدموية الى وطنية المبادىء (٥٧) .

ولعل من حقنا ان نسأل هل كان الاخوان بكل ما علقوه من آمال على الملك الفاسد فاروق كما أكد البنا نفسه عندما قال «ان لنا في جلالة الملك المسلم أيده الله املا» (٥٨) وبكل ما قام بينهم وبين القصر من علاقات سنشير الى بعضها في صفحات قادمة . . هل كانوا وهم يتحدثون عن الخلافة الضائعة يلوحون

---

٥٥ ــ مؤتمر طلبة الاخوان المسلمين ، ص ٤٠ .

٥٦ ــ حسن البنا ، نحو النور .

٥٧ ــ حسن البنا ، الى اي شيء ندعو الناس .

٥٨ ــ النذير ــ العدد الاول ــ مايو ١٩٣٨ .

بها للملك الفاسد ؟.. ام اي خليفة آخر كانوا يريدون ؟

وما يدفعنا لهذا السؤال هو اصرار الاخوان ومرشدهم على ان القضية المحورية كانت استعادة الخلافة ، ولم يقولوا اي خليفة يريدون ، بل ولم يسعوا الى اي تغيير «داخلي» يمكن من قيام خليفة مسلم حقا وصالح حقا .

اما ان يترك «الداخل» كما هو .. بل ويمتدح الملك ويصفق له ويحتفل بعيد ميلاده وعيد جلوسه احتفالات يسودها التملق.. ثم تكون المهمة الاولى هي استعادة الخلافة الضائعة ، فهو امر يثير الدهشة .. ولا يمنحنا الفرصة لاية اجابة اخرى .

واذا كان شعار «الخلافة الاسلامية» يوضع في مجابهة «الوطنية» ويتخطاه في الاولوية لدى الاخوان ، فقد وضعوه ايضا في مجابهة القومية العربية . يقول ابو الحسن الندوي «وظل هذا الصفاء قائما ودامت هذه الثقة لا يضعفها شيء ما دام العرب مخلصين للاسلام متجردين له .. لا يعدلون بالقومية الاسلامية قومية وبرسالة الاسلام والدعوة اليه رسالة ودعوة ، ولا يتحمسون لغير الاسلام . فلما تغيرت اخلاقهم في العهد الاخير ، وقامت فيهم الدعوة الى القومية العربية وتبنوا واحتضنوا دعوات اخرى وتحمسوا لها تزعزعت ثقة الشعوب غير العربية بهم ، وتغيرت نظرتها ونظرة العالم اليهم» (٥٩) .

ويسير حسن البنا على نفس النهج فهو يقبل العروبة «كرابطة حضارية وليس كقومية» وهو يرى في العروبة «وحدة روحية بسريان الاسلام في عنق ابنائها جميعا» (٦٠) .

---

٥٩ ــ ابو الحسن الندوي ، كيف دخل العرب التاريخ ؟ ــ الطبعة الثانية ــ لمختار الاسلامي ١٩٧٥ ــ ص ٢٠ .

٦٠ ــ د. انيس صايغ ، الفكرة العربية في مصر ــ ص ٢٠٠ .

وحتى القضية الفلسطينية كانت الجماعة تنظر اليها بمنظار ديني وليس بمنظار قومي . يقول طارق البشري «وقد استطاعت حركة الاخوان المسلمين ان تخاطب هذا الجانب في المصريين وان تمتص رد الفعل المعادي للصهيونية لصالحها ، لا باعتبار ان المعركة معركة بين الصهيونية والحركة الوطنية العربية ، ولكن باعتبارها معركة بين اليهود والاسلام ، واحيت بهذا ما كان قد انحسم من قضايا الخلافة والجامعة الاسلامية وبنت لنفسها باسم الدين ركيزة في مواجهة الحركة الوطنية ، واثارت ثنائية مفتعلة في حياة مصر السياسية .. ثنائية الدين والوطن» (٦١) .

اما موقف الاخوان من قضايا العالم والسياسة الخارجية فقد كان مثيرا للدهشة حقا اذ يقول ميتشل انهم كانوا يرون في استمرار الحرب الباردة عنصرا مفيدا للاسلام والامة الاسلامية اذ يتيح لها الفرصة في الوساطة بين المعسكرين الراسمالي والشيوعي (٦٢) . ويثير الدهشة ايضا ما كتبه سيد قطب احد قادة الاخوان من ان المسلمين بحاجة مؤقتا الى المعسكر الشيوعي ليخيفوا به الطغاة والمستغلين (٦٣) .

ولنمض مع الجماعة والشيخ مرة اخرى محاولين ان نستشف «البرنامج» من خضم التعاملات والمواقف اليومية. واذ استخلصنا مجمل مواقف الاخوان من القضية الوطنية والقومية العربية .. بما يحدد «نهجهم» و«برنامجهم» في هذا الصدد ، فلنتجه الى المشكلات الداخلية لمصر .. والى القضايا الاجتماعية الملحة .

و اذا كان الشيخ البنا قد اورد في مأثوراته مجموعات بين

---

٦١ ـ طارق البشري ، المرجع السابق ص ٢٥١ .

62 — Mitchell - op. cit. p. 271.

٦٣ ـ سيد قطب ، السلام العالمي والاسلام (١٩٥١) ص ١٦٧ .

الادعية ليرددها الاخوان منها «اللهم اني اعوذ بك من الكفـــــر والفقر» (٦٤) فقد رأينا كيف انتهى الامر بأن كل ما هو مطلوب من الرأسماليين هو اداء الزكاة .

وفي «مشكلاتنا في ضوء النظام الاسلامي» يطالب حسن البنا «باحلال رأس المال المحلي محل رأس المال الاجنبي» وهي خطوة لا بأس بها ، لكنها كانت ايضا مطلبا للرأسماليين الذين يريـــــدون الانفراد بالسوق . وعندما يناقش المشكلة الزراعية يطالب بتحديد حد اقصى للملكية الزراعية (لا يورد هذا الحد) على ان يقوم الملاك «ببيع» ما يزيد عن هذا الحد بأسعار معقولة ومقسطة على آماد طويلة لفقراء ومعدمي الفلاحين (٦٥) .

ولا بأس بهذا ايضا لكننا نلاحظ تخلفه حتى عن النظـــرات الاصلاحية التي كانت سائدة في صفوف كبار الملاك فـــي مصر الاربعينيات مثل مشروعات مريت غالي ومحمد خطاب . ولعــل الجماعة لم تحتمل حتى مثل هذه المواقف المتواضعة ، فاذا بها عندما يحين الجد وتبدأ ثورة يوليو ١٩٥٢ في تطبيق اصلاحهـــا الزراعي تتراجع عن موقفها القديم وتقدم مقترحات اكثر تخلفا .

ويلاحظ احد الباحثين ان «ثمـــة تناقضا يحكم الفكـــر الاقتصادي للبنا فهو يسمح للافراد بامتلاك واستغلال الثـــروة (رأس المال) لكنه في نفس الوقت يحرم الفائدة» ذلك ان البنـــا «يرى ان الفائدة مثلها مثل الربا محرمة كما هي محرمة فـــي روسيا» (٦٦) .

---

٦٤ ــ حسن البنا (الامام الشهيد) ، المأثورات ــ الطبعة الثانية ــ دار الشباب (١٩٧٥) ص ٣٤ .

٦٥ ــ حسن البنا ، مشكلاتنا في ضوء النظام الاسلامي ص ٨٣ .

٦6 — Khadduri - op. cit. p. 271.

ولنأت الان الى نقطة جديدة .. ما هو موقف البنا من الطبقة العاملة ومشاكلها وصراعاتها ؟ وللوهلة الاولى يلاحظ الباحث في ادبيات الاخوان عبارات لغوية مؤثرة مثل وفد علي دار المركز العام كثير من العمال ينزفون سخين الدمع ويعرضون ما يقاسون ... ان أحوالهم تفتت الاكباد وتدمي القلوب (٦٧) ، ولكنه يلاحظ ايضا ان الشيخ البنا يقول في محاضرة اعدها لقسم العمال بالجماعة ان على العمال ان يتذكروا دوما واجبهم نحو «الله ونحو انفسهم ونحو صاحب العمل» (٦٨) .

والحقيقة ان قسم العمال في الجماعة قد نشط نشاطا واسعا وحاول اقامة نقابات عمالية تستوحي افكار ومبادىء الجماعة . وفي منتصف الاربعينات اثمرت هذه الجهود نفوذا ملحوظا في صفوف عمال النقل . وتنشر جريدة الاخوان ان عمال النقل قد قرروا تأسيس نقابة تعمل «على هدي رسالة الاخوان المسلمين» (٦٩) . وكان للجماعة بعض النفوذ في صفوف عمال البترول بالسويس وعمال النسيج (٧٠) .

وبرغم ان نفوذ الاخوان وسط الطبقة العاملة لم يكن كبيرا الا انه من المفيد ان نلقي بعض الضوء على كيفية توجيه الشيخ والجماعة للعمال الاخوانيين .

ان اي دارس لتاريخ الحركة العمالية المصرية يكتشف على الفور حقيقة هذا الدور .. وهو ان الاخوان وعمالهم كانوا في جبهة خصوم حركة الطبقة العاملة .

---

٦٧ ـ الاخوان المسلمون ، ٧ـ٥ـ١٩٤٦ .

٦٨ ـ الاخوان المسلمون ، ٢٤ـ٨ـ١٩٦٤ .

٦٩ ـ الاخوان المسلمون ، ١٩ـ٦ـ١٩٤٦ .

70 — Wandley, William. J. The labour movement in Egypt - Middle East Journal iii (July 1949) p. 277.

فقد قاوموا حق «الاضراب» الذي كان سلاح العمال الوحيد في ظل مجتمع يخيم عليه استغلال راسمالي بشع وحكم عميل ذلك انهم اعتبروا ان الامتناع عن العمل والاضراب «هو امر مخل بروابط الاخاء بين المسلمين ومثير للجفاء بين فرقهم» (٧١) .

وفي شبرا الخيمة حيث نظم العمال اضرابهم الكبير الذي يعتبر نقطة تحول في تاريخ النضال العمالي ناور العمال الاخوانيون فشاركوا في الاضراب بهدف تخريبه من الداخل فلما فشلوا انسحبوا منه وحاولت جريدة الاخوان ان تبرر ذلك قائلة «لا بد للعامل في هذه المنطقة (شبرا الخيمة) من سلاحين هما قوة الايمان وحسن الخلق فنقوم الصلة بين العامل وصاحب العمل على الاحترام والعطف المتبادلين وهذه هي انجح الوسائل» .. واذ يدهش البعض من اقحام الايمان والخلق كأسلحة وحيدة للعمال في معركتهم ضد الراسمالية تبرر الجريدة ذلك وتحذر من خطر اليسار «الاخلاص هو العلاج الحاسم .. فكتابنا بيميننا وكتابهم بشمالهم» . ومن الانسحاب من الاضراب الى تخريبه الى ابلاغ البوليس عن قيادته ، الامر الذي دفع القيادات العمالية من الوفديين والشيوعيين الى توجيه حملات اعلامية ضد جماعة الاخوان متهمين اياها «بالعمل في خدمة الراسماليين والمستغلين وفي خدمة الطاغية صدقي وحكومات الاقلية» (٧٢) .

والحقيقة ان موضوع قيام الاخوان (عمالا وغير عمال) بابلاغ السلطات عن نشاط القوى المعادية لهم والتجسس عليها قد تردد

---

٧١ ـ امين عز الدين ، تاريخ الطبقة العاملة المصرية ص ١٧٦ .

٧٢ ـ الاخوان المسلمون ، ٢٠-٦-١٩٤٦ .

73 — Boehm - op. cit. pp. 218 - 220.

وايضا : انور عبد الملك ـ مصر مجتمع جديد يبنيه العسكريون ـ دار الطليعة ـ بيروت (١٩٦٤) ص ٣٢ .

بكثرة ، بل وقد اعترف به الاخوان انفسهم .

يقول احد قادة الاخوان ــ صلاح الدين علي ابو الخير ــ في شهادته امام محكمة الشعب «ان قسم الاخبار في الجماعة كان يقوم بجمع الاخبار المهمة التي تهم الجماعة .. وبرضه بشوف اي حاجة أفرض فيه خلية شيوعية مثلا .. وانا اعرف ان الاخوان ضبطوا عدة خلايا» (٧٤) ، ولكن جهودهم في هذا الصدد قد تركزت في مجال النشاط العمالي حيث كانت اعين واهتمامات اجهزة الامن والسراي وكل القوى الرجعية مركزة ايضا (٧٥) .. الامر الذي أضر بنشاط الاخوان في صفوف العمال ضررا بليغا ووصل به قرابة عام ١٩٤٨ الى ما يشبه التصفية (٧٦) .

كذلك كان تناول الاخوان القضايا الملحة بالنسبة للعمال تناولا شديد التخلف .. فبعد الحرب العالمية الثانية وعندما وصل عدد العمال المتعطلين الى بضعة مئات من الالوف شكل قسم العمال بالاخوان لجنة خاصة أسميت «لجنة شؤون المتعطلين» .

درست الامر ثم قدمت عدة مقترحات غريبة ، كان الاغرب منها ان تتبناها صحف الجماعة وتروج لها .

وتتلخص المقترحات في اعادة العمال الذين نزحوا من قراهم ابان الحروب للعمل في المدن .. الى موطنهم الاصلي (٧٧) ! ثم العمل على حصر الموسرين «في كل منطقة وتأسيس شركات مساهمة لانشاء مصانع على ان يقتطع من اجور العمال مبالغ تحول

---

٧٤ ــ محكمة الشعب الجزء الثاني المرجع السابق ، ص ٢٩ .

٧٥ ــ لمزيد من التفاصيل راجع :

Badaoui, Zaki, Les problèmes du Travail et les organisations ouvriers.

76 — Mithchell - op. cit. p. 282.

٧٧ ــ الاخوان المسلمون ، ١٨ــ٨ــ١٩٤٦ .

الى اسهم بأسمائهم» (٧٨) وقد حاول الاخوان تنفيذ مشروع كهذا في شبرا الخيمة لم يكتب له النجاح .

ولا بد لنا من الاشارة الى ان شركات ومزارع ومصانع ومشاغل ومحاجر ومناجم ومؤسسات جماعة الاخوان المسلمين كانت تهدف من بين ما تهدف الى اقامة نقاط ارتكاز وجذب للعمال المشتغلين فيها .

ومن الطريف ان حق المرأة في العمل قد علق البحث فيه من وجهة نظر الجماعة على «حل مشكلة البطالة عند الرجال» .

.. واخيرا لقد رفض البنا أن يكتب برنامجا لجماعته ، لكنه – في واقع الامر – ومن خلال الممارسات العلمية صاغ برنامجه.. وهو – في اعتقادنا – مليء بما يستوجب النقد ، وربما ما هو اكثر من الانتقاد .

---

٧٨ – الاخوان المسلمون ، ١٢–٧–١٩٤٦ .

الانتماء لمن .. ؟

.. « فاعلم فقهك الله ـ اولا ان دعوى الاخوان المسلمين دعوة عامة ، لا تنتسب الى طائفة خاصة ولا تنحاز الى راي عرف عند الناس بلون خاص ، ومستلزمات وتوابع خاصة ، وهي تتوجه الى صميم الدين ولبه ، وتود ان تتوحد وجهة الانظار والهمم حتى يكون العمل اجدى والانتاج اعظم واكبر ، فدعوة الاخوان دعوة بيضاء نقية غير ملوثة بلون ، وهي مع الحق أينمـــا كان ، تحب الاجماع وتكره الشذوذ ، وان اعظم ما مني به المسلمون الفرقــة والخلاف وأساس ما انتصروا به الحب والوحدة ولن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها ، هذه قاعدة اساسية وهدف معلوم لكل اخ مسلم وعقيدة راسخة في نفوسنا ، نصدر عنها وندعــو اليها » (١) .

---

١ أ ـ حسن البنا ، الرسائل الثلاث ، دعوتنا ـ ص ٢٦ .

بهذا تكلم الشيخ البنا في رسالته «دعوتنا» .

وهو يقول ايضا «لقد انعقد الاجماع على ان الاحزاب المصرية هي سيئة هذا الوطن الكبرى ، وهي اساس الفساد الاجتماعي الذي نصطلي بناره الان ... وبما ان الاحزاب هي التي تقدم الشيوخ والنواب وهي التي تسيّر دفة الحكم في الحياة النيابية، فان من البديهي الا يستقيم امر الحكم ، وهذه حال من يسيرون دفته ... واذا كان الامر كذلك فلا ندري ما الذي يفرض على هذا الشعب الطيب المجاهد المناضل الكريم هذه الشيع والطوائف من الناس التي تسمي نفسها الاحزاب السياسية . ان الامر جد خطير .. ولا مناص بعد الان من ان تحل هذه الاحزاب جميعا » (٢) .

وهو يقول كذلك «احب ان اقول لاخواننا من دعاة الاحزاب ورجالها : ان اليوم الذي يستخدم فيه الاخوان المسلمون لغير فكرتهم الاسلامية البحتة لم يجيء بعد ولن يجيء ابدا وان الاخوان لا يضمرون لحزب من الاحزاب أيا كان خصومة خاصة به ، ولكنهم يعتقدون من قرارة نفوسهم ان مصر لا يصلحها ولا ينقذها الا ان تحل الاحزاب كلها وتتألف هيئة وطنية عاملة تقود الامة الى الفوز وفق تعاليم القرآن الكريم . وبهذه المناسبة اقول ان الاخوان المسلمين يعتقدون عقم فكرة الائتلاف بين الاحزاب ، ويعتقدون انها مسكّن لا علاج .. والعلاج الحاسم الناجع ان تزول هذه الاحزاب مشكورة ، فقد ادت مهمتها وانتهت الظروف التي اوجدتها ، ولكل زمان دولة ورجال كما يقولون» (٣) .

هكذا تحدث حسن البنا .. لكن الكلمات شيء والافعال !!

---

٢ ــ حسن البنا ، مشكلاتنا في ضوء الاسلام ــ ص ٥٨ .

٣ ــ حسن البنا ، رسالة المؤتمر الخامس ــ ص ٥٦ .

شيء آخر ..

فالدعوة توجهت نحو القصر الملكي تدعمه وتشد أزره وتحاول جاهدة ودون جدوى ان تزين وجه الملك الفاسد . والهجوم على الحزبية والاحزاب سرعان ما أسفر عن تحالف مع اكثر القوى رجعية في المجتمع المصري .. محور علي ماهر ـ المراغي لفترة ومع اسماعيل صدقي لفترة اخرى .. ثم مع احزاب الاقليات لفترة ثالثة .

ولكن .. أليس من الافضل ان نسير مع التحالفات السياسية للشيخ خطوة خطوة ؟.. وأليس من الافضل ان نلقي بقعة صغيرة من الضوء على واحد من اقرب واهم حلفائه ـ علي ماهر باشا ـ تحدد لنا موقعه وموقع الحلف معه .. من قضية الوطن وقضية الاسلام ؟. فقط أردنا بايراد كلمات الشيخ السابقة ان نضعها في مجابهة مواقفه العملية .. ونزن بعد ذلك مدى الصدق في الكلمات .. والمواقف .

***

توفي الملك فؤاد ، وأتى لحكم مصر شاب صغير السن ، بلا خبرة ولا تجارب ولا قدرات ونجح في ان يسيطر عليه واحد من أعتى السياسيين المصريين واكثرهم طموحا وذاتية .

● علي ماهر :

* الذي يقول عنه دافيد كيلي رجل المخابرات البريطانية العتيد ومستشار دار المندوب السامي البريطاني في مذكراته : «وقع فاروق في مرحلة مبكرة من عمره تحت نفوذ علي ماهر باشا الذي اصبح صاحب النفوذ الاول في السراي . وكان علي

ماهر رجلا ذكيا جدا ولكنه كان طموحا ، وكان طموحه يستهلكه. ولهذا فقد وضع نصب عينيه على الفور ان يصب في الملك الجديد نفس الكراهية التي كانت تفيض بها نفس ابيه نحو الوفد » (٤) .

* والذي يقول السفير البريطاني عنه في تقرير له الى وزارة خارجيته :

« .. وعلى الرغم من انه بقي الجانب الاكبر من عام ١٩٣٧ بعيدا عن المناصب الحكومية ، فان الملك فاروق كثيرا ما كان يستشيره بصفة غير رسمية ، وكان علي ماهر قد حاز ثقة الملك من قبل ، وهكذا فانه بعمله داخل الكواليس استطاع ان يحقق لنفسه نفوذا كبيرا على سياسة القصر» (٥) .

* والذي يعترف هو بنفسه امام المحكمة انه كان صديقا للانجليز وانه كان «على ولاء تام لهم والمجاملات الشخصية كانت لاقصى الحدود ..» (٦) .

* وعندما تصاعد المد الفاشي .. وتصور البعض ان «الالمان قادمون» تهيأوا لاستقبال السيد الجديد . من هؤلاء كان علي ماهر .. يقول الدكتور الطيب الناصر في مذكراته ، ان الكونت ماتزوليني آخر وزير مفوض لايطاليا الفاشية في مصر ابلغه انه «اتفق شخصيا مع علي ماهر على ان تثور مصر على الانجليز في

---

٤ ـ نقلا عن : محمد عودة ، سبعة باشوات وصور اخرى ـ الكتاب الذهبي ـ ص ١٥٤ .

٥ ـ الاهرام ، ٢٠-٢-١٩٧٠ ـ موضوع : راي السفير البريطاني منذ ٣٠سنة في ١٥٠ سياسيا مصريا .

٦ ـ ملف قضية الافتيالات السياسية ـ شهادة علي ماهر باشا .

الوقت المناسب لتمهيد السبيل لجيوش المحور» (٧) .

★ وتنفيذا لهذا المخطط وفي أعقاب الهجوم العنيف الذي قاده الجنرال روميل باتجاه مصر واستولى على بني غازي يوم ٢٩ يناير ١٩٤٢ ، هاجت في مصر مظاهرات أغلبها من الازهريين (أتباع الشيخ المراغي حليف علي ماهر الحميم) تهتف «الى الامام يا روميل» وتهتف ايضا «علي ماهر رجل الساعة» .

★ ويقول جورج كيرك «ان المخابرات البريطانية اكتشفت في الوثائق الالمانية ان علي ماهر كان يحصل على مبالغ مالية عن طريق بنك درسدنر» (٨) .

.. هذا هو علي ماهر الذي دخل الشيخ البنا السياسة من بابه الخاص والذي كان اول حليف سياسي لجماعة الاخوان المسلمين .. والذي قاد البنا بيديه نحو التبعية للسراي والملك والعداء للوفد والقوى الديمقراطية .

.. وهكذا كان علي ماهر باشا أول من وعى ـ من المسؤولين ـ نصيحة اسماعيل صدقي باشا بالتعاون مع الاخوان واستخدامهم .

وكانت البداية اثناء الاستعدادات لتولية الملك الشاب على العرش . فقد اقترح الامير محمد علي اقامة حفل ديني تتم فيه مراسيم تولية الملك . والحقيقة ان هذا الاقتراح لم يكن سوى جزء من المخطط الشامل لعلي ماهر والشيخ المراغي باحتواء الملك وتقديمه في صورة الملك الصالح المسلح بالدين في مواجهة الوفد المسلح بتأييد الشعب .. ورفض رئيس الوزراء مصطفى النحاس ذلك معلنا ان هذا «اقحام للدين فيما ليس من شؤونه وايجاد

---

٧ ـ روز اليوسف ، ٢٣-١-١٩٥١ . مذكرات الدكتور الطيب الناصر .

٨ ـ جورج كيرك ، موجز تاريخ الشرق الاوسط ـ ترجمة عمر الاسكندري ـ ص ٣٤ .

سلطة دينية خاصة بجانب السلطة المدنية» (٩) . ووقف النحاس امام مجلس مجلس النواب يتحدى هذا المخطط قائلا «الاسلام لا يعرف سلطة روحية ، وليس بعد الرسل وساطة بين الله وبين عباده .. وليس أحرص مني ، ولا من الحكومة التـــي أتشرف برئاستها على احترام وتنزيه الاسلام ، كما انه ليس أحرص منا على الالتزام بأحكام الدستور ، ولكن الإحتفال بمباشرة جلالة الملك لسلطته الدستورية شيء آخر فهو مجال وطني يجب ان يتبارى فيه سائر المصريين مسلمين وغير مسلمين» (١٠) .

وهنا يبرز — ولاول مرة — الدور السياسي للشيخ حســـن البنا ولجماعته .. والتوقيت هام للغاية لانه كما يحدد المهمة .. يحدد اطارها وبواعثها ومحركيها .

يعقد الاخوان المسلمون مؤتمرهم الرابع لهدف وحيد هـــو الاحتفال باعتلاء جلالة الملك العرش ! ولاول مرة ايضا تبرز في الميدان جوالة الاخوان المسلمين «لتلعب اول أدوارها الهامـــة كقوة للنظام والامن» (١١) . وبعد احتفالات طويلة ومليئة بالبهجة تجمع الاخوان عند بوابات عابدين هاتفين «نهبك بيعتنا وولاءنا على كتاب الله وسنة رسوله» (١٢) .

وفي مناسبة اخرى .. وعندما اختلف النحاس باشا مـــع القصر، خرجت جماهير الوفد تهتف «الشعب مع النحاس» فسيّر الشيخ البنا رجاله يهتفون «الله مع الملك». وتناهى الاخوان كثيرا

---

٩ — لمزيد من التفاصيل راجع : د. رفعت السيد : مصطفى النحاس ، السياسي والزعيم والمناضل . دار القضايا بيروت (١٩٧٦) ص ٧٦ وما بعدها

١٠ — «المصري» ، ٢٢-٢-١٩٣٧ .

11 — Mitchell - op. cit. p. 16.

١٢ — حسن البنا ، مذكرات الدعوة والداعية . ص ٢٥٢ .

بأن الملك قد خرج في شرفة قصره ست مرات ليحيي مظاهرتهم هذه» (١٣) ، .وتقول جريدة البلاغ «ان الملك كان بالغ السعادة بشعار الله مع الملك وكان يردد نعم الله معنا» (١٤) .

والحقيقة ان البنا لم يكن جديدا على فكرة التقرب من العرش فهو يروي بنفسه انه عندما حقق معه في عام ١٩٣٠ ، ثبت من التحقيق انه كان يملي على طلبته في دروس الاملاء موضوعات ينوخى فيها الثناء على الملك فؤاد وتعداد مآثره ، وانه دفع العمال يوم زيارة الملك للمدينة الى التجمع لتحيته «حتى يفهم الاجانب في هذا البلد اننا نحترم ملكنا ونحبه» . ويمضي الشيخ البنا قائلا ان احد رجال البوليس كتب تقريرا بهذه المناسبة اشاد فيه بأثر الجماعة الروحي في تقويم من لم تنفع معهم وسائل التأديب البوليسية واقترح «ان تشجع الحكومة الجماعة وتعمل على تعميم فروعها في البلاد حتى يكون في ذلك اكبر خدمة للامن والاصلاح (!)» (١٥) .

واذا لم يكن غريبا ان يكتب رجل البوليس ذلك عن جماعة الاخوان ، فهل كان غريبا أن يتباهى به الشيخ كتابة وصراحة ؟

ولم تكن جوالة الاخوان وحشودها لتحية «الفاروق» وحده وانما ايضا لتحية علي ماهر . فعند عودته من مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في لندن (مارس ـ آذار ـ ١٩٣٩) لبحث قضية فلسطين كانت حشود الجوالة والاخوان في انتظاره هاتفة له (١٦) .

لكن النحاس باشا كان يرى ان اقحام الاخوان المسلمين في

---

١٣ ـ الاهرام ، ٢٢-١٢-١٩٣٧ .

١٤ ـ البلاغ ، ٢٢-١٢-١٩٣٧ .

١٥ ـ حسن البنا ، مذكرات الدعوة والداعية ص ٨٩ .

16 — Heyworth - Dunne - op. cit. p. 23.

السياسة . وتصاعد دعواهم في هذا الوقت بالذات ، تعبير عن مؤامرة اوسع واخطر ، فهو يقول في خطاب في ٤ يوليو (تموز) ١٩٣٨ :

«عامل آخر من عوامل الازمة .. فلقد اراد اصحاب المؤامرة أن يجعلوها محبوكة الطرفين فتآمروا على استخدام الدين في الدعاية ضد الحكومة ، وكان ان ظهرت بوادر هذا التآمر قبل سفرنا الى مونترو لحضور مؤتمر الغاء الامتيازات الاجنبية فقد قامت ضجة تنادي بأنه يجب جعل الشريعة الاسلامية اساسا للتشريع المصري وان تطبق قواعدها تمام التطبيق ، وأن يفصل بين الطلاب والطالبات في الجامعة . وكان الغرض من ذلك وضع العراقيل ، واقامة الحوائل في سبيل اتفاقنا على سريان تشريعنا المصري على الاجانب المقيمين بيننا . فمما لا جدال فيه أن هذا التطبيق، وما يشتمل عليه من قواعد مقررة في شريعتنا السمحة، كقطع يد السارق وجلد الزاني لا يقبل ممثلو الدول الاجنبية الموافقة عليه بحال من الاحوال . ولقد كان من شأن هذه الدعاية ان تقف حجر عثرة في سبيل الغاء الامتيازات الاجنبية ، وينال المتآمرون من وراء ذلك ما يرجونه» (١٧) .

.. وفي هذه الآونة بالذات بدأ الشيخ البنا هجومه على الاحزاب والحزبية ونادى بحلها جميعا وعمل على تعزيز سلطات الملك وحاول ان يمنحه ما ظل القصر مفتقدا اياه طوال حياته من تأييد جماهيري .. الامر الذي شجع فاروق على محاولة تدبير «انقلاب دستوري» اختار له عن عمد ذكرى راس السنة الهجرية حيث وجه خطابا بالراديو اعلن فيه توليه لزمام كل

---

١٧ ــ صباح الخير ، ٣١ــ٣ــ١٩٧٧ ــ د. عبد العظيم رمضان ، مقال: الدين في الصراع السياسي .

الامور قائلا «ان ثقتي بنفسي وتوكلي على الله هو الذي يلهمني تصريف الأمور ويوجهني الوجهة الصحيحة» (١٨) . ومع الهجوم على الدستور في مصر لاحت بوادر الموالاة للمحور وعملائه . ولعل الدور الذي لعبه الشيخ البنا وجماعة الاخوان في هذا الصدد هو الذي دفع كاتبا اسلاميا كعباس العقاد الى ان يكتب غاضبا «في مصر دعوة ديكتاتورية ليس في ذلك جدال ، والذين يقومون بهذه الدعوة ويقبضون المال من اصحابها هم الذين يشنون الغارة على الدول الديمقراطية ويثيرون الشعور عليها باسم الدين وباسم سورية وفلسطين ، ولا يثيرون الشعور على الدول الاخرى باسم الدين وباسم البانيا وبرقة وطرابلس والصومال .. ويسير علينا ان نعرف بعدما تقدم من اين تتلقى تلك الجماعات المتدينة أزوادها ونفقاتها ، ولماذا تتوجه بالدعوة المزيفة الى هذه الوجهة التي لا وجهة غيرها امام تلك الجماعات لخدمة المطامع الديكتاتورية .. انها جاسوسية مأجورة تتوارى بالاسلام للايقاع ببلاد الاسلام ، لان نجاح الدعوة الديكتاتورية لن ينتهي الى مصلحة المسلمين ولا الى سيادة المسلمين وانما ينتهي الى ضياع المسلمين» (١٩) .

وفي ظل مباركة التيار الديني (الشيخ المراغي ـ الشيخ حسن البنا) ، بتحريض وتخطيط من علي ماهر الذي اصبح في نهاية الثلاثينيات ومع صعود نجم الهتلرية بؤرة النشاط الموالي للمحور، حاول فاروق هو الآخر ان يلعب لعبة التقارب من المحور .

وفي يوم ٢٣ فبراير ١٩٣٩ كتب الكونت شيانو وزير خارجية ايطاليا فيمذكراتهالخاصة انه«تلقىنبأ (من) اتوليكو السفير الايطالي في برلين عن مقابلة جرت بينه وبين مراد سيد احمد باشا وزير

---

١٨ ـ مصر الفتاة ، ٢٧-٣-١٩٣٩ .

١٩ ـ الدستور ، ٢٧-٧-١٩٣٩ ـ مقال لعباس محمود العقاد .

مصر المفوض في برلين ، استفسر فيها الوزير المصري باسم مليكه .. عما اذا كان المحور سيكون على استعداد لمساندته اذا أعلنت مصر حيادها وترتب على ذلك تدخل مباشر او غير مباشر من جانب بريطانيا العظمى» (٢٠) . واستمرت الاتصالات بين القصر والمحور وتعددت وسائلها ، وفي ١٤ ابريل ١٩٤١ اتصل يوسف باشا ذو الفقار (والد الملكة فريدة ــ وسفير مصر في طهران) بالسفير الالماني ورجاه ان يبلغ هتلر «ان فاروقا وشعبه لا يرغبون في الحرب مع المانيا .. وان فاروقا وشعبه يأملون في رؤية القوات الالمانية منتصرة ومحررة لهم من الاحتلال البريطاني» (٢١) بل ان فاروقا كان يتجسس لصالح الالمان ، ففي يوم ٢٩ يونيو ١٩٤١ ارسل فاروق برقية الى السفير المصري في طهران يطلب منه ان يبلغ السفير الالماني «ان لديه معلومات تشير الى ان الانجليز سيحتلون مناطق البترول الايرانية لكي يحموها من الهجوم الالماني من ناحية روسيا والهجوم ضد العراق وايران » (٢٢) .

واستعدادا لهذا التحول الخطير من الولاء لانجلترا الى الولاء لالمانيا كان يتعين ايجاد حزب ذي جماهيرية ما ، ونفوذ ما ، يستطيع ان يدعم هذا التحول وان يخلق له سندا شعبيا .

وكان عزيز المصري باشا صديق علي ماهر الحميم وحليف المحور صاحب فكرة ميلاد حزب جديد .. يوجد بين الحزبين

---

20 — Ciano, Count Galeazzo - Ciano's Diary (1939 - 1943) London - p. 32.

٢١ ــ الاهرام ، ٩-٢-١٩٦٧ ــ د. محمد انيس : دراسة عن ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ .

٢٢ ــ السياسة الدولية ، اكتوبر ١٩٧١ ــ د. عبد العظيم رمضان ، مقال: الاتصالات المصرية بدول المحور ٣٩ ــ ١٩٤٥ .

المشاركين مع جناح القصر ـ علي ماهر ـ المحور في مخططه والخاضعين في نفس الوقت لنفوذ علي ماهر ولنفوذه شخصيا وهما الاخوان المسلمين ومصر الفتاة ويخلق حزبا اسلاميا منظما على النمط الفاشي مدعوما بنفوذ القصر وباعلانه العصيان على الانجليز .. اعداء الوطن (٢٣) . واستعدادا لذلك غيّر احمد حسين اسم حزبه ليرتدي هو ايضا مسحة اسلامية .. ويبدو ان الضغط على البنا كان شديداً الى درجة جعلته يفرد في «رسالة المؤتمر الخامس» باباً خاصا بعنوان «الاخوان ومصر الفتاة» قال فيه «وان كثيرا من الناس يود ان لو اتحدت جماعة مصر الفتاة مع الاخوان المسلمين وهذا شعور ما من شك في انه جميل نبيل فليس اجمل من الوحدة والتعاون على الخير ، ولكن من الامور ما ليس يفصل فيه الا الزمن وحده .. فلنترك للزمن اداء مهمته واصدار حكمه وهو خير كفيل بالصقل والتمييز» . لكن البنا يستدرك «وليس معنى هذا ان الاخوان سيحاربون مصر الفتاة بل انه ليسرنا ان يوفق كل عامل للخير والى الخير ، ولا يحب الاخوان ان يخلطوا البناء بهدم ، وفي ميدان الجهاد متسع للجميع » (٢٤) .

وعلى اية حال فقد ادت هذه العلاقة الحميمة بين الشيخ البنا ومحور القصر علي ماهر ـ المراغي ـ عزيز المصري الى تداعيات عدة .. فهي من ناحية مكنت البنا من أن يقفز بجماعته الى سطح الاحداث .. وفي عام واحد او عامين تضاعف عدد شعب الجماعة الى اكثر من عشرة اضعاف وامتلكت مجلات ناطقة باسمها ، وتشكلت فرق جوالتها لتمارس مهام الردع وحفظ

---

23 — Heyworth - Dunne - op. cit. p. 36.

٢٤ ـ حسن البنا ، رسالة المؤتمر الخامس ص ٥٧ .

النظام ، وحشدت لمظاهرات كانت اول مظاهرات في تاريخ مصر الحديث تهتف بحماس بحياة الملك .

لكن للتداعيات وجهها الآخر .

فقد اعترضت مجموعة هامة من اعضاء الجماعة وكوادرها القيادية في عام ١٩٣٩ على هذا الانغماس السياسي المناوىء لمصالح الجماهير ورفضوا ان يهتفوا بحياة ملك يعرفون جيدا كم هو فاسد ورفضوا الانغماس في مؤامرات مشبوهة يحركها سياسي مشبوه مثل علي ماهر .. وقيل ان بعض هؤلاء المتمردين كان وفدي النزعة .. ففي المرحلة الاولى من الجماعة والتي كانت تكتفي فيها باظهار نزعة دينية خالصة لم يكن هناك ما يمنع ذوي الميول الوفدية من الانتماء اليها ، اما ان تصبح الجماعة اداة لضرب الوفد لصالح القصر فذلك أمر آخر .. وهكذا «وجه المتمردون انذارا الى الشيخ البنا بطرد احمد السكري لاتجاهاته السياسية وبقطع الجماعة كل اتصالاتها السياسية خاصة مع علي ماهر» (٢٥) .. لكن البنا يرفض الانذار ، ويصدر قرارا بطرد كل معارضيه من صفوف الجماعة ، بل ويهددهم بابلاغ البوليس ضدهم اذا هم اذاعوا اسرار الجماعة (اية اسرار ؟ ولماذا يحميها البوليس ؟ وكيف يستعين زعيم بالبوليس ضد معارضين له من صفوف حزبه ؟) ، والحقيقة ان هناك من الشواهد ما يثبت ان البوليس كان يحمي حسن البنا بتعليمات من السلطات العليا(٢٦) . وتقول باحثة اخرى «ان هذه الايام قد شهدت اكثر فأكثر الطابع الديكتاتوري لتصرفات الشيخ حسن البنا تجاه اعضاء الجماعة ، واصبح واضحا انه ينوي ان يوجه بنفسه ووحده دفة العمل

---

٢٥ ــ طارق البشري ، المرجع السابق ص ٤٨ .

26 — Heyworth - Dunne - op. cit. p. 38.

السياسي للجماعة» (٢٧) . وقد كوّن المنقسمون جماعة «شباب سيدنا محمد» وخرجت معهم مجلة «النذير» وظلوا لفترة يرددون معلومات عن مساعدات مالية تلقاها البنا من علي ماهر (٢٨) .

ويكتب احد زعماء الانقسام محمود ابو زيد عثمان في مجلة النذير يحدد فيه اسباب انقسام مجموعته فيتهم الشيخ البنا بأنه:

أ ـ موال للقصر الملكي وعلي ماهر .

ب ـ يتلاعب بأموال الجماعة .

جـ ـ يرفض تطبيق مبدأ الشورى .

د ـ يحمي بعض الشخصيات غير الاخلاقية (الشيخ عبد الحكيم عابدين) (٢٩) .

ومن التداعيات ايضا ان الانجليز بدأوا يشعرون بخطر التقاء الجماعة والشيخ مع مخطط الموالين للمحور .. ثم بدات السفارة البريطانية في تسليط عيونها على تحركات الشيخ ، ووضعته في موضع الخصومة ، خصوصا بعد ان تمكنت من الاطاحة بوزارة علي ماهر .. ويروي د. محمد حسين هيكل باشا في مذكراته ان السلطات البريطانية ابلغت حسين سري باشا رئيس الوزارة ان حسن البنا يعمل لحساب الايطاليين ورات ضرورة الحد من نشاطه «ورأى سري باشا ان ينقل الرجل من القاهرة الى بلد ناء بالصعيد يكفل هذا الغرض فحدثني في الامر، وطلب الي نقله الى قنا ولم اجد بأسا من اجابة طلبه» (٣٠) . لكن

---

27 — Harris, Christina - op. cit. p. 179.

28 — Mitchell - op. cit. p. 17.

٢٩ ـ آمال السبكي ، المرجع السابق ص ٢٥ .

٣٠ ـ د. محمد حسين هيكل ، مذكرات في السياسة المصرية ج٢ ، ص ٢٠٨ .

امر النقل الفي فورا بضغط من القصر .

«على ان السلطات البريطانية لم تلبث ان عادت فطلبت اعتقال حسن البنا واحمد السكري في ١٩ اكتوبر ١٩٤١ ، كما القــي القبض ايضا على عبد الحكيم عابديــن وغيره من الاخـــوان المسلمين » (٣١) .

وهكذا تبدأ المحنة الاولى في تاريخ الشيخ وجماعته ، لكنها محنة قصيرة فللبنا اصدقاء حميمون ذوو نفوذ .. فقد أفرج عن البنا ورجاله بعد بضعة ايام . ويقول جورج كيرك المعروف بسعة اطلاعه ان الافراج قد تم «بضغط من القصر الذي ساد الاعتقاد انه يمده (البنا) بمعونة سخية» (٣٢) .

وثمة شاهد عيان يقدم معلومات هامة عن واقعة الافـــراج المفاجىء وعن ملابساتها . يروي احمد حسين زعيم حزب مصر الفتاة انه لما قامت الحرب أودع احمد حسين وزملاؤه في معتقل الزيتون ، وأوقف كل نشاط لهم . وان حسن البنا وقـــادة الاخوان اعتقلوا في مستهل الحرب كغيرهم . فما راع المعتقلين الا ان حضر الى المعتقل حامد جودة (وزير السعدي في وزارة حسين سري ١٩٤١) واجتمع بحسن البنا عدة ساعات ، ثم ما لبث البنا ان أفرج عنه بعد بضعة ايام . ويفسر احمد حسين هذا الافراج الغريب بأنه كان تعبيرا عن رغبة حزب السعديين في استغـــلال حركة الاخوان في دعم نفوذ الحزب . وقال ان الشيخ خرج من المعتقل وقد ازداد جاها ونفوذا .. ومضى في دعوته حرا طليقا يجوب البلاد يؤلف الشعب وينظم الجماعات ، واشتهر في البلاد ان الاخوان المسلمين في حماية الحكومة وفي حماية السعديين

---

٣١ ـ د. عبد العظيم رمضان ، الحركة الوطنية في مصر من ١٩٣٧ الــى ١٩٤٨ ج٢ ـ دار الوطن العربي بيروت ص ١٢٨ .

٣٢ ـ جورج كيرك ، المرجع السابق ص ٣١٤ .

بصفة خاصة (٣٣) . وثمة شهادة اخرى لاحد اقطاب حزب مصر الفتاة هو محمد صبيح الذي اكد (في مناقشة له مع د. عبد العظيم رمضان) ان فاروقا قد حمى الاخوان وضغط للافراج عنهم (٣٤) .

وخرج البنا ليقيم حوارا مع السفارة البريطانية .. الامر الذي يؤكده الجميع بما فيهم البنا نفسه وان اختلف البعض حول نتائجه .

وقبل ان نغلق ملف «المحنة الاولى» تبقى ملاحظتان :

الاولى ان العلاقة بين البنا والقصر لم تمنع البنا من اقامة علاقة وثيقة مع ولي العهد المناوئ لفاروق ولنهجه في التقارب مع المحور، والذي كان على الدوام متفانيا في الاخلاص للانجليز .. وكتعبير عن علاقة حميمة اهدى ولي العهد مكتبة اسلامية ضخمة للمركز العام للاخوان المسلمين في الحلمية الجديدة (٣٥) .

والملاحظة الثانية يؤكدها احمد حسين في مرافعته السابقة وهي ان البوليس لم يكن يعتبر جماعة الاخوان المسلمين مجالا لنشاطه ، فلم يتعقب نشاطهم ولم يجمع عنهم اية معلومات ، فقد كان مطمئنا اليهم كل الاطمئنان . وقال احمد حسين انه عند صدور قرار حل جماعة الاخوان المسلمين كان البوليس في فزع شديد لانهم لم يكونوا قد اتخذوا اي اجراء وقائي ضد نشاطهم بل ان احمد حسين يروي واقعة غريبة فيقول انه قابل يوما هو وحسن البنا عبد الرحمن عمار (مدير الامن العام ثم وكيل وزارة الداخلية الموالي للسعديين) وان الشيخ واجه عمار بأنه كان

---

٣٣ ـ مرافعة احمد حسين المحامي في قضية اغتيال المرحوم فهمي النقراشي ١٩٤٩ ص ٤١ .

٣٤ ـ د. عبد العظيم رمضان ، المرجع السابق ص ١٣٠ .

٣٥ ـ محمد شوقي زكي ، المرجع السابق ص ١٤٥ .

عضوا في جماعة الاخوان فلم ينف عمار ذلك ، وقد طلب احمد حسين عبد الرحمن عمار للشهادة امام المحكمة وواجهه بهذه الواقعة (٣٦) .

وتأتي أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ ويأتي الوفد الى الحكم .

وكان الوفد في هذه الايام يعاني من أثر قبوله للحكم على «اسنة رماح الانجليز» كما قال خصومه ، ويعاني من هجمات شديدة تتهم حكمه بالفساد ، ويعاني من تسلل غالبية اقطاعية الى صفوف قيادته تحت زعامة شاب اقطاعي مليء بالنشاط والحيوية هو فؤاد سراج الدين ، ويعاني فوق هذا وذاك من انقسامات تهدده .

وهكذا كانت بعض اجنحة الوفد مهيأة تماما للالتقاء مع خصم الامس الشيخ البنا .

والحقيقة ان الجناح الليبرالي للوفد كان يرفض وبشدة اي تداخل للدين او الجماعات الدينية في السياسة ، وكان مصطفى النحاس باشا ذا حساسية خاصة تجاه هذا الامر .. وعندما التقى النحاس باشا باحمد حسين رئيس مصر الفتاة صاح في وجهه بانفعاله المعروف قائلا «انت دسيسة وهناك من دفعك الى هذا العمل ، والا فمن اين تأتي بالمال الذي تصرفه على الحركة ؟» ثم بدأ يناقشه في مبادىء مصر الفتاة قائلا «ان فيها بعض المبادىء الخطرة التي لا اكاد افهمها خذ مثلا «الله» التي وضعتها في اول شعارك فلست اراها الا شعوذة ، لان وضع «الله» في برنامج سياسي هو شعوذة» (٣٧) .

اما الجناح اليميني في الوفد والذي كان يجد لنفسه في ذلك الحين قوة قائدة هو فؤاد سراج الدين باشا «فقد كان يعتبر ان

---

٣٦ ـ مرافعة احمد حسين ، المرجع السابق ص ٤٢

٣٧ ـ المرجع السابق ، ص ٤٧ .

حركة الاخوان المسلمين تمثل اداة مفيدة ضد الضغوط الاجتماعية المتزايدة خاصة وان الشيوعيين قد ازداد نشاطهم خلال فترة الحرب ، وهكذا فان سراج الدين قد استغل منصبه كوزير للزراعة لتشجيع الاخوان على توسيع نشاطهم في الريف» (٣٨) .

وهكذا ، وعلى أكتاف سراج الدين باشا ومجموعة اقطاعيي الوفد وثب الشيخ البنا نحو الريف ، لكن العلاقة بين الوفد والاخوان ظلت متعرجة تعرج المنطلقات الاجتماعية المختلفة داخل الوفد ذاته .

ففي ٧ فبراير ١٩٤٢ اعلن النحاس باشا رئيس الوزارة حل البرلمان واجراء انتخابات جديدة ، وكان المؤتمر السادس للاخوان والذي عقد في يناير ١٩٤١ قد اعلن ان الوقت ناضج تماما كي يخوض مرشحو الاخوان المسلمين المعركة البرلمانية . ورشح البنا نفسه في دائرة الاسماعيلية ، لكنه ما لبث ان سحب ترشيحه على اثر مقابلة عاجلة بينه وبين رئيس الوزراء (٣٩) .

ويقال ان البنا قد طلب «ثمنا» عاليا مقابل سحب ترشيحه وكان الثمن :

أ ـ اطلاق حرية النشاط امام الجماعة .

ب ـ وعد من الحكومة باتخاذ اجراء ما ضد بيع المشروبات الروحية وضد بيوت البغاء المصرح بها رسميا (٤٠) .

وفي نهاية عام ١٩٤٢ عاد النحاس الى التصادم مع الاخوان فأغلق مقارهم جميعا ما عدا المركز العام ، ثم عادت العلاقات الى التحسن على اثر زيارة قام بها بعض قادة الوفد للمركز العام (٤١) .

---

38 — Mitchell - op. cit. p. 27.

39 — Ibid - p. 27.

40 — Heyworth - Dunne - op. cit. p. 40.

٤١ ـ احمد انس الحجاجي ، الامام ـ الجزء الثاني ص ٣٦٩ .

خلاصة الامر لقد وضح مبدأ التحالف بين الوفد والاخوان في فترة محددة تماما هي فترة تولي الوفد الحكم .. ليس قبلها وليس بعدها (فتحالفات الاخوان كانت دوما مع من هم في الحكم) ، كما ان هذه التحالفات كانت محلا لصراعات داخل الوفد ذاته : «الليبراليون» ضدها وكبار الملاك معها .

يقول ريتشارد ميتشل الباحث المعتمد من جماعة الاخوان «ان جماعة الاخوان قد جسدت نظرة تقليدية للاسلام وقدمته كحصن واق من اية هزات جذرية اجتماعية او اقتصادية ، ان هذه النظرة تفسر جزئيا موقف الصداقة الذي اتخذه الوفد ــ أو بالاحرى الجناح اليميني منه ــ حيال الجماعة عامي ٤٣ ــ ١٩٤٤ ، ولعلها تفسر ايضا مواقف الصداقة التي اتخذها القصر وحكومات الاقليات تجاه الجماعة» (٤٢) .

وما ان أقيل الوفد وجاءت سلسلة حكومات الاقلية حتى غير البنا دفة تحالفاته .. فحاول مرة اخرى ان يعزز علاقته بالقصر ، واذ فقد قناة الاتصال التي تمثلت فيما سبق في علي ماهر ــ المراغي اللذين لم يعودا مقربين من القصر ، كان البنا يبحث بدأب عن قناة اتصال جديدة بينه وبين الملك ، ويروي أنور السادات ان الشيخ البنا قد ألح عليه الحاحا شديدا ان يحاول ترتيب اتصال مع الملك عن طريق يوسف رشاد ، وان يوسف رشاد قد قابل البنا بناء على تفويض من الملك ، ويضيف السادات ان يوسف رشاد قد افهمه فيما بعد ، ان عام ١٩٤٦ قد شهد رضاء تاما من الملك عن الشيخ البنا وجماعته (٤٣) .

ومع التقلبات المختلفة للسياسة كان الشيخ يحاول المناورة

---

42 — **Mitchell - op. cit. p. 39.**

٤٣ ــ انور السادات ، صفحات مجهولة .. الترجمة الانجليزية ص ٩٩ .

بمهارة .

لقد استفاد كفيره من خصوم الوفد من حادث ٤ فبراير (٤٤) ثم استفاد من الجناح اليميني من الوفد ثم عاود تحالفه مع حكومات الاقليات

وفي عام ١٩٤٥ اجرى احمد ماهر باشا انتخابات لم تكن نظيفة وقد رشح فيها البنا وخمسة من أتباعه انفسهم وفشلوا جميعا .

ولعل البنا قد شعر بالحاجة الى اعادة تعزيز صفوف جماعته في أعقاب هذا الفشل .

فعقد مؤتمرا جديدا للجماعة ، ويلاحظ ان الحكومة قد سمحت بالمؤتمر في الوقت الذي حرمت فيه اية اجتماعات سياسية لاي حزب آخر . وقد أقر المؤتمر مقترحات البنا بشأن قانون النظام الاساسي لهيئة الاخوان المسلمين العامة والذي يمثل لائحة النظام الداخلي للجماعة .. وبهذا القانون عزز المرشد العام قبضته بحزم على كل مقدرات الجماعة .

وتجيء احداث ١٩٤٦ ، حيث يرتفع المد الثوري عاليا وتلتهب مصر كلها مطالبة بالجلاء التام . وكانت الجامعة محورا من أهم محاور النضال الوطني في ذلك الحين .. كذلك كانت المراكز العمالية المهمة مثل شبرا الخيمة وغيرها .

وفي شبرا الخيمة وخلال ايام الاضراب الكبير شاهدنا في صفحات سابقة موقف جماعة الاخوان واعضائها ، فكيف كان الامر في الجامعة ؟

لقد اتجه التأثير السياسي في الجامعة الى ثلاث شعب : الوفد بنفوذه التقليدي في صفوف طلاب الجامعات ثم الاخوان

---

٤٤ ـ انور عبد الملك ، المرجع السابق ص ٣٥ .

المسلمون والشيوعيون بتأثيرهما اللامع والمتزايد خلال عامي ٤٦ ـ ١٩٤٧ .

وقد حاولت القوى الوطنية بمختلف فصائلها أن توحد صفوف الجامعة باتجاه برنامج وطني وكانت البداية دعوة لمؤتمر عام بكلية الطب في ٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٥ لكن الاخوان المسلمين وفي محاولة لافشال هذا المؤتمر سارعوا بعقد مؤتمر خاص بهم قالوا انه قد حضره ٦٠٠٠ طالب ووجهوا باسم هذا المؤتمر رسالة الى رئيس الوزراء قالوا انها تعبر عن «ارض مصر الخضراء» ثم حضروا الى مؤتمر ٧ اكتوبر مطالبين الجميع بالموافقة على مقررات مؤتمرهم فلما رفض الحاضرون وجدوا في ذلك حجة كافية للانسحاب (٤٥) .

واستمر الحلف الوطني يبلور نفسه في الجامعة في اطار «اللجنة التحضيرية للجنة الوطنية للطلاب» والتي مثلت الطلاب من الوفديين والشيوعيين وغيرهم .. بينما بقي الاخوان المسلمين خارج اطارها يحاولون العمل في خط مناوىء .

وشهدت الجامعة تحركين .. تحرك ومظاهرات القوى الوطنية مؤتلفة في «اللجنة الوطنية للطلاب» وتحرك الاخوان المسلمين في اتجاه مضاد (٤٦) .

وخلال الاعداد المكثف ليوم الاضراب العام في ٢١ فبراير ١٩٤٦ اوفدت «اللجنة الوطنية للطلبة والعمال» التي تكونت من اتحاد اللجنة الوطنية للطلاب مع القيادات العمالية الوطنية ، مندوبين

---

٤٥ ـ محمد حسن احمد (اسم سري) ، الاخوان المسلمون في الميزان ص ٨٨ .

46 — Thieck, Jean - Pierre - La Journée du 21 Fevrier 1946 dans l'histoire du mouvement National Egyptian .

لمقابلة الشيخ البنا ودعوته للاشتراك في الاعداد لهذا اليوم ، لكن الشيخ راوغهم ثم رفض في حسم على اساس «ان الاخوان غير جاهزين» . ومع ذلك فقد كان الاخوان جاهزين تماما قبلها بأيام (١١ فبراير) لتسيير مظاهرة يقودها زعيمهم الطلابي (مصطفى مؤمن) لتتجه في حراسة البوليس نحو قصر عابدين وتردد شعارات موالية للملك (٤٧) . وكان الاخوان جاهزين تماما للاحتفال بعيد جلوس الملك في مايو ١٩٤٦ احتفالات مبالغ فيها الى حد كبير .. ففي هذا العام الذي سجلت فيه الجماهير الشعبية بدمائها وشهدائها رفضها للاحتلال ولعملائه في القصر الملكي ومجلس الوزراء .. اقام الاخوان مهرجانات كثيفة في مختلف انحاء القطر احتفالا بجلوس الملك ، وشارك البنا واعضاء مجلس الارشاد العام في هذه الاحتفالات المتحدية لمشاعر المصريين جميعا. وتنشر جريدة الاخوان «جاءنا من المحلة الكبرى ان استعراضا جميلا مؤلفا من خمسمائة والف من جوالة الاخوان المسلمين هناك اقيم بعد ظهر امس ابتهاجا بهذه المناسبة السعيدة » (٤٨) . وفوق ذلك فقد حاول الشيخ البنا صرف الانظار بعيدا عن القضية الوطنية معلنا ان المشكلة الاساسية هي استعادة الخلافة الضائعة. ولعله بذلك كان يغري الملك ايضا اذ يقدم له وعدا بعمامة الخلافة.

وهكذا تتعزز العلاقة بين القصر الملكي والاخوان .. وتصل الى درجة التشاور مع البنا قبل استدعاء اسماعيل صدقي (٤٩) ليتولى رئاسة اكثر الوزارات خيانة وهمجية في تاريخ مصر الحديث .

---

47 — Mitchell - op. cit. p. 45.

٤٨ ـ الاخوان المسلمون ، ٦ـ٥ـ١٩٤٦ .

٤٩ ـ آخر ساعة ، ١ـ١٢ـ١٩٥٤ .

وفي فبراير ١٩٤٧ يخطو الشيخ البنا اولى خطواته على عتبات قصر عابدين مدعوا لاول مرة الى وليمة ملكية . وبقدر ما كان عاما ٤٦ ـ ١٩٤٧ عامي التباعد بين الاخوان وبين الخط الوطني ، وبقدر ما كان الاخوان يتورطون في مباركة خطوات لا يمكن لوطني ان يباركها كما شاهدنا في صفحات سابقة من مشاركة معاهدة صدقي ـ بيفن ومن علاقات البنا الوثيقة بالطاغية صدقي .. بقدر ما كان الثمن سخيا .

يقول ريتشارد ميتشل «وعلى اية حال فانه طوال عامي ٤٦ ـ ١٩٤٧ من الواضح ان جماعة الاخوان كان ينظر اليها باعتبارها اداة لمناهضة الوفد والشيوعية . ويبدو ان البنا قد حصل من صدقي على مجموعة من التسهيلات الرسمية (!) شجعته على القيام بهذا الدور . ومن بين هذه التسهيلات : ترخيص باصدار جريدة يومية رسمية للجماعة هي «الاخوان المسلمين» التي صدرت في مايو ١٩٤٦ ، وكذلك تراخيص ورق طباعة بالسعر الرسمي بما يعني توفير حوالي ٢٠ او ٣٠ بالمئة من اسعار السوق السوداء ، وأيضا امتيازات هامة لفرق الجوالة التي تقرر منحها زيا رسميا وادوات ومعدات بأسعار مخفضة او رمزية ومنحها ارض لاقامة معسكراتها عليها . كذلك حرص صدقي على تعيين محمد حسن العشماوي وهو احد اصدقاء المقربين للشيخ البنا وزيرا للمعارف العمومية .. ومن الارجح ان المعونة المالية قد قدمت للجماعة من خلال وزارتي المعارف والشؤون الاجتماعية بوصفها مساهمات او اعانات حكومية للخدمات التعليمية والاجتماعية والخيرية التي تقوم بها الجماعة» (٥٠) .

وكان طبيعيا ان يتجاوب الاخوان اكثر فأكثر مع سياسة صدقي في مقابل هذه التسهيلات فجند الاخوان جوالتهم وكل

---

50 — Mitchell - op. cit. p. 42.

قواهم لمحاربة كل من خاصم صدقي وسياسته الخائنة .

وتركز هجوم الاخوان في شعبتين «الوفد» و«الشيوعيين» .

يقول احمد حسين ان الاخوان قد «خاصموا الوفد وخاصمهم فبدأت الاحتكاكات بين الطرفين وبدأ الصدام على طول الخط ، وكان طبيعيا ان تقف الحكومة الى جوار الاخوان في كل صدام يقع بينهم وبين الوفد وكانت تحميهم وتشد أزرهم» (٥١) .

ورد الوفديون بالمثل فهاجمت صحف الوفد الشيخ البنـــا واسمته «الشيخ حسن راسبوتين» وقالت جريدة الوفد «صوت الامة» في وصف زيارة للشيخ لاحد الاقاليم «هتف الناس بسقوط الشيخ صنيعة الانجليز» (٥٢) . وشاركت «مصر الفتاة» في الحملة على البنا وكتب احمد حسين يهاجم البنا قائلا «حسن البنا اداة في يد الرجعية وفي يد الرأسمالية اليهودية وفي يد الانجليـــز وصدقي باشا» (٥٣) .

واذ استند الاخوان الى حماية السلطة فقد لجأوا الـــى ممارسة العنف السياسي على أوسع مدى . وشهدت المصادمات السياسية لاول مرة استخدام الرصاص والقنابل والفصائـــل المنظمة شبه العسكرية للجوالة .

وفي ٦ يوليو ١٩٤٦ وقع صدام بين الاخـــوان والوفديين في بور سعيد استعمل فيها الاخوان الرصاص والقوا ثلاث قنابل فاسفر الحادث عن قتل واحد من الوفديين واصابة ٣٥ «فتجمع الكثيرون على دار الاخوان واشعلوا الحريق فيها وفي النـــادي الرياضي للاخوان» (٥٤) . وكان الشيخ البنا يزور المدينة فحاصره

---

٥١ ــ مرافعة احمد حسين ــ المرجع السابق ص ٤٣ .

٥٢ ــ صوت الامة ، ٢٨ـ٨ـ١٩٤٦ .

٥٣ ــ مصر الفتاة ، ١٧ـ٧ـ١٩٤٦ .

٥٤ ــ المصري ، ٧ـ٧ـ١٩٤٦ .

الوفديون في احد المساجد لكنه استطاع الهرب ، وفي اليـــوم التالي شيعت جنازة المتوفي «حيث قام الشيعون بمحاصرة مركز للاخوان وقذفوه بالحجارة فعمل البوليس على تفريقهم فاعتدوا عليه ، فأطلق عليهم الرصاص وأصيب ١٦ شخصا » (٥٥) .

اما الشيوعيون فقد كان نصيبهم اكبر .. اذ بارك الاخـوان رسميا الحملة الهمجية التي شنهـــا صدقي علـــى اليساريين والديمقراطيين والوفديين والشيوعيين تحت ستار ما اسمي في ذلك الحين «قضية الشيوعية الكبرى» . وافردت جريدة الاخوان باباً يوميا لمتابعة هذه الحملة وتقريظها بعنوان «مكافحةالشيوعية» .

ويقول ميتشل «ان مخابرات الجماعة أمدت الحكومة بمعلومات مفيدة خلال التفتيش المستمر عن الشيوعيين المعروفين والمشتبه فيهم ، وبوجه خاص في الدوائر العمالية والطلابية» (٥٦) .

وهكذا كان الحلف الثلاثي : القصر ـ حكومـــات الاقلية ـ الاخوان المسلمون يلتقي عند محور اساسي وهو العداء للوفـــد والشيوعيين .. ويلتقي ايضا حول مواقف محددة من القضيـــة الوطنية وأسلوب حلها . وهي مواقف كانت تحظى برفض القوى الوطنية عموما ...

لكن الاخوان قد مضوا في طريقهم الى مدى بعيد .

فهم لم يقسموا الصف الوطني فحسب بل عمدوا وفي وقت حرج الى اثارة الفتنة الطائفية اي تفتيت وحدة عنصري الامة .

وتنشر جريدة «مصر» ان جماعة الاخوان اقامت حفلا امـــام كنيسة مار جرجس وكان خطيب الاخوان يردد «غدا تؤول شركة

---

٥٥ ـ الاهرام ، ٨-٧-١٩٤٧ .

56 — Mitchell - op. cit. p. 39.

المياه الينا فلا نترك فيها قبطيا واحدا .. وغدا يسيطر المسلمون على جميع الشركات فلا يبقى فيها قبطي واحد» (٥٧) .

ولقد يبدو هذا النهج غريبا في بلد يجابه المستعمر، ويستمد قوته الاساسية في هذه المجابهة من وحدته الوطنية سواء على المستوى الديني او على المستوى السياسي .

لكن الدهشة تتضاعف عندما نجد احد قادة الاخوان هو الشيخ محمد الغزالي يصدر كتابا بعنوان (التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام) يرفض فيه مبدأ الوحدة الوطنية بل ويدينها، فهو يقول ان اتفاق زعماء المسلمين والنصارى ابان ثورة ١٩١٩ كان على ان ينسى الجميع اديانهم في سبيل طرد العدو وهو اتفاق يعتبره غريبا وتنفيذه اغرب ، وقال ان كثرة الموظفين النصارى في الادارات المصرية «اقصاء للاسلام وتغليب غيره عليه » (٥٨) .

اي توقيت هذا ؟

واي ثمن فادح دفعه الاخوان مقابل ما حصلوا عليه من «تسهيلات» ؟

والحقيقة ان الثمن الذي دفعوه لم يكن قاصرا على تفتيت الوحدة الوطنية الدينية ولا الوحدة الوطنية السياسية في وقت كانت مصر تواجه فيه عدوها الاساسي الاحتلال .. وانما امتد ايضا الى صفوفهم انفسهم انقساما وعزلة .. الامر الذي مهد السبيل لضربهم بأيدي من تحالفوا معهم وشجعوهم على السير في هذا النهج .

---

٥٧ ــ جريدة مصر ، ٣ــ٥ــ١٩٤٧ .

٥٨ ــ محمد الغزالي ، التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام ص ١٨ .

واخيرا، وقبل ان نقلب هذه الصفحة بقي ان نقول ان الاخوان سرعان ما انقلبوا على صدقي نفسه عندما احسوا ان ايامه في الوزارة قد انتهت وان ثمة قادم جديد هو النقراشي ، فحالفوا القادم الجديد كعادتهم .

ولم يكن من السهل ان يقتنع كل اخواني بهذا النهج .

ولم يكن من السهل على «الاخ المسلم» ان يجد نفسه في مظاهرة تهتف بحياة ملك فاسد او رئيس وزارة خائن ، ويؤيد معاهدة ترفضها مصر كلها ، ويقسم الصف الوطني .

وكان الانقسام هو السبيل الوحيد في جماعة تحكمها من اعلى قبضة واحدة قوية .

واستند المعارضون للشيخ الى قضية شائكة وحساسة كانت كامنة في الجماعة منذ عام ١٩٤٥ عندما اثار البعض شكوكا اخلاقية ضد عبد الحكيم عابدين السكرتير العام للجماعة وزوج شقيقة الشيخ البنا .

وكلف البنا احد قادة الجماعة المقربين منه د. ابراهيم حسن بالتحقيق في التهمة وهي «انتهاك حرمة بيوت واعراض بعض الاخوان» . وبينما يواصل د. ابراهيم حسن تحقيقه تتسرب الانباء لتثير غضب بعض الاعضاء فيقدم المحقق اقتراحا توفيقيا ويطالب فيه بفصل عبد الحكيم عابدين وبفصل الاعضاء الاربعة في مكتب الارشاد العام الذين اتهموه .. لكن البنا يتمسك بصهره ويحاول الخروج من المأزق بتشكيل لجنة تقصي حقائق من كبار قادة الجماعة . واذ تمارس هذه اللجنة نشاطها بقدر من العلنية يتزايد عدد الشاكين من تصرفات عبد الحكيم عابدين وتوضع اللجنة في مأزق: فالتهم كثيرة وخطيرة والمتهم صهر الامام وصديقه وكاتم اسراره .. ولهذا تقدمت اللجنة باقتراح توفيقي تصورت انه قد يرضي المرشد .. ان تعلن اللجنة رسميا انها لم تتثبت من صحة التهم الموجهة ضد عابدين على ان يبعد عن منصبه وعن

الجماعة كاجراء «تطهيري» . ويرفض الشيخ مرة ثانية ويتشبث بعابدين .

ويعقد مكتب الارشاد العام اجتماعا عاصفا يقف فيه الشيخ البنا لاول ولآخر مرة في حياته في مواجهة اجماع عاصف يتهم صهر الشيخ تهما خطيرة اقلها بأنه «راسبوتين الجماعة» .

ويصمم المرشد على موقفه في حماية صهره متحديا اجماع مكتب الارشاد العام وقرار لجنة تقصي الحقائق ويعتمد البنا على نفوذه في الهيئة التأسيسية للجماعة «للحصول على قرار ببراءة عابدين ــ مراعاة لصالح الجماعة، بعد ان وعد بسحب اختصاصاته وابعاده نهائيا بعد فترة» .

واستقال د. ابراهيم حسن احتجاجا في ابريل (نيسان) ١٩٤٧ واستقال معه البعض .

ثم جاء خلاف جديد مع قائد آخر من الاعمدة الاساسية هو احمد السكري ، ولقد شهدت الصفحات الاولى من هذا البحث علاقة وثيقة بين البنا والسكري منذ ايام الطفولة ، وثقة تامة منحها الشيخ للسكري للتفاوض باسمه مع الكثير من الجهات التي تتطلب العلاقات بها ثقة عالية مثل السفارة البريطانية والوفد وغيرها .

ويبدو ان نهج الشيخ المتعسف تجاه غالبية مكتب الارشاد قد فجر جرحا قديما عند السكري الذي كان يطالب وباستمرار بتقليل سلطات المرشد وبديمقراطية العلاقة في التنظيم .

ويبدو ان هذه الازمة قد واكبت خلافا بين المرشد والسكري حول موضوع العلاقة مع الوفد ، فالسكري لم يكن يرى اي خير في التصادم مع الوفد، اكبر قوة سياسية جماهيرية في البلاد ، بل وطالب بنوع من «الوحدة بين الحزبين» (٥٩) .

---

59 — Mitchell - op. cit. p. 52.

ويضيف بعض الباحثين ان السكري قد هاجم البنا محتجا على قبوله «معونات مالية من الانجليز» (٦٠) .

وببساطة شديدة طلب البنا من الهيئة التأسيسية مساءلة احمد السكري حول موضوعات حددها وأصدرت الهيئة قرارها بفصل السكري . وتبع ذلك سلسلة واسعة من الاستقالات .

وكان خروج د. ابراهيم حسن والسكري ومن لف لفهما ضربة قاصمة للجماعة . لانه قد حرمها من عدد من اهم كوادرها الاساسية وفجّر على السطح قضايا هزت الثقة في الجماعة ونقاء دعوتها ، وفي الشيخ وقدرته على تخطي علاقاته الأسرية . وإذ كانت الخلافات نتيجة لتدهور موقف الجماعة من القضية الوطنية والقوى الوطنية وعلى رأسها حزب الوفد ، فقد انتهز الوفد الفرصة ليثير حملة اعلامية كاسحة هزت اركان الجماعة بالفعل. وفي مواجهة ذلك صمم الشيخ على ان يحكم قبضته اكثر فأكثر على الجماعة .. فكان اعتماده المباشر على الجهاز السري .. الذي أسرع في تدريبه وتوسيعه وتسليحه .. واستخدامه اداة لحفظ النظام في صفوف الاخوان وارهاب خصومه في داخل الجماعة وخارجها .

.. وكان ذلك كله يجري والجماعة والشيخ يستهلكان رصيدهما الشعبي بسرعة محمومة .. والشيخ يتصور انه بمجاراته للقصر وعملائه من حكام الاقلية انما يكسب وقتا وعونا ودعما يمكنه من تعزيز جماعته استعدادا ليوم موعود .. ناسيا ان اية جماعة سياسية وأي زعيم سياسي تنتهي قيمته الحقيقية عندما يستهلك رصيده لدى الجماهير ، وان رؤساء احزاب الاقلية كانوا يشترون بمساعداتهم وعونهم المالي دماء الجماعة ورصيدها

---

60 — Alexander, Mark - Left and Right in Egypt - Twentieth Century (Feb, 1952).

وسمعتها وجماهيريتها .. وعندما تتناقص هذه القيم الى حـــد معلوم يصبح التخلص من الجماعة ذاتها سهلا .. خصوصا اذا ما كانت قد اكتسبت بتلونها المستمر رصيدا من عدم الثقة ، واذا ما كان احتفاظها بجيش سري ، يخيف الجميع ، خصومهـــــا واصدقاءها على السواء .

من المصحف .. الى الديناميت

«خطوتنا الثانية .. أيها الاخوان تجهزوا» .

تحت هذا العنوان كتب البنا افتتاحية العدد الاول لمجلـــة «النذير» وفيها يقول «ان الله لا يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» وقال انه سوف يتوجه بدعوته الى كل المسؤولين فان اجابـوا آزرهم وان لجأوا الى المواربة والمراوغات «فنحن حرب على كـل زعيم او رئيس حزب او هيئة لا تقوم على نصر الاسلام ، ولا تسير في الطريق الى استعادة حكم الاسلام ومجد الاسلام» (١) .

- ولقد رأينا كيف دعا الشيخ ايضا الى الجهاد .. وكيف جعله الفيصل الذي يميز بين جماعته وبين الجماعات الاسلاميـــة الاخرى .

وكان البنا يلح ويلح على هذه المسألة ابتـــداء من عام ١٩٣٨

---

١ ـ النذير ، العدد الاول ـ ٣٠ ربيع الاول ١٣٥٧ هـ .

ويكثر من الحديث عنها نثرا وشعرا .

الديـن شيء والسياسة غـيره
دعـوى نحاربها بكـل سلاح
قد جاء طـه عابدا ومجاهـدا
دك الحصون وقص كل جناح (٢)

والسكرتير العام للجماعة عبد الحكيم عابدين اكثر من شيخه حماسا في شعره عن الجهاد .

لنجرينها دمـاء جـد ثائـرة
وثورة الحق لا يدري لهـا أمـد
او يرجع الشرع دستورا لأمتنـا
فليحذر القوم اني منذر صمد (٣)

ولقد قلنا فيما سبق ان عام ١٩٣٨ كان البداية لمرحلة التنفيذ التي تلي في نظر الشيخ مرحلتين سابقتين هما :

«التعريف» .. «والدعوة عامة في هذا الطور وليست الطاعة التامة لازمة فيها .. نظام الدعوة في هذا الطور نظام الجمعيات الخيرية » .

و«التكوين» عن طريق استخلاص العناصر الصالحة لحمل اعباء الجهاد . و«نظام الدعوة في هذا الطور صوفي بحت من الناحية الروحية وعسكري بحت من الناحية العملية» .

اما التنفيذ : فهو المرحلة الثالثة . و«الدعوة في هذا الطور جهاد وعمل متواصل وامتحان وابتلاء» (٤) .

---

٢ ـ اسماعيل احمد شافعي ، الاخوان المسلمون . دعوة البعث والانقاذ ، مقتطفات من رسائل وخطب المرشد العام ـ مطبعة العميري . بني سويف ص ٣ .

٣ ـ عبد الحكيم عابدين ، البواكير ، مجموعة شعرية . دار الصاوي للطبع والنشر ، ص ٤٠ .

٤ ـ لطفي عثمان ، المرجع السابق ، ص ٩٠ .

والجهاد يبدأ .. والدعوة لا ترفع أعلامها فحسب وانما تقترب من التنفيذ .. لكن كيف ؟

وقبل ان نسأل كيف ؟ نسأل لماذا ؟ او بالدقة نسأل ما هو جوهر فكرة الجهاد عند الشيخ البنا وكيف فهمها هو واتباعه ؟

تنبع الفكرة من تقسيم اولي قسم به الشيخ البنا المسلمين الى اربعة أقسام : مؤمن ـ متردد ـ نفعي ـ متحامل (٥) .

والمفهوم العملي لمثل هذا التقسيم هو كما يقول ريتشارد ميتشل «انه وفقا لهذه النظرية فانه ليس امام اي مصري الا ان يضع نفسه في احد موضعين ، فاما ان يكون عدوا للاخوان وإما أن يكون «مؤمنا» اي ان يكون اخا مسلما» (٦) .

وانطلاقا من هذا التقسيم .. تكون جماعة الاخوان المسلمين هي ملتقى (مصب) المؤمنين ، اي تكون بالمعنى الاسلامي التقليدي «جماعة المسلمين» وإمامها هو امام اهل الحل والعقد في الاسلام، والخروج على الامام وعلى الجماعة هو خروج على «جماعة المسلمين» اي خروج على الاسلام ذاته .. ولهذا فان الشيخ البنا كان منذ الايام الاولى لجماعته يرى ان اي معارض له من «الخوارج» و«اضربوه بالسيف» .

ولكن .. كيف فهم الاخوان فكرة الجهاد ؟

«الجهاد هو بذل كل جهد ممكن لاقتلاع جذور الطغيان والفساد في الارض ، ولن يقدر الانسان على اقتلاع الطغيان والفساد من حوله ، اذا كان الطغيان والفساد يعيشان داخل نفسه .. ومن هنا أمر المسلم ان يبدأ بجهاد نوازع في نفسه ، ثم يثني بمجاهدة الطغيان والفساد في مجتمعه ، ثم ينتهي الى

---

٥ ـ حسن البنا ، الرسائل الثلاث ، ص ٦ .

6 — Mitchell - op. cit. p. 319.

مجاهدة الطغيان والفساد في العالم كله .. والمسلم لم يؤمر بمطلق جهاد يلقي به التبعة عن كاهله ، وانما امر بالجهاد في الله حق الجهاد ، والجهاد في الله حق الجهاد يقتضي من المسلم ان يكون دائما على أهبة العمل والبذل فان طلب دينه منه الجهد بذله ، او المال انفقه ، او النفس قدمها مطمئنا . المسلم جندي للحق ، مجهز النفس دائما ، ان لم يكن مجهز اليد ، وهو ان لم يعش في الجهاد عملا وتنفيذا عاش الجهاد نية وقصدا . والذي يعيش لنفسه ولدنياه بعيدا عن الجهاد ـ عملا ونية ـ انما هو المنافق الذي آمن لسانه ولم يؤمن قلبه .. ليس بمسلم صادق الإسلام ذلك الذي يثاقل الى الارض ، ويخلد الى الراحة والدعة ويؤثر سلامة دنياه على سلامة دينه» (٧) .

اما الشيخ البنا فهو يوجه حديثه الى أتباعه قائلا : «ايها الاخوان المسلمون ، لقد قام هذا الدين بجهاد أسلافكم على دعائم قوية من الايمان بالله ، والزهادة في متعة الحياة الفانية وايثار دار الخلود ، والتضحية بالدم والروح والمال في سبيل مناصرة الحق وحب الموت في سبيل الله» (٨) .

ويقول في رسالته «نحو النور» : «وتحتاج كذلك الامم الناهضة الى القوة وطبع ابنائها بطابع الجندية ولاسيما في هذه العصور التي لا يضمن فيها السلم الا بالاستعداد للحرب ، والتي صار شعار ابنائها جميعا القوة اضمن طريق لاحقاق الحق .. والاسلام لم يغفل هذه الناحية ، بل جعلها فريضة محكمة من فرائضه ، ولم يفرق بينها وبين الصلاة والصوم في شيء . وليس في الدنيا كلها نظام عني بهذه الناحية ، لا في القديم ولا في

---

٧ ـ مجلة الدعوة ، غرة جمادى الاولى (ابريل ١٩٧٧) ، د. يوسف القرضاوي ، مقال : الجهاد في الاسلام .

٨ ـ حسن البنا ، رسالة المؤتمر الخامس ـ ص ٦٣ .

الحديث كما عني بذلك الاسلام في القرآن وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته» (٩) .

ويستند الشيخ البنا في دعوته الى الجهاد الى رصيد كبير من الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة :.

«واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم» . وقوله تعالى «كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم» .

والآية الكريمة «فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة» .

والحديث الشريف «والذي نفسي بيده لولا ان رجالا من المؤمنين لا تطيب انفسهم ان يتخلفوا عني ولا اجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله ، والذي نفسي بيده لوددت اني أقتل في سبيل الله ثم احيا ثم أقتل ثم احيا ثم أقتل ثم احيا ثم أقتل» .

رواه البخاري ومسلم .

وعن ابي هريرة ان رسول الله قال : «من لقي الله بغير أثر من جهاد لقي الله وفيه ثلمه» رواه الترمذي وابن ماجة .

وحديث شريف آخر «من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق» رواه مسلم .

لكن خصوم الشيخ لديهم هم ايضا رصيدهم ، وهم يذكرونه دوما بانه يستخدم العنف ضد مسلمين لا يقلل اختلافهم في الرأي معه ومع جماعته من درجة اسلامهم .

ويردون على حجج الشيخ بالآية الكريمة «فذكر انما انت

---

٩ ــ حسن البنا ، الرسائل الثلاث ، ص ٩٣ .

مذكر ، لست عليهم بمسيطر» .

وبالآية الكريمة «وليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدي من يشاء» . والحديث موجه الى رسول الله ، وله ايضا وجهت الآية الكريمة «افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» .

وله ايضا «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو إعلم بالمهتدين» .

ويقول الله تعالى معلما المسلمين «ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن» .

وحتى مع الطغاة والكفار «آذهبا الى فرعون انه طغى ، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى»

وأحاديث شريفة كثيرة «لا تروعوا المسلم فان روعة المسلم ظلم عظيم» .

وحديث شريف آخر «من اخاف مؤمنا كان حقا على الله الا يؤمنه من افزاع يوم القيامة» .

وحديث شريف ثالث «لا يشر احدكم الى اخيه بسلاح ، فانه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده ، فيقع في حفرة من النار» .

وآيات وأحاديث كثيرة بغير حصر ، ومع ذلك يمضي الشيخ البنا في طريقه الوعر .. يدوس الشوك هو ورجاله .

ويختتم البنا «رسالة الجهاد» موجها حديثه الى أتباعه «ايها الاخوان ان الامة التي تحسن صنعة الموت وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا والنعيم الخالد في الآخرة ، وما الوهن الذي اذلنا الا حب الدنيا وكراهية الموت ، فأعدوا نفسكم لعمل عظيم واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة . واعلموا ان الموت لا بد منه وانه لا يكون الا مرة واحدة ، فان جعلتموها في سبيل الله كان ذلك ربح الدنيا وثواب الآخرة .. فاعملوا للموتة الكريمة تظفروا بالسعادة الكاملة . رزقنا

الله واياكم كرامة الاستشهاد في سبيله» (١٠) .

وبعد .. فهذه هي نظرية الشيخ في الجهاد فكيف كان ، وإلام انتهى ؟

***

كانت الجوالة هي البداية الحقيقية .

ولقد تابعنا كم بذل البنا من جهده واهتمامه دعما لجهاز الجوالة والكشافة ، والحقيقة ان الهدف الأساسي للجوالة لم يكن مجرد تكوين اداة ردع منظمة على اسس عسكرية وانضباط صارم ، وانما كانت الجوالة ايضا «حقلا» تتابع فيه اعين المرشد اليقظة العناصر الاكثر حماسا والاكثر اخلاصا والاكثر طاعة .. وتلتقطها في نواة خاصة .

وقد استخدم البنا «جوالته» كما راينا في مظاهرات صاخبة كثيرا ما هتفت بحياة الملك ، واستخدمها ايضا في حراسة تجولاته ومؤتمراته واجتماعاته ، واستخدمها لارهاب الخصوم السياسيين بالقوة البدنية في اول الامر ثم بالرصاص والقنابل بعد ذلك ، الامر الذي دفع حزب الوفد الى توجيه انذار الى حكومة صدقي في عام ١٩٤٦ بانها ما لم «تحل هذه التنظيمات الشبه عسكرية فانه سوف يأخذ القضية بين يديه ويعرف كيف يسكت دعاة العنف والشغب» .

والغريب في الامر ان وجود الجوالة كان في ذاته امرا منافيا

---

١٠ ـ حسن البنا ، رسالة الجهاد ـ دار الكتاب العربي ـ القاهرة . ص ٣٧ .

وحول هذا الموضوع راجع ايضا : محمد فهمي الطماوي ـ المجاهدون ـ القاهرة (١٩٥٢) ، وايضا : احمد نار ، القتال في الاسلام ـ القاهرة (١٩٥٢)

للقانون ، ففي ٨ مارس ١٩٣٨ اصدرت حكومة محمد محمود باشا قانونا يحظر قيام «الجمعيات او الجماعات التي يكون لها، سواء من حيث تأليفها او عملها او من حيث تدريب أعضائها او نظامهم او زيهم او تجهيزهم صورة التشكيلات شبه العسكرية»(١١) اي «ان جوالة الاخوان كانت ضد القانون العام والخاص على السواء ، ومع ذلك فقد سمح ببقاء هذا الجيش حتى في وقت الحرب ، وفي الوقت الذي طبق فيه هذا القانون على فرق القمصان الزرق(الوفد) وفرق القمصان الخضر (مصر الفتاة)»(١٢).

ولعل هذا يفسر حرص الشيخ البنا على استخدام الجوالة استخداما سافرا لصالح السراي والقوى الحاكمة اذ بدون إشعار السلطة ان الجوالة في خدمتها .. تكون هذه الجوالة عرضة للالغاء وفقا للقانون .

ويتساءل احمد حسين وهو على حق تماما «عن السر الذي جاز به لدى الحكومة والبوليس ان يكون للجماعة بعد ان انخرطت في المنازعات الحزبية ، ان يكون لها هذا الجيش من الجوالة» ويجيب بأن «حكومات الاقلية هي من شجع تكوين هذا الجيش وقام بتمويله باعتباره سلاحا ضد الوفد الذي يريدون القضاء عليه بأي ثمن ولو بالخروج على كل قانون وكل عرف وكل مألوف» . ويمضي احمد حسين في مرافعته متهما السلطات بأنها هي التي «أسلمت هؤلاء الشباب لهذه التنظيمات ، وهذه المظاهرات العسكرية التي زاد من روعتها انها تجري باسم الدين » (١٣) .

---

١١ ـ قانون رقم ١٧ لسنة ١٩٣٨ .

١٢ ـ د. عبد العظيم رمضان ، المرجع السابق ـ ج٢ ـ ص ١٢٧ .

١٣ ـ مرافعة احمد حسين ، المرجع السابق ـ ص ٤٢ .

ولعله من المفيد والطريف ان نمضي مع أحمد حسين في مرافعته .. التي يسجل فيها ان وزارة الشؤون الاجتماعية كانت تقدم اعانات مالية لشعب جماعة الاخوان المسلمين بحجة انها تقوم بنشاط اجتماعي وان الشيخ البنا قد عيّن في «لجنة التعليم العليا الحكومية» وان مجالس المديريات والبلديات كانت تسارع في كل مكان الى مساعدتها ، ثم يروي واقعة غريبة .. «وحدث مرة في قسم الخليفة ان منع مأمور القسم رشدي الغمراوي جوالة الاخوان من السير في منطقته واصطدم بهم تنفيذا للتعليمات التي كانت لديه بمنع حصول اي تجمع ، ولكن السلطات عاتبت المأمور على موقفه ، وسمحت لجوالة الاخوان باقامة حفل ضخم امام مبنى قسم الخليفة كمظهر للانتصار وفرض السلطان . وعندما حلت الجماعة عام ١٩٤٨ ، وجد بين الاوراق المضبوطة في دورها إخطار موجه من احدى شعبها (شعبة المحجر) الى المرشد العام عن ازماعها عقد اجتماع لها كل خميس ومطالبتها المرشد باتخاذ الاجراءات الكفيلة بحرية انعقاد الاجتماع، وقد أشر المرشد على الورقة «بإخطار المحافظة وبوليس قسم الخليفة باعتماد شعبة المحجر كي لا يتعرض احد لاجتماعها» ويعلق احمد حسين بأن هذه التأشيرة اشبه ما تكون بتأشيرة وزير الداخلية لا رئيس جمعية» (١٤) .

ويشير احد قادة الجماعة الى ان البنا قد كوّن مجلسا اعلى للجوالة من سبعة اعضاء برئاسته وعيّن الصاغ محمود لبيب مفتشا عاما ، وبدأ المجلس نشاطه بانشاء مدرسة للمدربين تخرج منها ٣٥ مدربا بعد شهرين ، ثم انطلق هؤلاء المدربون يشكلون الجماعات ويدربونها .. وعند نهاية الحرب بلغ تعداد الجوالة

---

١٤ ـ المرجع السابق ، ص ٤٢ .

٤٥,٠٠٠ جوال (١٥) .

ما يهمنا في هذا الصدد هو ان البنا قد اهتم بالجوالة اساسا لانها كانت حقلا يلتقط منه رجال تنظيمه السري .. ونتوقف عند اعتراف بالغ الاهمية من عبد المجيد حسن ـ قاتل النقراشي باشا ـ ادلى به اثناء التحقيق اذ قال «ان انتقاله من نظام الجوالة بالاخوان الى النظام الخاص قد تم دون ان يحس تغييرا طرأ على وضعه لاتفاق النظامين في التدريبات واسلوب التعامل والعلاقات داخل التنظيم» (١٦) .

وتلك هي القضية الاساسية .. الجوالة كانت مجرد وعاء او مرحلة او مصفاة تقود الاخ الاكثر انضباطا والاكثر طاعة والاكثر حماسا .. الى الجهاز الخاص .

***

ومنذ ان بدات مرحلة التنفيذ والشيخ البنا يرقب الجيش باهتمام بالغ ويبذل جهده في التقاط اكبر عدد ممكن من الضباط وضمهم الى صفوف تنظيم سري في جماعته .

وامعانا في السرية كان الشيخ يمسك بيده زمام هذا الامر .

وبدات كوادر الجماعة في التقاط مجموعات من الضباط وتقديمهم واحدا واحدا وفي سرية تامة للمرشد .

«وفي هذا الوقت كان الشاب جمال عبد الناصر يكون اولى ارتباطاته السياسية مع شاب أزهري يكبره في السن بسبع

---

١٥ ـ عبد الغني عابدين (السكرتير العام المساعد لجمعية الكشافة المصرية ووكيل عام جوالة الاخوان المسلمين) ـ تقرير عن النشاط الكشفي لجماعة الاخوان المسلمين .

١٦ ـ طارق البشري ـ المرجع السابق ـ ص ٥٠ .

او ثماني سنوات هو احمد حسن الباقوري (عضو جماعة الاخوان المسلمين) » (١٧) .

ومجدي حسنين يقول «كنت حتى ١٩٥٠ معروفا بميولـــي للاخوان ، وليس بميولي فقط ، بل كنت على علاقة وثيقة بالمرحوم حسن البنا . وكنت ادرب اعدادا كبيرة من الاخوان» (١٨) .

وكذلك حسن ابراهيم الذي يقول «كما قمنا بالاتصال مـــع الاخوان المسلمين من خلال الصاغ المتقاعد محمود لبيب وكـــان المرحوم حسن البنا يلتقي بنا» (١٩) .

وخالد محيي الدين كان على علاقة لفترة من الوقت بالشيخ حسن البنا ..

ويورد احد الباحثين قائمة بأسماء اعضاء مجلس قيادة ثورة يوليو ١٩٥٢ وانتماءاتهم السياسية فيحدد الانتماءات التالية :

ـ عبد الحكيم عامر : اخوان مسلمين .
ـ كمال الدين حسين : اخوان مسلمين .
ـ جمال عبد الناصر : الوفد ـ الاخوان المسلمين .
ـ انور السادات : مصر الفتاة ـ الاخوان المسلمين (٢٠) .

ولفترة من الوقت كان انور السادات ذا علاقة وثيقة بشكل

---

17 — Lacouture, Jean - Nasser - New York (1973) p. 28 .

١٨ ـ جمال الشرقاوي ، حريق القاهرة ـ دار الثقافة الجديدة (١٩٧٦) ـ شهادة مسجلة صوتيا لمجدي حسنين .

١٩ ـ روز اليوسف ؛ ١١-٤-١٩٧٧ ـ احمد حمروش : اعترافات شهود يوليو .

20 — Vatikiotis - Egyptian Army in Politics - op. cit. p. 47.

خاص مع الشيخ البنا وقد تحدث عنها تفصيلا في كتابه «صفحات مجهولة» .

كذلك كان رشاد مهنا وحسين الشافعي على علاقة بالاخوان (٢١) .

ويقول احد الكتاب ان جمال عبد الناصر قد سئل في احد الاجتماعات التمهيدية للضباط الاحرار «هل تتوقع من الاخوان خيرا» واجاب عبد الناصر «نعم خير كثير» (٢٢) .

ويروي خالد محيي الدين في حديث شخصي معه ان الضباط كانوا يلحقون مباشرة بتشكيل سري خاص وان مراسم انضمامهم كانت توحي بالسرية المطلقة حيث تتم البيعة في غرفة مظلمة ويقسم الضابط على مصحف ومسدس .

وبعد فترة من الوقت .. تباعد عدد من هؤلاء الضباط الذين لم يجدوا في حركة الاخوان تحقيقا لطموحهم الوطني .. وكان تباعدهم في فترة اللقاء السافر مع الرجعية والسراي .. في عامي ٤٦ — ١٩٤٧ .

لكن الجماعة استطاعت ان تكسب الى صفوفها اعدادا لا بأس بها من الضباط مستفيدة من حماس العديد منهم للحرب في فلسطين .. ومن موقفها ازاء هذه الحرب .. وهكذا استطاع

---

21 — Mitchell - op. cit. p. 98.

٢٢ — المصور ، ٣١–١٠–١٩٥٤ — حلمي سلام : قصة ثورة الجيش من المهد الى المجد ، ولمزيد من التفاصيل حول علاقة الاخوان راجع :

— Nagib, Mouhamed - Egypt's destiny - a personal statement - London (1955) p. 32.

— Hayden, D. Egypt's Surprise Dictatorship - National and English review, (oct. 1952) p. 212.

الشيخ البنا ان يوجد لنفسه ركيزة لا بأس بها في صفوف الجيش، وثمة أسماء بارزة في هذا الصدد مثل عبد المنعم عبد الرؤوف وابو المكارم عبد الحي ومعروف الحضري (٢٢) .

واذا كان أحمد حمروش يؤكد في كتابه «قصة ثورة ٢٣ يوليو» ان كثيرا من الضباط قد انفضوا عن الجماعة ابان حرب فلسطين بسبب تدخل القيادة السياسية للجماعة في التكتيكات الفنية للقتال ، ضاربا لذلك مثلا بالشيخ محمد فرغلي الذي كان قائدا لمتطوعي الاخوان في حرب فلسطين والذي صمم على ان يهجم الاخوان على أعدائهم متراصين سنّة عن رسول الله ، الامر الذي أوقع فيهم خسائر فادحة ، والذي دفع عددا من الضباط الى التمرد على تعليمات الجماعة والانفضاض عنها (٢٤) ، فان باحثا آخر يقول ، ان دور الاخوان في حرب فلسطين كان سببا في تقاربهم اكثر فأكثر من مجموعات اوسع من الضباط (٢٥) .

والحقيقة ان الجهاز السري كان مكونا من ثلاث شعب : الجهاز المدني ، وجهاز الجيش وجهاز البوليس (٢٦) . وكان رئيس كل تشكيل يتصل بالمرشد العام مباشرة . وتنبع أهمية تشكيل الجيش من انه كان يكفل للجهاز السري المدني امدادات الذخيرة والاسلحة والتدريب . وانه كان النواة التي يؤمل بها البنا الوثوب

---

٢٣ ـ محكمة الشعب ـ الجزء الرابع (محاكمة محمود عبد اللطيف) شهادة محمد محمد فرغلي ، ص ٧٦٦ .

٢٤ ـ احمد حمروش ، قصة ثورة ٢٣ يوليو ـ ج١ ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت .

25 — Khadduri - op. cit. p. 76.

٢٦ ـ محكمة الشعب ـ الجزء الثاني ـ شهادة السيد حسين ابو سالم، ص ٣٤٧ .

الى السلطة يوما ما . والغريب ان السلطات قد أغمضت عينيهـا ايضا عن نشاط الاخوان في الجيش ، فأنور السادات يلتقي لاول مرة بالشيخ حسن البنا عندما حضر البنا الى احد معسكـرات الجيش ليحضر احتفالا بذكرى المولد النبوي والقى البنا خطابـا ضافيا جذب أنظار الضباط (٢٧) .

ويضيف السماح للبنا بالنشاط المكشوف في صفوف الجيش علامة استفهام كبيرة ؟

والسؤال هو : ماذا كان يريد البنا من هذا النشاط المكثف في صفوف الجيش ؟

والحقيقة ان هذا السؤال قد وجه في اجتماع سري عقد في جزيرة الشاي وحضره ضابطان احدهما جمال عبد الناصر والآخر الصاغ محمود لبيب المستشار العسكري للمرشد العام .. ووجه جمال عبد الناصر السؤال واجابه محمود لبيب «علينا ان نبدأ في تكوين مجموعات من الضباط ذوي الايمان والعقيدة ، وعندمـا يحين الحين نبرز جميعا في صف واحد لنتصدى لعدونا ونمنعه من محاربة دعوتنا» (٢٨) .

***

لكن ذلك كله يصب ، ويتجه نحو ما هو اهم : « الجهـاز الخاص» الذي اشتهر باسم «الجهاز السري» . وبرغم ان الكثير من الباحثين لا يوردون تحديدا زمنيا لقيام هذا الجهاز .. الذي قام ونشأ ونشط في سرية تامة حتى عن قيادات الجماعة ذاتها .

---

٢٧ ـ حتى يعلم الناس : (١٩٥٤) ص ٦ (وهو كتيب اصدره قادة الاخوان في الاردن والعراق والسودان يحددون فيه موقف الاخوان من ثورة يوليو) .

٢٨ ـ حسن البنا ، مذكرات الدعوة والداعية . ص ١٢٨ .

وبرغم ان المنشقين الاول من صفوف الجماعة في الاسماعيليـــة عام ١٩٣٠ قد اتهموا البنا فيما اتهموه بأنه يقوم « بأعمـــال سرية» (٢٩) . وبرغم ان المؤتمر الثالث للجماعة الذي عقد فــي ١٩٣٥ قد حدد مراتب العضوية بالاخ المساعد ، والاخ المنتسب العامل ثم الاخ المجاهد .. وان الاخ المجاهد «لم يحدد له موقع على الخريطة التنظيمية العلنية للجماعة» بما يوحي ان «المجاهدين» قد نظموا في الجهاز الخاص ..

الا ان اكثر الباحثين يرجحون ان الجهاز الخاص قد تكوّن في أعقاب المحنة الاولى فيوقت ما بين عامي ١٩٤٢ و١٩٤٣»(٣٠). ولكن الشيء المؤكد ان «الجهاز الخاص» لم ينشأ من فراغ ، فلا بد ان الشيخ الذي تابع في حرص بالغ اعداد شباب الجماعة عقائديا وتربويا ورياضيا وعسكريا ، والذي حدد مرتبة في الهيكـــل التنظيمي منذ عام ١٩٣٥ هي «الاخ المجاهد» ، والذي اقـــام نظامي الكتائب والجوالة ، والذي أعلن للاخوان انهم «سيخاصمون هـــؤلاء جميعا » (أي كـــل الساسة المصريين) ... اقول لا بـــد انه كان وعلى أمد طويـــل يلتقط من هنا ومن هنـــاك النماذج التي يريدها لجهازه الخاص .

والحقيقة ان البنا كان حريصا على «السرية» التامة فـــي تحركاته ، وكان يعتقد ان الدعوة يتعين عليها ان تتحقق بالسرية حفاظا على صمودها وضمانا لاستمرارها (٣١) . وقد رأينا كيف هدد البنا المنشقين عنه في عام ١٩٣٨ وتوعدهم اذا مـــا افشوا «أسرار» الجماعة .

---

29 — Mitchell - op. cit. p. 30.

30 — Ibid - p. 30.

٣١ ـ احمد انس الحجاجي ، الرجل الذي اشعل الثورة ـ ص ١٦ ـ ٣٥ .

ويلاحظ ان نشأة «الجهاز الخاص» قد صاحبها احـــداث تغييرات جذرية في الهيكل التنظيمي للجماعة اذ الغي نظــام «الكتائب» وبدىء في تنظيم الاعضاء ضمن اطار «نظــام الاسر التعاوني» .

وهكذا يمكننا ان نتصور البناء التنظيمي للجماعة وهو يسير في ثلاثة خطوط متوازية كل منها له اسلوبه وقواته ومنهاجـــه وقيادته .

● نظام الاسر ويضم الاعضاء العاديين وهو الوعاء الاساسي لعضوية الجماعة ..

● نظام الجوالة ويضم الاعضــــاء الاكثر حماسا والاكثر استجابة والاكثر طاعة ..

● النظام الخاص وهو جهاز سري مطلق السرية يتكون مـن ثلاث شعب : التشكيل المدني ـ تشكيل الجيش ـ تشكيـــل البوليس .

ويتبع الجهاز السري عدد من التشكيلات المتخصصة مثــل «جهاز التسليح» و«جهاز الاخبار» ويعتبر الاخير بمثابة جهـــاز المخابرات الخاص للجماعة .. وقد استخدم في الفترة الاولـــى للتسلل الى صفوف التنظيمات الشيوعية وجمع اكبر قدر مـــن المعلومات عنها .. (٣٢)

وقد وضع البنا واحدا من اخلص خلصائه على راس هـــذا الجهاز هو عبد الرحمن السندي ، وكان صالح عشماوي قد تولى رئاسة الجهاز في البداية ثم تنحى عنها .

وينقسم «النظام» الى «جماعات» ، الجماعة مكونة من خمسة اشخاص ، والشعبة المهمة بها عدة جماعات وكل جماعة يرأسها واحد وتتدرج على نظام هرمي يراسه عبد الرحمـــن السندي ،

---

32 — Mitchell - op. cit. p. 31.

ومعظم هذا النظام في القاهرة ، وقد توجد مراكز او مناطق ادارية تخلو من هذا النظام مثل اسوان ، وذلك لانها بعيدة ولا يتيسر لها فهم اغراضه» (٢٣) .

ويدرب اعضاء الجهاز تدريبا عسكريا قاسيا وعنيفا ويعتادون الطاعة التامة والاستعداد للتضحية .. «وبعد ان ينتهي التدريب يقسم العضو يمين البيعة : اقسم بالله العظيم ان اكون حارسا امينا لمبادىء الاخوان مجاهدا في سبيل الله علي السمع والطاعة في المعروف . وان اجاهد نفسي ما استطعت» (٢٤) .

وفي المراحل الاولى كان قسم البيعة يتم وفق مراسم خاصة (في حجرة شبه مظلمة مفروشة بالحصير ويتم القسم على مصحف ومسدس) وكان يكتسب «مذاقا» خاصا اذ كان يتم عادة بين يدي الشيخ البنا نفسه .

ويتباهى احد قادة الجهاز السري هنداوي دوير «انا اقسمت لحسن البنا شخصيا» (٢٥) .

وقد منح البنا جهازه الخاص دفعة قوية واهتماما زائدا في اعقاب خروج د. ابراهيم حسن والسكري واتباعهما على الجماعة وتصاعد هجماتهم على ديكتاتورية المرشد واستبداده وحده بالرأي ، ولعله بذلك قد احس بحاجته الى جهاز محكم التصميم يتغلغل به نفوذه الشخصي في كل انحاء الجماعة ، ولعل الجهاز كما اشار الكثيرون كان ايضا لردع المعارضين في الداخل كما كان

---

٢٣ ـ محكمة الشعب ـ الجزء الاول ـ المرجع السابق (شهادة هنداوي دوير) ص ٣٢ .

٢٤ ـ المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

٢٥ ـ المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

اداة لحماية الدعوة وارهاب خصومها (٣٦) .

وكان عضو الجهاز السري يربى تربية خاصة ، ويهيمن عليه عقائديا بحيث تسيطر عليه فكرة «الجهاد» و«الشهادة في سبيل الله» وقد حرص البنا دوما على ان يربط بين فكرة الجهاد وفكرة الموت في سبيل الله .. معلنا ان النهاية المثلى ـ والتي لا يوجد افضل منها ـ هي الاستشهاد .. ولعل المتابعة الدقيقة لكتابات الشيخ البنا تلاحظ استخدامه تعبيرات غريبة في هذا الصدد . ففي عام ١٩٣٧ حيث احتدمت الثورة الفلسطينية كتب البنا مقالا عن الجهاد أسماه «صناعة الموت» ، وفي أوج نشاط الجهاز السري وقوته اعاد البنا نشر نفس المقل بعد ان غيّر العنوان ليصبح اكثر غرابة «فن الموت» (٣٧) .

وهكذا .. وبعد ان يتقن عضو الجهاز السري «فن المـوت» يتقدم للعمل ، فيقول محمود عبد اللطيف اثناء محاكمته بتهمة محاولة اغتيال جمال عبد الناصر ..

«ـ المدعي : فهمت ايه الفكرة من النظام السري ؟

ـ المتهم : الفكرة هي الجهاد في سبيل الله ودراسة القرآن والسيرة .. ده اللي فهمته .

ـ المدعي : الغرض منه ايه ؟

---

٣٦ ـ صدرت عدة كتب عن الجهاز السري ومهامه واساليب عمله كلها تقريبا بمنهج معاد مثل :

ـ محمد التابعي . هؤلاء هم الاخوان .. القاهرة (١٩٥٤) .

ـ كمال كيره ـ محكمة الشعب .

ـ جرائم عصابة الاخوان (سلسلة كتب قومية) .

ويلاحظ افتقاد هذه الكتب جميعا للبعد الاكاديمي وللموضوعية في العرض والتحليل ..

٣٧ ـ الاخوان المسلمون ، ١٦ـ٨ـ١٩٤٦ .

ـ المتهم ـ الغرض منه محاربة اعداء الدعوة الاسلامية .
ـ المدعي : ما تعرفش الخطة . انت رايـــح تقتل الرئيس مفكرتش تعمل ايه علشان تهرب ؟
ـ المتهم : لا مفكرتش . وهنداوي قال لي الحرس بعد كده سيطلق عليك النار وتموت .
ـ المدعي : كنت عارف انك رايح تموت ؟
ـ المتهم : ايوه .
ـ المدعي : مفكرتش في طريقة للهرب ؟
ـ المتهم : لا» (٣٨) .

ويلاحظ ايضا ان الشيخ البنا قد بدا على اثر تكوين الجهاز السري في اعداد بناء فكري متكامل يضع عضـو الجهاز السري وجها لوجه امام ما أسمي «بمشروعية الجهاد» التي تفرض على المسلم ان يقاتل كل من يعترض سبيل الدعوة ، وكانت قمة نجاح البنا كداعية وكمنظم انه قد استطاع ان يفرس في نفوس اعضاء هذا الجهاز ان الموت في سبيل الدعوة سهل وبسيط ومرغـوب فيه ، وان المؤمن المجاهد يخطو خطوة رائعة واحدة تنقله مــن حياة فانية الى حياة خالدة باقية ينعم فيها بالجنة التي وعد بها الشهداء .. (٣٩) .

وهكذا أعد البرنامج الدراسي الجديد لاخوان الاسر وفقـا لهذه الفكرة وفي اطارها .. كذلك كانت الاحتفالات الاسلامية مثل ذكرى غزوة بدر وغيرها مناسبات هامة لتكريس هذه الفكـرة وغرسها باستمرار في نفوس اعضاء الجماعة .. وكان البنا يلح

---

٣٨ ـ محكمة الشعب ـ الجزء الاول ـ المرجع السابق ، ص ١١ .

٣٩ ـ راجع في هذا الصدد ـ محمد لبيب البوهي ، مع شهداء الاسلام ـ القاهرة (١٩٥٢) .

دائما على اقناع اعضاء الجهاز السري بأنهم «جند الرحمن وحماة دينه» وان على اكتافهم «وحدهم» سيكون خلاص الوطن الاسلامي والعقيدة الاسلامية.. اليسوا هم «جماعة المسلمين» و«اهل الحل والعقد في الاسلام» .

هكذا تكوّن الجهاز ، وبهذه المنطلقات تواجد واتسع ليصبح في عام ١٩٤٨ مكونا من حوالي ١٠٠٠ عضو (٤٠) منظمين تنظيما غاية في الدقة ، مسلحين تسليحا عالي الكفاية ، مدربين تدريبا جادا ، وفوق هذا وذاك على استعداد تام للموت في سبيل الدعوة وفي سبيل اداء ما يؤمرون به من مرشدهم .

ألم يقسموا له يمين الولاء ؟ الم يبايعوه على الطاعة التامة في المنشط والمكرة ؟

واذا كان النظام الخاص سريا ، فقد ظل سريا حتى بالنسبة لقيادة الجماعة ذاتها .. يقول احد قادة الجهاز ابراهيم الطيب في اعترافاته امام المحكمة «مكتب الارشاد لم يكن يتعرض لمثل هذه المسائل (الجهاز الخاص) لانها كانت تفهم على اساس المعمول به من ايام الشيخ حسن البنا فكان ليس له (مكتب الارشاد) ان يتدخل في المسائل التي تعتبر مش من اختصاصه» (٤١) .

بل ان الكثيرين من هؤلاء القادة لم يكونوا يعلمون اصلا بأمر وجود مثل هذا الجهاز الا بعد ان نشأ بفترة طويلة .. يقول الدكتور خميس حميدة وكيل جماعة الاخوان في اعترافاته امام المحكمة :

«ـ المدعي : ايه مركزك في الجماعة ؟

ـ الشاهد : وكيل الاخوان المسلمين .

---

40 — Mitchell - op. cit. p. 205.

٤١ ـ محكمة الشعب ـ الجزء الثالث (شهادة ابراهيم الطيب) ص ٥١٦

ـ المدعي : ايه معلوماتك عن النظام الخاص ؟

ـ الشاهد : ايوه يا افندي دخلنا الاخوان المسلمين حوالي سنة ٣٩ ـ ١٩٤٠ وبعد فترة لغاية سنة ١٩٤٦ فهمت من الاستاذ حسن البنا ان هناك شبابا من الاخوان يتدربون على السلاح . وحيث ان التدريب لا يبيحه القانون فكانوا يأخذوا بعض في اماكن بعيدة في قرى الصعيد او في المقطم ويتدربون ، وهناك يجيلهم بعض ناس يفهموا في هذه الامور ويدربوهم سرا» (٤٢) .

اما منير الدلة عضو مكتب الارشاد العام فيقول في اعترافاته امام المحكمة «.. وحصل ان هذا الجهاز كان موجود لما دخلنا الجماعة ، واحنا منعرفش انه موجود لغاية ما حصلت حادثة الخازندار» (٤٣) .

وكانت حرب فلسطين فرصة سانحة ..

وكان الشيخ البنا ماهرا الى اقصى درجات المهارة في استخدام الشعور القومي والاسلامي واعتلاء موجته لتعزيز مكانة الجماعة .. ومنذ عام ١٩٣٦ «سنحت الفرصة لحسن البنا في ثورة فلسطين فوجد فيها ضالته للعمل والتوسع ، واكسبته تأييد الثورة الفلسطينية وعطف مفتي فلسطين الحاج امين الحسيني» (٤٤) . هكذا تؤكد كريستينا هاريس .

واذا كانت الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ موجهة في الاساس ضد الاحتلال البريطاني ، الامر الذي اثار تردد الحكومة المصرية حيال أي تأييد رسمي لها ، فقد تلاقت آراء عدة على افساح مجال التأييد الشعبي عن طريق الاخوان المسلمين .

---

٤٢ ـ المرجع السابق ، ص ٥٥٧ .

٤٣ ـ محكمة الشعب ـ الجزء السادس ـ محاكمة حسن الهضيبي ـ المرجع السابق (شهادة منير الدلة) ص ١٣٦ .

44 — Harris, Christina - op. cit. p. 182.

وما يعنينا في هذا الامر هو ان القضية الفلسطينية قد اتاحت امكانيات عدة امام الاخوان .. فمن خلال تأييدها اتضح البعد الاسلامي والعربي للجماعة ، ومن خلالها ايضا امكن للجماعة ان تمد نشاطاتها الى المنطقة العربية كلها وانتشرت شعبيتها من فلسطين الى سوريا الى لبنان الى غيرها من البلدان .. لكن اكثر ما يعنينا في هذا الفصل هو ان مساندة الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ (٤٥) ثم الاستعداد للمشاركة في حرب فلسطين ١٩٤٨ كانا الفرصة الذهبية امام الشيخ البنا ليحشد ترسانة سلاح ضخمة ويدرب رجاله علنا تحت ستار الاعداد لحرب فلسطين .. مستفيدا في ذلك كله من تيار قومي جارف .

وفي المحاكمات التي جرت لاعضاء الجماعة عام ١٩٥٤ قيل الكثير حول تصرفات غير سليمة في الاموال التي جمعت باسم الجهاد في فلسطين .. وحول تجميع السلاح بحجة حرب فلسطين ثم تخزينه في مخازن الجهاز السري واستخدامه في عمليات الارهاب الداخلي (٤٦) .. ولان الاتهامات بغير أدلة فاننا لا نوردها .

وعلى اية حال فان حرب فلسطين التي كانت سببا في كسب سياسي ضخم للجماعة ، كانت هي بذاتها واحدة من اسباب محنتها الكبرى ..

كذلك فان هذه الحرب قد اوضحت ــ لكل من لا يعرف ــ ان الجماعة تمتلك جيشا مسلحا بالفعل وان هذا الجيش اذ يقاتل في فلسطين فانه يمكنه ان يقاتل في مكان آخر .. وربما في مصر .. وقد تساقط الكثير من متطوعي الاخوان على ارض فلسطين

---

٤٥ ــ لمزيد من التفاصيل حول دور الاخوان في ثورة ١٩٣٦ بفلسطين راجع عبد الباسط البنا ، تاج الاسلام وملحمة الامام ــ القاهرة (١٩٥٢) ، ص ٣٧ .

٤٦ ــ الجمهورية ، ٢٢-١١-١٩٥٤ .

خصوصا في الايام الاولى حيث تصوروا ان صيحات الجهـــاد العالية والمجابهة الشجاعة وحدها تكفـــي. فحصدت مدافـــع الصهاينة الكثير منهم الامر الذي دفعهم الى تغيير اساليبهم فـي القتال واللجوء الى حرب العصابات (٤٧) .

يقول احمد حسين ان حرب فلسطين قد امدت الاخـــوان «بفرصة ذهبية لحشد السلاح والتمرن على استعماله بدعوى انه من اجل فلسطين» وان الاخوان «كان لديهم كميات من الاسلحة والذخائر جمعوها تحت ستار تجهيز المتطوعين الى فلسطين وهم يعدونها لاحداث انقلاب في مصر بالقوة» (٤٨) .

ويقول د. محمد حسين هيكل انه خلال حـــرب فلسطين «قويت شوكة جماعة الاخوان فأصبحوا قوة يخشى بأسها» (٤٩) .

وعندما صدر قرار حل الجماعة وقع المتطوعون من الاخوان في فلسطين في مازق .. فقد حاصرت مواقعهم قـــوات الجيش وخيّرهم رئيس الاركان اللواء فؤاد صادق بين القاء الســـلاح والعودة لمصر اي للمعتقلات او الخضوع التام لقواته .. وكـــان المتطوعون قد تلقوا رسالة من البنا يلح عليهم فيها الخضوع للنظام وعدم التصادم فاختار اغلبهم هذا الحل .. وبقوا في فلسطين تحت امرة الجيش المصري . وبعد اتفاقية رودس نزع سلاحهم وارسلوا الى معسكرات الاعتقال في الطور وهايكستب (٥٠) .

---

٤٧ – كامل اسماعيل شريف ، الاخوان المسلمون في حـــرب فلسطين – الطبعة الثانية ص ٨٠ . وايضاً : محمد لبيب البوهي – مع شهداء الاخوان ، المرجع السابق ، ص ٢٤–٣٦ .

٤٨ – احمد حسين . واحترقت القاهرة – ص ٣١٣ – ٣١٥ .

٤٩ – د. محمد حسين هيكل ، مذكرات في السياسة المصرية ، ج٢ ، ص ٣٣٨ .

٥٠ – كامل اسماعيل شريف ، المرجع السابق ، ص ١٤٦ ، ١٨٥ .

ولنعد إلى الجهاز السري مصدر قوة الشيخ ومصدر ضعفه، حلمه القديم في «الجهاد» وكابوس الجماعة في المحنة.

ولنقلب صفحات هذا الجهاز بحثا عن الفهم العملي لـــدى اعضائه عن فكرة الجهاد ..

الفصل الأخير ..

ثم اسدل الستار

وفي السياسة كما في القصص الخرافية يحدث ان الصياد يخرج بيده المارد من القمقم ثم يخشاه ، وهكذا كان الامر في العلاقة بين القصر وحكام الاقلية وبين الشيخ البنا وجماعته .

لقد أطلق الصياد المارد ليخيف به الوفد وقوى اليسار وليستخدمه كأداة لحشد بعض القوى الجماهيرية تأييداً لسياسة ما كان لها ان تجد مؤيدين .. فاذا ما انتصب قائما ، واذا ما استمد من سنده الديني شموخا ، ومن تسلح جهازه السري قوة بدأ الصياد يخاف المارد ..

وبدأ يشعر ان الوفد يمكن التعامل معه بهذه الوسيلة او تلك، وان المعتقلات التي فتحت مصاريعها ــ بمباركة من الاخوان ــ

لتستقبل الشيوعيين والتقدميين يمكن ان تلجم اليسار ولـــــو مؤقتا .. لكن المارد يبقى مشكلة بغير حل ، مستزيدا من قوته بصورة تجعله مخيفا حتى بالنسبة للرجعيين الذين ايدوه وامدوه بالمال وتغاضوا عن تسليحه وتسلحه.. وعن اشياء اخرى كثيرة..

وكبار الملاك وكبار الراسماليين الذين قبلوا من الاخـــوان «تدينهم» وهجومهم على التقدم ، ودعوتهم للعمال بالتزام الخلق القويم .. وعدم اللجوء الى الاضراب ، كانوا في نهاية الاربعينيات في حالة من الذعر البالغ دفعتهم الى موقف متشنج يرفض ايـة دعوة اصلاحية او حتى الحديث عنها همسا ..

والاخوان المسلمون مطالبون في نهاية الامر بأن يقولوا ولـو كلمة واحدة عن الاغنياء والفقراء .. ولعلهم قالوها بصورة واهنة ووضعوها بأسلوب لا يغضب احدا. «ان من مهام جماعتنا التوسط بين الاغنياء الغافلين والفقراء المعوزين بتنظيم الاحسان وجمـــع الصدقات لتوزع في المواسم والاعياد» (١) .

وكلمات كهذه لا ترضي الفقراء ولعلها لا تحل مشاكلهم لكنها تغضب «الاغنياء الغافلين» خصوصا اذا ما كانوا ضيقي الافـــق بطبعهم ، وتفرض عليهم تطورات الصراعات المزيد من ضيـــــق الافق ..

ويصرخ الباشا في احدى الروايات ساخطا «انا عارف كويس اللي بأقوله .. معندناش وقت للمناورات .. دي حاجات أكبر مننا كلنا .. ييجي اي واحد الحكم .. صاحبي ولا عدوي .. بس يخلصنا من المجرمين دول .. البلد بقت وسخة .. مليانـة غش .. شيوعية على اخوان مسلمين على اشتراكية .. علـــى

---

١ ـ حسن البنا ، دعوتنا في طور جديد . دار الكتاب العربـــي بمصر (١٩٥٤) ، ص ٣٠ .

وطنية .. على هباب ازرق .. صعاليك فاضيين ما عندهمش حاجة يخافوا عليها .. ح يخسروا ايه .. احنـــا اللي ح نخسر كل حاجة» (٢) . ولعله يبدو غريبا ان يلجأ البحث الاكاديمي الى استشهادات من قصص وروايات لكن العبارة السابقة بالغـــة الدلالة .. فهي تجسد وتبلور فهم حكام مصر في مرحلة فشلت فيها كل مناوراتهم وتصوروا انه لا مخرج الا عدوهم (الوفـــد) فالوفد خير من الثورة ، وخير حتى من اصدقاء الامس الذيـــن يتمردون معتزين الان بقوتهم وجيشهم المسلح .

وكانت حرب فلسطين سببا آخر ..

فقد باركت الرجعية المصرية الحرب فـي فلسطين وشاركت فيها ، وشجعت الاخوان على خوضها .. وربما كانوا يؤملون ان يكتفي الاخوان بخوضها «شعارات وكلمات» فاذا ما انقلبت الامور جدا ، واذ اصبحت الحرب الفلسطينية تضع النظام في مـــأزق غريب بين مناورة صنعها بيده ليسكت بها صوت المعارضـــة الشعبية ويمتصها في منحنيات جانبية ، وبين خشيته من تحدي قوى الاحتلال (السيد القديم) وقوى الاستعمار الامريكي (السيد الجديد والقابض على عنق السيد القديم) كان لا بد من أن تتحول الحرب الفلسطينية الى مسرحية .. وعلى خشبة المسرح لا يسمح مطلقا لاي من الممثلين بأن يقلب المشاجرات المسرحية الـــى صدام جاد ..

وقد بدأت بوادر الصدام في هذا الصدد «عندما رفـــض النقراشي سفر المتطوعين من اعضاء الجماعة الى الجزء الشمالي من صحراء النقب فتسللت مجموعات منهم الى فلسطين من سيناء

---

٢ - فتحي غانم ، الرجل الذي فقد ظله - الكتاب الثالث (ناجـــي) - (سبتمبر ١٩٦٩) ، ص ٣٠ .

وبدأوا القتال الفعلي ومهاجمة المستعمرات اليهودية في فبراير شباط ١٩٤٨ » (٣) .

والانجليز الذين هادنوا الشيخ وهادنهم يخونون العرب والاسلام في فلسطين خيانة تجرح وتحرج كل من والاهم .

ويدخل الميدان عنصر جديد .

ففي ١٧ فبراير ١٩٤٨ تهتز الرجعيات العربية كلها اذ تقع محاولة انقلاب في صنعاء ضد الامامة المتخلفة والفاسدة ويقتل الامام وثلاثة من ابنائه .

ولقد هزت المحاولة الرجعيات العربية جميعا ، التي كانت ترى في اية محاولة للتغيير العنيف عدوى يمكن ان تنتشر الى ارضها .. ولقد دهش الجميع عندما وجدوا ان «اصابع» الامام البنا ممتدة بعيدا حتى صنعاء . وعندما اعلنت جماعة الاخوان نفسها شريكا في الصراع اليمني ووسيطا بل وحكما يملي شروطه ويتقدم بمطالب اصلاحية ويحدد المناصب التي يجب ان توزع على قادة الانقلاب الذين اتضح للجميع انهم كانوا على علاقة وثيقة بالشيخ البنا ، وهو امر لم يحاول الشيخ ان يخفيه ، بل لعله — في بعض الاحيان — تعمد الزهو بهذه الحقيقة (٤) .

ولعل في هذا ما يخيف الرجعية المصرية الحاكمة اشد الخوف ..

---

٣ — طارق البشري ، المرجع السابق ، ص ٢٦٠ .

٤ — لوجهة النظر المعادية لتحرك الاخوان في اليمن ، راجع : الاخوان والارهاب . القاهرة (١٩٥٥) ، ص ٤٢ — ٥١ .

ولوجهة نظر الاخوان راجع : محمد الغزالي ، من هنا نعلم ، الطبعة الرابعة . الذي يمجد الانقلاب كتحرك اسلامي ضد حكم الكهانة ، ص ١٠٦ . وراجع ايضا : مجلة المباحث ، ١٢—١٢—١٩٥٠ .

ولكل ما سبق بدات العلاقات تتردى بين الشيخ والملك وحكام الاقلية .. وكانت الجماعة تعاني من الوهن الداخلي وتفتقد الدعم الخارجي من أي من القوى السياسية المسيطرة ، وكان سوء علاقتها بالملك هو نقطة التحول الاساسية لديها» (٥) .

وعندما يقف الاخ ، المجاهد ، المسلح ، موقف التحدي ، ويشعر بأنه مطالب بأن يحمي دعوته وأن يجابه خصومها .. فان العقل يخلي مكانه تماما كي يتكلم الرصاص والديناميت .

***

وفي يناير ١٩٤٨ اعلن البوليس انه اكتشف بمحض الصدفة مجموعة من الشبان تتدرب سرا على السلاح في منطقة جبل المقطم ، وانه بمداهمة المجموعة ـ التي قاومت لبعض الوقت ـ ضبط البوليس ١٦٥ قنبلة ومجموعات من الإسلحة .. وقال زعيم المجموعة سيد فايز (وكان اسمه جديدا تماما على البوليس برغم انه كان احد القادة الاساسيين للجهاز السري) «ان السلاح يجري تجميعه من اجل فلسطين وان الشباب يتدرب من اجل فلسطين»، وقال «انهم اشتروا السلاح من العرب (البدو) من اجل العرب (الفلسطينيين)» (٦) .. وتحت ضغوط ووساطات من الجماعة افرج عن سيد فايز وزملائه ..

لكن أنظار البوليس بدات تتجه ناحية شباب الجماعة .

وتكون الخطوة الثانية في ٢٢ مارس ١٩٤٨ عندما يقتل اثنان من الاخوان المستشار احمد بك الخازندار ، وذلك بسبب اصداره حكما قاسيا على عضو بالجماعة سبق ان اتهم بالهجوم على

---

٥ ـ طارق البشري ، المرجع السابق ص ٣٦٩ .

٦ ـ المصري ، ٢٢-١-١٩٤٨ .

مجموعة من الجنود الانجليز في احد الملاهي الليلية ، ويكتشف البوليس الصلة بين الشابين وبين مجموعة المتظم وبين جهاز سري مسلح داخل جمعية الاخوان المسلمين .. ويقبض لوقت قصير على المرشد نفسه ، ولكنه لا يلبث ان يفرج عنه لعدم توافر الادلة (٧) .

واذا كان اعضاء الجماعة قد استنكروا الحادث علنا ، فلا بد ان مشاعر مختلفة كانت تهتز في داخلهم ، فالجهاد حق ، وهو واجب ، والقتيل ارتكب جرما في نظرهم لانه حكم بالسجن على شاب مسلم عضو بالجماعة لانه هاجم مجموعة من الكفرة المحتلين اعداء الاسلام .. ولعل مثل هذه المشاعر لم تكن جديدة على مصر .. فعلى اثر انتشار موجة الاغتيالات وخاصة اغتيال احمد ماهر وامين عثمان وغيرهما تحولت ساحات المحاكم كما يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعي «الى منابر لتمجيد القتل والجريمة » (٨) .

ولم يكن هذا الحادث سوى مقدمة ..

فقد كانت حرب فلسطين تشتعل ، واذ اسهم الاخوان المسلمون في اشتعالها فقد اسهموا ايضا ـ وبقدر متزايد ـ في اذكاء مشاعر عنصرية ضد اليهود المصريين ، وحاولوا جهد طاقتهم تحويل المعركة من عرب ضد استعمار وصهيونية ، الى مسلمين ضد يهود .

وكان طبيعيا ان يسهم الجهاز الخاص المدجج حتى اسنانه بالسلاح والمستفز المشاعر سواء بسبب تعثر مسيرة القتال وخيانة الحكومات العربية العميلة او بسبب القبض على «اخوة الجهاد»

---

٧ ـ آخر ساعة ، ٢٤ـ١١ـ١٩٤٨ .

٨ ـ عبد الرحمن الرافعي ، في اعقاب الثورة المصرية ، ج٣ ، ص ٢٦٧ .

الذين قتلوا الخازندار .. كان طبيعيا ان يسهم في اذكاء نيران التعصب الديني مستخدما الديناميت ..

وفي ٢٠ يونيو ١٩٤٨ اشتعلت النيران في بعض منازل حارة اليهود ، وفي ١٩ يوليو تم تفجير محلي شيكوريل وأركو وهما مملوكان لتجار من اليهود .

واذ توقع الهدنة الاولى في حرب فلسطين يستشعر الناس ريح الخيانة والتسليم ، ويسرع الديناميت لينكلم في الداخل ضد اليهود المصريين بعد ان احبطت حركته ضد الصهاينة في فلسطين .

ويكون الاسبوع الاخير من يوليو والاول من اغسطس هما اسبوعا الرعب بالقاهرة حيث تتوالى الانفجارات في ممتلكات اليهود وتهتز المرة تلو الاخرى شوارع قلب العاصمة بتفجيرات عنيفة راح ضحيتها الكثيرون .. وخلال اسبوعين دمرت محلات بنزايون وجاتينيو وشركة الدلتا التجارية ومحطة ماركوني للتلغراف اللاسلكي (٩) ، وفي ٢٢ سبتمبر دمرت عدة منازل في حارة اليهود ثم وقع انفجار عنيف في مبنى شركة الاعلانات الشرقية(١٠). ولسنا بحاجة الى القول بأن الضحايا كانوا كثيرين وانهم جميعا من الابرياء ..

وكانت اعين البوليس التي استيقظت مؤخرا قد اكتشفت احد اطراف الخيط اذ ضبطت ترسانة سلاح ضخمة في عزبة بالاسماعيلية يمتلكها الشيخ محمد فرغلي قائد كتائب الاخوان في فلسطين ..

وفي ١٥ نوفمبر ضبطت سيارة الجيب الشهيرة ..

---

٩ ـ المصري ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٩ يوليو ، ١ ، ٤ اغسطس ١٩٤٨ .

10 — Resner, Lawrence - Eternal Stranger: The Plight of Modern Jew Erom Baghdad to Casablanca. New York (1951) p. 116.

تقول مصادر البوليس ان ضبط السيارة تم مصادفة ، ولو ان الكثيرين يستبعدون ذلك ، وعلى اية حال فان واقعة سيارة الجيب قد وضعت يد البوليس في ضربة من ضربات الحظ على اثنين وثلاثين من اهم كوادر الجهاز السري وعلى وثائق وارشيفات الجهاز بأكمله بما فيها خططه وتشكيلاته وأسماء الكثيرين من قادته واعضائه (١١) .

وكان البنا قد امضى معظم شهر اكتوبر وبضعة ايام من نوفمبر مؤديا فريضة الحج ، فما ان عاد حتى تعرض للقبض عليه بمقولة وجود دليل في سيارة الجيب المضبوطة ، وبمقولة مسؤوليته المباشرة عن حادث نسف شركة الاعلانات (١٢) .

وخرج البنا من السجن ليبذل جهودا لايقاف عجلة الاحداث محاولا انقاذ الجماعة من الوقوع فريسة لنظام اصبح غير راض عنها ، بل وراغب في الخلاص منها ..

لكن سرعة الاحداث كانت تفوق قدرة الشيخ على الحركة ..

والشيخ الذي اعتاد المناورة بالسياسة والسياسيين وجد نفسه محاصرا تماما عاجزا عن الفعل ، فالقصر والسعديون حلفاء الامس القريب ، والذين شجعوا الاخوان ونظروا لتحركهم باتجاه قضية فلسطين بعين الرضا بغية صرف الانظار عن معركة الجلاء عن مصر وعن قضايا الداخل المختلفة بداوا يخونون قضية فلسطين كما خانوا من قبل قضية مصر ..

والبنا الذي شحن نفوس اتباعه والى اقصى مدى بالمشاعر الاسلامية المتوترة تجاه قضية فلسطين يجد نفسه مطالبا اما بان يواجه القصر والحكومة وإما ان يواجه اتباعه . وحاول أن يتخذ

---

١١ ـ قضايا الاخوان ـ قضية سيارة الجيب : الحيثيات ونص الحكم ـ دار الفكر الاسلامي ـ القاهرة (١٩٥١) .

12 — Mitchell - op. cit. p. 64.

موقفا وسطا ولعله راح ضحية هذه المحاولة .

وكان شباب الجامعة من الاخوان وغيرهم يغلي رفضا للشروط المهينة التي خضعت لها الحكومة في اتفاقية الهدنة في فلسطين، ولعل البنا حاول ان يلعب بآخر اوراقه (نفوذه وسط طلاب الجامعة) ، ليخفف قبضة الحكومة عن عنق الجماعة ، وخرج البوليس ليردعهم كعادته هذه الايام ودارت معارك مسلحة امام فناء كلية طب القصر العيني احد مراكز القوة بالنسبة لطلاب الاخوان .. واستخدم البوليس الرصاص واستخدم الاخوان المتفجرات ، واذ كان حكمدار العاصمة سليم زكي يقود المعركة من سيارته (تلك السيارة التي ركبها حسن البنا منذ اقل من عام ونصف ليهدىء المتظاهرين) ، سددت نحوه قنبلة أصابته أصابة مباشرة .. واتهم بيان حكومي جماعة الاخوان المسلمين بقتله .

وعلى اثر ذلك ، صدر قرار من الحاكم العسكري (كانت الاحكام العرفية معلنة بسبب حرب فلسطين) بايقاف صحيفة الجمعة . وحاول البنا يائسا انقاذ الجماعة .. اتصل بكل اصدقائه وحتى بخصومه ، ولعب بكل اوراقه ، حاول الاتصال بالملك ، بابراهيم عبد الهادي رئيس الديوان الملكي ، وبعبد الرحمن عمار (صديقه الشخصي وصديق الجماعة) وكان وكيلا لوزارة الداخلية ..

ولأن الشيخ قد فقد اسباب قوته ، فقد بدأوا يتلاعبون به ، ففي الساعة العاشرة من مساء يوم ٨ ديسمبر اتصل به عبد الرحمن عمار واكد له ان شيئا ما سيحدث لتحسين الموقف، وانقاذ الجماعة . واطمأن الشيخ وقبع هو ومجموعة من انصاره في المركز العام ينتظرون «الانقاذ» فاذا بالراديو يذيع عليهم قرار مجلس الوزراء بحل الجماعة بناء على مذكرة أعدها عبد الرحمن عمار نفسه .

واذ حاول البعض الخروج من مقر المركز العام وجدوه محاصرا

واقتحمه البوليس ليلقي القبض على كل من فيه باستثناء البنا.. الذي ترك طليقا بحجة انه لم يصدر أمر باعتقاله (١٣) .. وكانت حريته هذه هي عذابه ونهايته .

واشتملت مذكرة عبد الرحمن عمار المرفوعـــة الى مجلس الوزراء بشأن طلب حل جماعة الاخوان المسلمين على قرار اتهام طويل يعيد الى الاذهان كل أعمال العنف التي ارتكبتها الجماعة ، حتى تلك التي ارتكبتها بإيعاز من السلطات ولخدمة مصالحها .

فمن بين التهم الثلاث عشرة التي ساقتها المذكرة نجد :

- ان الجماعة كانت تعد للاطاحة بالنظام السياسي القائم وذلك عـن طريق الارهاب مستخدمة تشكيلات مدربة عسكريا هي فرق الجوالة .
- مسؤولية الجماعة عن مقتل احد خصومها السياسيين (وفدي) في بور سعيد .
- مسؤولية الجماعة بحيازة اسلحــة ومفرقعات ومتفجـــرات (حادث المقطم ــ مستودع السلاح بعزبة الشيخ محمد فرغلي ــ ضبط مصنع للمتفجرات بالاسماعيلية) .
- نسف فندق الملك جورج بالاسماعيلية .
- نسف العديد من المنشآت التجارية المملوكة لليهود .
- الاعتداء على رجال الامن اثناء تأدية وظيفتهم .
- ارهاب اصحاب المنشآت التجارية وتهديدهم بهدف الحصول على «تبرعات» و«اشتراكات» مدفوعــة مقدما لصحيفـــــة الجماعة .

---

١٣ ــ الدعوة ، غرة ربيع الاول١٣٩٧ (فبراير ١٩٧٧) ــ تصريح لسعد الدين الوايلي ، السكرتير الخاص للشيخ حسن البنا بعنوان «ما هي الاسرار الحقيقية في قضية اغتيال الشيخ حسن البنا» .

وبناء على هذه المذكرة اصدر الحاكم العسكري العام محمود فهمي النقراشي باشا قرارا عسكريا من تسعة مواد تنص مادته الاولى : «تحل فورا الجمعية المعروفة باسم جماعة الاخـــوان المسلمين بشعبها أينما وجدت وتغلق الامكنة المخصصة لنشاطها وتضبط جميع الاوراق والوثائق والسجلات والمطبوعات والمبالـغ والاموال وعلى العموم كافة الاشياء المملوكة للجمعية . ويحظر على اعضاء مجلس ادارة الجمعية المذكورة وشعبها ومديريها واعضائها والمنتمين اليها بأية صفة كانت مواصلة نشاط الجمعية وبوجـه خاص عقد اجتماعات لها او لاحدى شعبها او تنظيم مثل هـذه الاجتماعات او الدعوة اليها او جمع الاعانات او الاشتراكات او الشروع في شيء من ذلك .. ويعد من الاجتماعات المحظورة في تطبيق هذا الحكم اجتماع خمسة فأكثر من الاشخاص الذين كانوا اعضاء بالجمعية المذكورة . كما يحظر على كل شخص طبيعي او معنوي السماح باستعمال اي مكان تابع له لعقد مثل هـــذه الاجتماعات او تقديم اي مساعدة ادبية او مادية اخرى» .

وتنص المادة الثالثة «على كل شخص كان عضوا في الجمعية المنحلة او منتميا لها وكان مؤتمنا على اوراق او مستندات او دفاتر او سجلات او ادوات او اشياء من اي نوع كانت متعلقـــة بالجمعية او باحدى شعبها ان يقدم الاوراق والاشياء الى مركـــز البوليس المقيم في دائرته في خلال خمسة ايام من تاريخ نشر هذا الامر» .

اما المادة الرابعة فتنص على تعيين «مندوب خاص مهمتـــه استلام جميع اموال الجمعية المنحلة وتصفية ما يرى تصفيتـــه ويخصص الناتج للاعمال الخيرية او الاجتماعية التي يحددها وزير الشؤون» (١٤) .

---

١٤ ـ الدعوة ، غرة رجب ١٣٩٧ (يونيو ١٩٧٧) . ص ٣٢ .

ودار ماكينة العنف البوليسي نحـو الاخوان .. هـؤلاء الذين باركوا دوراتها ضد خصومهم مـن الوفديين والتقدميين والشيوعيين فـذا بفول الديكتاتورية يبتلعهم هم ايضا .

والمعتقلات التي افتتحت في ظل مباركة الاخوان وتهليلهم يوم ١٥ مايو (ايار) ١٩٤٨ (بمناسبة حرب فلسطين) والتي استقبلت خصومهم السياسيين ، اخذت تتوسع كي تستقبل الالوف مـن اعضاء الاخوان .

وفصل ١٥٠ موظفا وشرد من القاهرة وحدها الى الوجـه القبلي ... ٥٠٠ موظف وابعد عن كليات الجامعة والمدارس الثانويـة نحو من الف طالب (١٥) .

وحاول البنا جهد طاقته ان يوقف طوفان المحنة .. لكنه كان عاجزا بالفعل .

فالحكومة التي هادنها وهادنته كانت تضرب بعنف وقـوة مصممة على تصفية الاخوان ، ورفض النقراشي كل محاولات البنا للالتقاء به ، والجماعة التي بناها الشيخ بعرقه وجهده ، وشيدها بيديه لبنة لبنة عبر عشرين عاما تنهار أمام عينيه ، وجهازه السري تنقطع خطوط اتصاله ، فقد كانت ضربة سيارة الجيب قاصمـة بالنسبة لقيادة الجهاز السري وشبكات اتصاله ، واذ ضربت قيادة الجهاز فقد البنا اتصاله به بل وفقد سيطرته عليه (١٦) .

وفي ٢٨ ديسمبر (كانون الاول) وقعت الواقعة وصعـدت المأساة الى اعلى قممها اذ قام طالب في الثالثة والعشرين مـن عمره (عبد المجيد احمد حسن) باطلاق رصاصتين محكمتـي التصويب على رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي باشا .

---

١٥ ـ حسن البنا ، القول الفصل .
16 — Mitchell - op. cit. p. 67.

وشيع انصار الحكومة جثمان رئيس وزرائهم هاتفين في صراحة «الموت لحسن البنا» (١٧) .

واتى ابراهيم عبد الهادي ليدير ماكينة العنف الرسمي الى اقصى مداها .. ولتتسع دائرة الاعتقالات في صفوف الاخوان فتشمل ٤٠٠٠ معتقل (١٨) ، وتعرض بعض المعتقلون لاقصى درجات التعذيب الوحشي الذي لم تعرف له مصر مثيلا من قبل، وباختصار «كانت الستة اشهر التالية لتولي ابراهيم عبد الهادي الحكم صورة راسخة في اذهان المصريين جميعا للسلطة الرسمية الفاشمة وقد اكتسب عبد الهادي لنفسه خلالها عداء كافة فئات الراي العام المصري» (١٩) .

وفي زنازين التعذيب الرهيبة — والتي تناولت المتهم واسرته رجالا ونساء — كان اقصى ما يؤلم الاخوان قيام اجهزة الامن بتعليق الآية الكريمة **«انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الحياة الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم»** .

ولعل شكوكا كثيرة قد ساورت هؤلاء الشبان من اعضاء الجهاز السري وهم يعانون من التعذيب الوحشي في جدوى عملية الارهاب ضد خصومهم ، وفي مدى انطباق «فكرة الجهاد» على ما ارتكبوه من اعمال ، ولعل فتاوى مفتي الديار المصرية وبيانات شيخ الازهر وهيئة كبار العلماء التي تدين اعمالهم قد اثرت

---

١٧ — الباحث ، ٢٣-١-١٩٥١ .

18 — Cahiers de L'orient Contemporain XVII (1949) p. 42 .

19 — Mitchell - op. cit. p. 67.

فيهم كثيرا .

لكن الطامة الكبرى جاءت عندما استنكر الشيخ البنا نفسه هذه الاعمال واتهم القائمين بها بأنهم «ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين» ، وهنا انهار المتهمون جميعا ، فقد كان صمودهم واحتمالهم للتعذيب يستمد كل صلابته من «البيعة» التي اقسموا بها بين يدي الشيخ في حجرة مظلمة .. فاذا تخلى الشيخ عنهم وعن فكرة «الجهاد» كما لقنها لهم .. فماذا يبقى ؟

ولقد صمد عبد المجيد حسن ثلاثة اسابيع كاملة في مواجهة تعذيب وحشي ضده وضد اسرته لكنه ما لبث ان انهار تماما عندما قرأ بيان الشيخ البنا الذي نشرته الصحف (٢٠) .

والحقيقة ان نزوع الاخوان الى الارهاب ، كان خطأ فادحا مكن الخصوم من استخدام العنف الرسمي في اقسى صورة ضدهم .

كذلك فقد عزلهم هذا الارهاب عن الكثير من القوى التي اعتادت العطف عليهم او النظر الى دعوتهم بعين الرضا .

ومع ماكينة التعذيب كانت ماكينة الدعاية تدور لتجرم الجماعة وشيخها ومنهجها وجهازها السري .

- فتوى مفتي الديار المصرية يدين أفعال الجماعة ويتهم القائمين بها بالكفر .
- وبيان من هيئة كبار العلماء .
- وبيان ثالث من شيخ الازهر .
- وساهم في حملة الادانة لاعمال العنف والارهاب الاخوانية مفكرون وكتاب يتمتعون باحترام جمهور الشعب العريض .
- د. طه حسين يقول : «ما هذه الاسلحة وما هذه الذخيرة

---

20 — Mitchell - op. cit. p. 78.

التي تدخر في بيوت الأحياء وفي قبور الموتى ؟ ما هذا المكر الذي يكمن ، وما هذه الخطط التي تدبر ، وما هذا الكيد الذي يكاد ، لمَ كل هذا الشر ، ولمَ كل هذا النكر ، ولم رخصت حياة المصريين على المصريين .. يقال انها انما رخصت بأمر الاسلام الذي لم يحرم شيئا كما حرم القتل ، ولم ينهعن شيء كما نهى عن التعاون علىالاثم والعدوان»(٢١).

● وكامل الشناوي يقول «انني حزين ان يوجد انسان واحد ، لا جماعة منظمة ، يصنع الموت للناس ويحترف التخريب والتدمير ، وان قلبي ليقطر حزنا اذ كانت هذه الجماعة ترتكب جرائمها باسم الاسلام ، وتجد من يصدقون دعواها.. ان الاسلام الذي يقول كتابه الكريم «وجادلهم بالتي هي احسن» لا يقر الجدل بالمسدسات والمدافع والمتفجرات» (٢٢).

لكن استنكار الجهاز السري وجرائمه لم يأت من خارج الجماعة فقط ، بل لعله اتى اكثر ما اتى من داخلها .. بل من شيخها ومنشئها ومؤسس الجهاز السري نفسه .

يقول منير الدلة عضو مكتب الارشاد العام في اعترافاته امام المحكمة «.. شفت الاستاذ حسن بعدما حصلت حادثة الخازندار، وكان مرهق ومتعب جدا من الحكاية دي وقال لي الاخوان قاموا بارتكاب الحادثة دي ازاي .. دي جريمة بشعة .. وبهذه المناسبة شكا لي من ان الفكرة من انشاء او تكوين الجهاز كانت تفهيم الاخوان معنى الجهاد في نفوسهم ولكن بعض الافراد انحرفوا ، وقال ان هذه الحوادث حصلت من غير ما يعلم بها ، وكان في غاية الالم» .

ويقاطعه رئيس المحكمة «احنا مابنتكلمش عن الاستاذ البنا

---

٢١ ، ٢٢ ــ جرائم عصابة الاخوان ، المرجع السابق . ص ١٩٣ .

وانه كان في غاية الالم ــ الم تتكلم معاه في ان الجهاز ده يتبع مين ؟ » .

ويجيب الشاهد «معنى الكلام ده ان الجهاز المفروض انه يكون خاضع له ، ولكن هو ما كانش خاضع له ؛ وانه ارتكب الحوادث اللي ارتكبها من غير أمره .. وفي فترة الحل تجددت شكواه (البنا) ثاني مرة ، وقال على حد تعبيره الحمد لله اللي اتحلت الجماعة علشان نخلص من البلوى دي ونصفيها» (٢٣) .

واذ نترك هذه الشهادة الخطيرة .. بما فيها من معلومات تثير الدهشة معلقة في مسؤولية قائلها فاننا نلاحظ ان ثمة شهادة اخرى تؤكدها ، وهي شهادة السيدة منيرة عامر حرم صالح حرب باشا رئيس جمعية الشبان المسلمين والصديق الشخصي لحسن البنا .. وفي شهادتها امام المحقق في اغتيال حسن البنا بجلسة ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٣ تقول :

«الشيخ البنا كان يحضر لمقابلة صالح حرب باشا لكي يتفق مع الحكومة ، وكان الواسطة بين الطرفين الاستاذ مصطفى مرعي، وانا كنت اسمع ان الاستاذ البنا متألم وسألته قال انه بعد قتل الخازندار ان المسألة خرجت من ايده وانا عاوز امسكهم ولكن مش قادر » (٢٤) .

ونمضي لنتابع مواقف بقية قادة الجماعة عن اعمال الارهاب .. يقول حسن الهضيبي خليفة حسن البنا في اعترافاته امام

---

٢٣ ــ محكمة الشعب ، الجزء الثاني ، محاكمة حسن الهضيبي (شهادة منير الدلة) ص ١٢٣٦ ــ ١٢٣٧ .

٢٤ ــ محضر تحقيق النيابة في قضية مقتل حسن البنا (الجناية ١٠٧١ ــ ١٩٥٢) جلسة يوم ١٨ نوفمبر ١٩٥٣ ــ (شهادة السيدة منيرة عامر) ص ٢٥٩ وما بعدها .

المحكمة «لما جيت في الاخوان المسلمين في سنة ١٩٥١ تبين لي ان عندهم شيء اسمه النظام الخاص فأنا سألت ايه الغرض من هذا النظام ؟ وايه مرماه ؟ وتعملوا بيه ايه ؟ خصوصا بعد ما ثبت انه ارتكب جرائم قبل ذلك في السنوات ٤٦ – ٤٧ – ٤٨ ، وكل هذه الجرائم ارتكبت طبعا انحراف او خروج عن الغرض الاصلي » (٢٥) .

وقائد ثالث من الاخوان – محمد عبد المعز محمد عبد الله – يقول في شهادته امام المحكمة :

« – الدفاع : قتل النقراشي حلال ؟
– الشاهد : جريمة .
– الدفاع : وقتل الخازندار حرام ؟
– الشاهد : ايوه .
– الدفاع : اسلام او كفر ؟
– الشاهد : كفر .
– الدفاع : وقاتله ؟
– الشاهد : يدخل النار .
– الدفاع : في عهد من قتل الخازندار ؟
– الشاهد : في عهد حسن البنا .
– الدفاع : والنقراشي ؟
– الشاهد : في عهد حسن البنا .
– الدفاع : ومن يقر القتل كافر او مسلم ؟
– الشاهد : . . . . » (٢٦) .

---

٢٥ – محكمة الشعب – الجزء الرابع – محاكمة محمود عبد اللطيف (شهادة حسن الهضيبي) ص ٧٨٨ .

٢٦ – محكمة الشعب – الجزء الثاني – محاكمة محمود عبد اللطيف (شهادة محمد عبد المعز محمد عبد الله) ص ٣٧٦ .

وقائد آخر من قادة الجماعة هو محمود الحواتكي يتكلم امام المحكمة .

«ـ الدفاع : هل اغتيال الخازندار من ضمن الاخطاء ؟

ـ الشاهد : نعم .

ـ الدفاع : والذين ارتكبوا هذه الأخطاء مسلمين أو غير مسلمين ؟

ـ الشاهد : انخلعتَ عنهم ربقة الايمان .

ـ الدفاع : هل تعتقد ان الذين يقرونهم ويوافقون على هذه الجرائم مسلمين او غير مسلمين ؟

ـ الشاهد : غير مسلمين .

ومضى الشاهد في اعترافاته مؤكدا انه في ايام حسن البنا كان الذي يخرج على الجهاز السري يقتل» (٢٧) .

اما الدكتور خميس حميدة وكيل جماعة الاخوان فيجيب امام المحكمة على سؤال عن نشاط الجهاز السري قائلا :

«ـ الرئيس : وده صح ؟

ـ الشاهد : غلط .

ـ الرئيس : غلط ؟

ـ الشاهد : نعم .

ـ الرئيس : يفهم من كده ان جماعة الاخوان المسلمين غلط ؟

ـ الشاهد : الى أبعد حدود الغلط» .

ويسأله الرئيس هل يعتبر عمل محمود عبد اللطيف (الذي حاول اغتيال جمال عبد الناصر) من الاعمال المضادة للجهادية .. الاجرامية مثلا ؟

ويجيب وكيل جماعة الاخوان : «انا أعتبر ان عمل محمود

---

٢٧ ـ المرجع السابق ، شهادة محمود الحواتكي ، ص ٢٥٤ .

عبد اللطيف عمل اجرامي» (٢٨) .

ونترك هذا الحديث اذ بامكانه ان يطول بغير حد فسلسلة اعترافات الاخوان امام المحاكم لا تنتهي .. فقط اردنا منه ان نثبت ان مقولة «الجهاد» التي قام على اساسها الجهاز السري لم تكن واضحة وضوحا كافيا ولا مستقرة استقرارا كافيا ولا مقبولة قبولا كافيا من كوادر الجماعة وقادتها .

وان الزهو عندما انطفأ ، وعندما واجه الاخوان مصيرهم امام سلطة البطش ، انهار الكثيرون مدلين باعترافات كاملة .. كان اخطرها تطوعهم بادانة فكرة الجهاز السري وتكفير القائمين عليه.

نترك ذلك .. ونعود الى الشيخ حسن في محنته القاسية .

كان الشيخ حسن البنا يعاني اكثر ما يعاني من حريته المفروضة عليه .. واكثر من مرة طالب خصومه بأن يضعوه في المعتقل ولكنهم رفضوا ، فقد اختمرت لديهم فكرة تصفية الشيخ .. تصفيته سياسيا اولا وبعدها يصفى جسديا .

وقد كان ..

وفي حريته كان الشيخ اكثر عذابا من اتباعه المسجونين ، فقد تركوه محاصرا ، عاجزا ، ضعيفا . لقد انفرط عقد الجماعة، والجهاز السري تقطعت خطوطه ، والبناء الشامخ ينهار ، «ورهبان الليل وفرسان النهار» يتساقطون تحت آلة التعذيب ليدلوا باعترافات متكاملة تجر الى الزنازين المزيد والمزيد من الاخوان .

والشيخ الذي كان ملء السمع والبصر ، اصبح يستجدي مقابلة مع رئيس الوزراء مقدما كل ما يستطيع من تنازلات .. ويأبى رئيس الوزراء ان يقابله .

---

٢٨ ــ محكمة الشعب ــ الجزء الثالث (شهادة خميس حميدة) ص ٦٨٠ .

وبالنسبة لرجل كحسن البنا ، يكون وضع كهذا هو قمة المأساة .

وتحرك الشيخ المهيض الجناح في اتجاهين .. ان يسجل دفاعه عن نفسه وعن جماعته كتابة ، وان يحاول لعبة الوساطة والتنازل لعله ينقذ شيئا من تحت أنقاض الجماعة .

وكتب الشيخ آخر رسائله «القول الفصل» وشتان بينهما وبين رسائله الاولى .

يبدأ البنا «القول الفصل» قائلا : «لقد سمع الرأي العام المصري والعربي والاسلامي قضية الاخوان المسلمين من جانب واحد هو جانب الحكومة التي اعتدت على الهيئة باصدار امر عسكري بحلها وهو الجانب الذي يملك كل وسائل الدعاية من الصحف الخاضعة للرقابة كل الخضوع ومن الاذاعة التي تديرها وتهيمن عليها القلة ، ومن الخطباء في المساجد الذين هم موظفون حكوميون . لكن الراي العام لم يسمع من الطرف الآخر ، لم يسمع من الاخوان المسلمين الذين حرموا كل وسائل الدفاع عن انفسهم فصودرت صحفهم وعطلت اقلامهم وكممت افواههم .. واعتقل كل خطيب لهم واعتبر اجتماع كل خمسة منهم في أي مكان جريمة اقل عقوبة لها السجن ستة اشهر . ولهذا كان من الواجب ان نتقدم بهذا البيان للراي العام المصري والعربي والاسلامي وللضمير الانساني العالمي حتى لا يقع في خطأ ما ، ويظلم في الحكم ، ويحكم بسماع خصم واحد ، وقد قيل : اذا جاءك خصم وعينه مقلوعة فلا تحكم له حتى ترى خصمه فقد تكون عيناه الاثنتان مقلوعتين» (٢٩) .

اما الاسلحة فقد كرر الشيخ مقولة انها «للمجاهدين من الاخوان المسلمين والفلسطينيين والهيئة العربيةالعليا الفلسطينية

---

٢٩ ـ حسن البنا ، القول الفصل .

والحكومة نفسها تعرف ذلك» .

واتهم البنا الحكومة انها اصدرت قرار حل الجماعة تحت ضغط مذكرة ثلاثية تقدمت بها كل من بريطانيا وفرنسا وأمريكا وبعد اجتماع لممثليها الدبلوماسيين بفايد في ٦ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٨ . وطالبت المذكرة بحل الجماعة .

وبعد ان سرد البنا اسبابا عديدة اخرى منها ستر الفشل في فلسطين والاعداد لمفاوضات جديدة مع الانجليز عاد ليركز على ما اسماه بالاصابع الخفية والدسائس «من ذوي الغايات الذين خاصموا الدعوة من اول يوم وتربصوا بها كاليهودية العالمية والشيوعية الدولية والاستعمار وأنصار الالحاد والاباحية» .

وفي ختام «القول الفصل» قال البنا «وسنجاهد في سبيل حقنا ما وسعنا الجهاد فان أعوزنا الحياة الشريفة العزيزة فلن يعوزنا الموت الكريم المجيد» .

لكن «القول الفصل» بقي مخطوطا .. ولم ير النور الا بعد وفاة الشيخ .

قلنا ان الشيخ قد لجأ الى الوساطة .. والصحيح انه قد وقع في مصيدة الوساطة .. لقد استدرجوه خطوة خطوة ، ليقدم تنازلا اثر تنازل وفي النهاية اغتالوه .

وقد رفض عبد الهادي مقابلة الشيخ ، ثم احال الامر الى اثنين من أخلص أعوانه ليراوغا الشيخ ويستدرجاه اولا الى مصيدة التصفية السياسية .

ولنلق نظرة على الصائدين .. ثم على المصيدة .

ـ الصائدان : مصطفى بك مرعي وزكي باشا علي .

ـ المصيدة : استدراج الشيخ الى اصدار بيانات واتخاذ مواقف تدمر سمعته السياسية وتظهره بمظهر الضعيف امام أتباعه وجماهيره ، وتؤدي الى تدمير معنويات الاخوان المحتجزين ثم في النهاية تصفيته جسديا بعد ان يصفى سياسيا ..

يقول المدعي نائب الاحكام اثناء محاكمة ابراهيم عبد الهادي امام محكمة الثورة بتهم من بينها تدبير اغتيال حسن البنا :

«ولم يكن المتهم (عبد الهادي) مطمئنا الى انه بما اجراه من اعتقالات قد عزل المجني عليه (حسن البنا) من انصاره عزلا تاما بل ساوره الاعتقاد باحتمال ان يكون لفريسته انصار آخرون لم يتيسر لرجاله الكشف عنهم ، ومن ثم فقد دس عليه بعض وزرائه في صورة من يفاوضونه لاعادة جماعته سيرتها الاولى في مقابل ان يكشف لهعن كل رجالها توطئة لاعتقالهم ... فلما لم يؤد هذا البحث الى اثبات وجود انصار آخرين للمجني عليه اطمان المتهم الى ان الفرصة واتته ليجهز على فريسته وهي مجردة من كل نصير » (٣٠) .

لكن كيف كانت تجري المفاوضات بين «الصائد» و«الصيد» .. وكيف كان الشيخ المقصوص الاجنحة يجر جرا الى المصيدة ..

لنستمع الى شهادة اقرب المقربين الى حسن البنا ، «أخو خديجة» كما أسماه يوما ما .. صهره عبد الكريم منصور ، انه يستخدم نفس التعبير - بل لعلنا استعرناه منه - «.. وعلاوة على ذلك استخدمت الحكومةالاستاذ مصطفى مرعي كأداة صيد.. لان مصطفى مرعي اتصل بصالح حرب وقال له انا عاوز أفاوض الامام الشهيد . واخذ الاستاذ مصطفى مرعي بأساليب ملتوية ممقوتة يعمل على ابقاء الامام الشهيد بالقاهرة موهما اياه بأسلوب بهلواني بأن الحكومة ستلغي امر الحل وتتصالح مع الاخوان وتعود الامور الى ما كانت عليه» .

---

٣٠ - محاكمات الثورة - الكتاب الاول (محاكمة ابراهيم عبد الهادي) ص ١٨١ .

ويسأله رئيس المحكمة : قلت في كلامك انه اتبع طرق ملتوية، فإيه الطرق الملتوية دي ؟

ويجيب الشاهد : «أيوه حاقول لكم يا أفندم . فهو كـان بيوهم الامام الشهيد انهم جادون في أن يعيدوا الاخوان المسلمين، ولكنه كان بيقول له بس لو سمحت تكتب لي بيان يثبت حسن نيتكم ، وكان مصطفى مرعي يقول ألفاظ للامام الشهيد ، وكان الامام الشهيد يعارض في ألفاظ ملتوية كان يكتبها او يمليها مصطفى مرعي فيقوم يقول له .. دي مسألة بسيطة اذا كان ده ثمن اعادة الاخوان واذا كان ده ثمن التفاهم مع الحكومة فايه المانع من كتابته ؟ وبمجرد ما كتب هذا البيان اخذه مصطفى مرعي واعطاه لرئيس الحكومة وعدل فيه وجابه للامام الشهيد وقعد يقول له اللفظ ده يدخل واللفظ ده لا يدخل . وهكذا قعد يعدل في البيان . وبعد ذلك بمجرد ما اخذ البيان منه اعطاه لقاتل النقراشي وقال له شوف الشيخ حسن البنا أهو أصدر بيان ضدك وقعد يستثير به المتهم القاتل وكان من نتيجة هذا الاسلوب الذي اتخذه مصطفى مرعي ان قاتل النقراشي قعد يتكلم كلام فارغ كتير واصبح اداة مطواعة في يد التحقيق يقول ما يمليه عليه المحقق ورجال البوليس السياسي» (٣١) .

وهكذا فعندما يتردى السياسي في هاوية التنازلات .. فلا عاصم . ويوقع البنا بيانا بعنوان «بيان للناس» استنكر فيه الشيخ اعمال رجاله ورفاق طريقه ودمغها بالارهاب والخروج على تعاليم الاسلام .

وكان البنا يلح على ضرورة الافراج عن بعض رجاله معلنا انه «لا يستطيع ان ينكر الاخطاء التي ارتكبها الاخوان وانها قد هزته

---

٣١ ـ المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

الى درجة انه هو نفسه قد شعر بضرورة حل الجماعة» (٣٢) .
وقال ان التحكم في سير الاحداث يحتاج الى رجال معينين يمكن للشيخ من خلالهم السيطرة على الموقف .. لكن عبد الهادي لم يقتنع بمنطق الشيخ ولم يكتف بالبيان الذي اصدره ، واخذ مصطفى مرعي يلح على ضرورة تسليم محطة الاذاعة السرية للاخوان وكل ما بقي لدى الاخوان من اسلحة (٣٣) .

وبعد يومين من صدور «بيان للناس» قبض على احد قادة الجهاز السري وهو يحاول نسف محكمة استئناف مصر . ولنترك الحديث للشاهد الاول في قضية اغتيال البنا محمد يوسف الليثي والذي كان في هذا الوقت عميلا للبوليس السياسي ومكلفا بمتابعة تحركات حسن البنا وهو ايضا الذي استدرجه يوم اغتياله .. يقول الشاهد «.. وحصل حادث نسف محكمة الاستئناف وانا قابلت الشيخ البنا ، وكان متأثرا جدا من هذا الحادث ، وكان معتقدا ان الاخوان مش هم اللي عملوا الحادث ، ولما عرف انهم هم اللي عملوا الحادث زعل خالص وبكى وقال انه لا تهمه الحكومة وانما يهمه الشعب الذي قد يصدق ان الاخوان المسلمون ارهابيون ، وقال انه استعجب كيف حصل هذا الحادث، وحصلت بعد كده مفاوضات بينه وبين مصطفى مرعي بخصوص المعتقلين ، وصالح حرب باشا اتصل بمرعي بيه علشان يجتمعوا بالشيخ البنا .. وتفاهموا ومرعي بيه قال للشيخ البنا تعمل بيان كما قلت لك في الاول وانت رفضت ولذلك لازم تعمل بيان واتفاهموا على اصدار بيان بعنوان «ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين» ثم استمرت

---

٣٢ ـ موسى اسحاق الحسيني ، المرجع السابق، ص ٣٦ .

٣٣ ـ جمال سليم ، البوليس السياسي يحكم مصر ـ القاهرة للثقافة العربية (١٩٧٦) ، ص ١٩٦ .

الاتصالات» (٣٤) .

وعندما يدخل الصيد الى المصيدة .. تكون التصرفات غير محسوبة .. ولنقرأ ما خطه الشيخ البنا بيده :

«ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين» .

«وقع هذا الحادث الجديد ، حادث محاولة نسف مكتب سعادة النائب العام وذكرت الجرائد ان مرتكبه كان من الاخوان المسلمين فشعرت بأن من الواجب ان اعلن مرتكب هذا الجرم الفظيع وامثاله من الجرائم لا يمكن ان يكون من الاخوان ولا من المسلمين لان الاسلام يحرمها والاخوة تأباها وترفضها .

ومن المرجح بل من المحقق انه انما اراد به أن يتحدى الكلمة التي نشرت قبل ذلك بيومين تحت عنوان «بيان للناس» ولكن مصر الآمنة لن تروعها هذه المحاولات الاثيمة وسيتعاون هذا الشعب الحليم الفطرة مع حكومته الحريصة على أمنه وطمأنينته في ظل جلالة الملك المعظم على القضاء على هذه الظاهرة الخطيرة.

وليعلم اولئك الصغار من العابثين ان خطابات التهديد التي يبعثون بها الى كبار الرجال وغيرهم لن تزيد احدا منهم الا شعورا بواجبه وحرصا تاما على أدائه . فليقلعوا عن هذه السفاسف ولينصرفوا الى خدمة بلادهم كل في حدود عمله ان كانوا يستطيعون عمل شيء نافع مفيد .

واني لاعلن انني منذ اليوم سأعتبر اي حادث من هذه الحوادث يقع من أي فرد سبق له اتصال بجماعة الاخوان موجها الى شخصي ولا يسعني ازاءه الا ان أقدم نفسي للقصاص او أطلب الى جهات الاختصاص تجريدي من جنسيتي المصرية التي لا يستحقها الا الشرفاء الابرياء ، فليتدبر ذلك من يسعون ويطيعون

---

٣٤ ـ محضر تحقيق النيابة في قضية مقتل حسن البنا (الجناية ١٠٧١ ـ ١٩٥٢) محضر اقوال محمد يوسف الليثي ، ص ٤٤ .

وسيكشف التحقيق ولا شك عن الاصيل والدخيل . ولله عاقبة الامور .
حسن البنا»

وهكذا امتص المفاوضون البرتقالة الى آخر قطرة ..

والشيخ الذي في قفص الخرية يعاني اكثر من رجاله في السجن .. ويتعرض لضغوط مريرة عنيفة .. آلاف الاسر بلا عائل ، اخوانه في السجن ، وهو بلا حول ولا طول .

وبيانه الاول أثار استياء اعضاء الجماعة بالسجون ويقال انهم وجهوا له رسالة انذار يقولون فيها انهم يعتقدون «ان البيان مدسوس فان كان صحيحا فان يوم الحساب آتٍ بعد الافراج عنا » (٣٥) .

ويكون تحدي من بقي بالخارج لبيان الشيخ محاولة نسف محكمة الاستئناف .. الرجل بين فكي كسارة البندق سجين ضغوط خصومه وضغوط رجاله لكنه لا يملك من امر نفسه شيئا.

وماذا يبقى من الشيخ ..

رجاله في السجون يبعثون له يهددونه ، ومن بقي خارج السجن يتمرد عليه ، وهو يتهم أخلص خلصائه .. الذين اقسموا له على المصحف والمسدس يمين الطاعة التامة في المنشط والمكرة.. يتهم «رهبان الليل وفرسان النهار» بأنهم «ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين» .

بل ويتردى الى مديح الحكومة التي تعذب رجاله أشد العذاب ويقول انها حريصة على أمن الشعب وطمأنينته «في ظل جلالة الملك المعظم» .. بل ويحرض الشعب على التعاون مع الحكومة «للقضاء على هذه الظاهرة الخطيرة» .

«رهبان الليل وفرسان النهار» اصبحوا في آخر بيان للشيخ

---

36 — Mitchell - op. cit. p. 69.

«اولئك الصغار من العابثين» وجهادهم اصبح «سفاسف» .

ولا يبقى للشيخ ما يقوله .. سوى انه سيطلب تجريده من جنسيته المصرية «التي لا يستحقها الا الشرفاء الابرياء» ؟

وقرر القتلة ان يطلقوا الرصاص على جثته .

سحبوا منه سيارته ثم سحبوا مسدسه المرخص ثم سحبوا الحراسة المحيطة به ، واستدرجوه الى جلسة مفاوضات اخرى او اخيرة .. واطلقوا عليه الرصاص .

ويبقى معلقا للبحث الدقيق .. التاريخ الحقيقي لوفاة الامام الشهيد المرشد العام الشيخ حسن احمد عبد الرحمن البنـــا الساعاتي .

هل هو يوم ١٢ فبراير (شباط) ١٩٤٩ . كما هو مثبت في شهادة الوفاة ..

ام هو يوم اصدر الشيخ بيانه «ليســوا اخوانا وليســـوا مسلمين» ..

ام هو يوم اصدر «بيان للناس» ..

ام قبل ذلك بكثير .. يوم سمح لنفسه ان يدخل ميـــدان السياسة من باب الموالاة للقصر .. ومخاصمة الشعب ..؟

وقد اثبت التحقيق ان المدبر الاساسي لمقتل الشيخ حسن البنا كان الملك فاروق .

واكد الاخوان انفسهم اكثر من مرة ان الشيخ «قد اغتيل في ١٢ فبراير (شباط) ١٩٤٩ الموافق ١٤ ربيع ثان سنـــة ١٣٦٨ هجرية .. يوم عيد ميلاد الملك السابق فاروق احمد فؤاد فكان اغتياله هدية عيد ميلاد ملك جلب الدمار لشعبه» (٣٦) .

---

٣٦ ــ الدعوة ، غرة ربيع الاول ١٣٩٧ (فبراير ١٩٧٧) ، ص ٣٨ .

بل لقد وصل الامر بالجماعة الى انها طلبت رسميا من المحكمة التي عقدت في اعقاب ثورة يوليو لمحاكمة قتلة الشيخ حسن البنا ، تقديم متهمين جدد على رأسهم الملك السابق فاروق وذلك باعتباره محرضا وفاعلا أصليا .

ولأن القاتل الحقيقي كان فاروق .. فان الباحث يكتم دهشته ـ بل ما هو اكثر من الدهشة ـ اذ يجد في سجل تشريفات قصر عابدين يوم ١٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥١ .. أسماء عديد من قادة الاخوان ، اتوا الى ابواب قصر الملك ليعربوا ـ مرة اخرى ـ لقاتل شيخهم ، ربما عن ولائهم ، وربما عن نسيانهم لدم شهيدهم . والتوقيعات ذات دلالة ..

● خليفة الشيخ البنا .. المرشد الجديد حسن اسماعيل الهضيبي .

● اقارب الشيخ البنا .. شقيقه عبد الرحمن البنا وعضو مكتب الارشاد العام .

وصهره عبد الحكيم عابدين وسكرتير عام الجماعة .

● واقرب المقربين اليه من رجاله :

ـ صالح عشماوي .

ـ عبد القادر عودة .

ـ حسين كمال الدين .

ـ محمد الغزالي .

ـ عبد العزيز كامل .

وكلهم اعضاء في مكتب الارشاد العام .

● وحتى السكرتير الخاص للامام الشهيد وكاتم اسراره ورفيق رحلته الطويلة سعد الدين الوليلي اتوا به معهم ليوقع هو ايضا معربا عن ولائه للملك فاروق !

وطوال رحلتنا مع هذه الدراسة تراكمت علامات استفهام

وعلامات تعجب كثيرة ، وتكون علامة التعجب الاخيرة مشارا لما هو اكثر من الدهشة .. وتساؤلا حول مدى وفاء هؤلاء الموقعين لذكرى شيخهم وإمامهم ومرشدهم وشهيدهم .. وحول مـــدى صدق ما يصيغون من تراتيل الوفاء لشيخ نسوا ذكراه على عتبات قصر قاتله !

مراجع الكتاب

أ ـ كتب عربية ومترجمة :

ـ الاخوات المسلمات ، الرسالة الاولى .
ـ الاخوان والارهاب .
ـ ابراهيم العدوي ـ رشيد رضا .
ـ ابو الاعلي المودودي ـ نظرية الاسلام السياسية .
ـ ابو الاعلي المودودي ـ المصطلحات الاربعة في القرآن .
ـ ابو الاعلي المودودي ـ الحجاب .
ـ ابو الحسن الندوي ـ كيف دخل العرب التاريخ ؟.
ـ ابو الحسن الندوي ـ مذكرات سائح في الشرق العربي .
ـ احمد انس الحجاجي ـ الإمام .
ـ أحمد أنس الحجاجي ـ روح وريحان .
ـ أحمد أنس الحجاجي ـ رسالة من المريخ .
ـ أحمد حمروش ـ قصة ثورة ٢٣ يوليو .

- احمد نار ـ القتال في الاسلام .
- اسماعيل احمد شافعي ـ الاخوان المسلمون ، دعـــوة البعث والانقاذ .
- امين عز الدين ـ تاريخ الطبقة العاملة المصرية .
- انور السادات ـ صفحات مجهولة .
- انور السادات ـ اسرار السياسة المصرية .
- انور عبد الملك ـ مصر : مجتمع جديد يبنيه العسكريون .
- انور الجندي ـ قائد الدعوة ، حياة رجل وتاريخ مدرسة
- انيس صايغ ـ الفكرة العربية في مصر .
- تفسير الخطيب الشربيني .
- جرائم عصابة الاخوان (كتب قومية) .
- جمال الدين الافغاني ـ الرد على الدهريين .
- جمال سليم ـ البوليس السياسي يحكم مصر
- جمال الشرقاوي ـ حريق القاهرة .
- جورج كيرك ـ موجز تاريخ الشرق الاوسط .
- حسن البنا ـ الرسائل الثلاث .
- حسن البنا ـ حتى يعلم الناس .
- حسن البنا ـ رسالة المؤتمر الخامس .
- حسن البنا ـ رسالة التعاليم .
- حسن البنا ـ بين الامس واليوم .
- حسن البنا ـ تذكرة الداعي .
- حسن البنا ـ نظام الأسر نشأته واهدافه .
- حسن البنا ـ الاخوان المسلمون تحت راية القرآن .
- حسن البنا ـ مشكلاتنا في ضوء النظام الاسلامي .
- حسن البنا ـ نحو النور .
- حسن البنا ـ دعوتنا في طور جديد .
- حسن البنا ـ رسالة الجهاد .

ـ حسن البنا ـ المأثورات .
ـ حسن البنا ـ القول الفصل .
ـ حسين فوزي النجار ـ الاسلام والسياسة .
ـ رشيد رضا ـ كتاب الوحي .
ـ رشيد رضا ـ الخلافة او الامامة العظمى .
ـ رضوان محمد رضوان ـ المأثورات .
ـ رفاعة الطهطاوي ـ مناهج الالباب المصرية في مناهج الآداب العصرية .
ـ د. رفعت السعيد ـ مصطفى النحاس ـ السياسي ، الزعيم، المناضل .
ـ د. رفعت السعيد ـ اليسار المصري والقضية الفلسطينية .
ـ سامي الدهان ـ قدامى ومعاصرون .
ـ سيد قطب ـ السلام العالمي والاسلام .
ـ سيد قطب ـ من هنا نعلم .
ـ سيد قطب ـ العدالة الاجتماعية في الاسلام .
ـ د. شبلي شميل ـ فلسفة النشوء والارتقاء .
ـ د. شبلي شميل ـ مجموعة كتاباته ، الجزء الثاني .
ـ صلاح الشاهد ـ ذكرياتي في عهدين .
ـ طارق البشري ـ الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ .
ـ عبد الباسط البنا ـ تاج الاسلام وملحمة الإمام .
ـ عبد الحكيم عابدين ـ البواكير (مجموعة شعرية) .
ـ عبد الخبير الخولي ـ قائد الدعوة الاسلامية ، حسن البنا .
ـ عبد الرحمن الرافعي ـ في أعقاب الثورة المصرية .
ـ عبد الرحمن الكواكبي ـ طبائع الاستبداد في مصارع الاستعباد .
ـ عبد الرحمن الكواكبي ـ ام القرى .
ـ د. عبد العظيم رمضان ـ تطور الحركة الوطنية في مصر من ١٩٣٧ الى ١٩٤٨ .

ـ عبد القادر عودة ـ الاسلام وأوضاعنا الاجتماعية .
ـ عبد القادر عودة ـ الاسلام بين جهل ابنائه وعجز علمائه .
ـ عبد المجيد الباجوري ـ حسن البنا .
ـ د. علي الحديدي ـ عبد الله النديم .
ـ علي عبد الرازق ـ الاسلام واصول الحكم .
ـ علي فهمي كامل ـ سيرة مصطفى كامل .
ـ فتحي العسال ـ حسن البنا كما اعرفه .
ـ فتحي غانم ـ الرجل الذي فقد ظله (رواية) .
ـ كامل اسماعيل شريف ـ الاخوان المسلمون في حرب فلسطين .
ـ كمال كيرة ـ محكمة الشعب .
ـ لطفي عثمان ـ قضية مقتل النقراشي باشا .
ـ د. لويس عوض ـ تاريخ الفكر المصري المعاصر .
ـ ليوناردو مايندر ـ الثورة العقائدية في الشرق الاوسط .
ـ مارسيل كولومب ـ تطور مصر ١٩٢٤ ـ ١٩٥٠ .
ـ محمد التابعي ـ هؤلاء هم الاخوان .
ـ محمد جلال ـ مصريون لا طوائف .
ـ محمد حبيب احمد ـ نهضة الشعوب الاسلامية في العصر الحديث .
ـ محمد حسن احمد (اسم مستعار) ـ الاخوان المسلمون في الميزان .
ـ محمد شوقي زكي ـ الاخوان المسلمون والمجتمع المصري .
ـ محمد صبيح ـ مواقف حاسمة في تاريخ القومية العربية .
ـ محمد عودة ـ سبعة باشوات وصور اخرى .
ـ محمد عبد الغني حسن ـ عبد الله فكري .
ـ محمد الغزالي ـ التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام .
ـ محمد الغزالي ـ الاسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والراسماليين .
ـ محمد الغزالي ـ الاسلام والاستبداد السياسي .

- محمد فهمي الطماوي ـ المجاهدون .
- محمد لبيب البوهي ـ الايمان والرجل .
- محمد لبيب البوهي ـ مع شهداء الاسلام .
- مصطفى مؤمن ـ صوت مصر .
- مؤتمر طلبة الاخوان المسلمين .
- موسى اسحق الحسيني ـ الاخوان المسلمون كبرى الحركات الاسلامية الحديثة .
- ولي الدين يكن ـ المعلوم والمجهول .
- ولي الدين يكن ـ التجاريب .
- د. يونان لبيب رزق ـ الاحزاب المصرية قبل ثورة ١٩٥٢ .

ب ـ وثائق ومذكرات واوراق قانونية : ورسائل علمية غير منشورة .

- الاخوان المسلمون ـ قضية سيارة الجيب ـ الحيثيات ونص الحكم .
- القانون رقم ١٧ لسنة ١٩٣٨ (الخاص بقيام المنظمات شبه العسكرية) .
- السيد محمد عشماوي ـ تاريخ الفكر السياسي المصري ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ (رسالة دكتوراه ـ غير منشورة) .
- آمال محمد كامل بيومي ـ التيارات السياسية في مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ (رسالة ماجستير ـ غير منشورة) .
- جمال الدين الافغاني ـ خاطرات جمال الدين ـ املاه علي محمود باشا المخزومي .
- حسن البنا ـ مذكرات الدعوة والداعية .
- دستور ١٩٢٣ .
- عبد الغني عابدين ـ تقرير عن النشاط الكشفي بجماعة الاخوان المسلمين .

- قانون النظام الاساسي لهيئة الاخوان المسلمين العامة .
- قانون النظام الاساسي لهيئة الاخوان المسلمين وشعبها طبقا للتعديل الذي اقرته الجمعية العمومية باجتماعها غير العادي (٣٠ يناير ١٩٤٨) .
- من مذكرات شيخ الاسلام الظواهري ـ السياسة والازهر ـ بقلم الدكتور فخر الدين الاحمدي الظواهري .
- محكمة الشعب ، المضبطة الرسمية لمحاضر محاكمات الاخوان المسلمين (١٩٥٤) ستة اجزاء .
- محاكمات الثورة ـ المضبطة الرسمية ـ الكتاب الاول ـ محاكمة ابراهيم عبد الهادي .
- محاضر جلسات المحكمة العسكرية العليا في القضية رقم ٢٧٣ لسنة ١٩٤٥ والخاصة باغتيال احمد ماهر باشا .
- محضر تحقيق الاغتيالات السياسية والخاصة بالخازندار بك .
- ملف قضية الاغتيالات السياسية والخاصة باغتيال امين عثمان باشا .
- محضر تحقيق النيابة في القضية ٥١ لسنة ١٩٤٩ والخاصة بمقتل محمود فهمي النقراشي باشا .
- محضر تحقيق النيابة في قضية الجناية ١٠٧١ لسنة ١٩٥٢ والخاصة باغتيال حسن البنا .
- مرافعة احمد حسين المحامي في قضية اغتيال محمود فهمي النقراشي باشا .
- د. محمد حسين هيكل ـ مذكرات في السياسة المصرية .

جـ ـ دوريات عربية :

- الاخبار ١٩٠٩ .
- الاخبار ١٩٢٤ .
- الاخبار ١٩٧٣ .

ـ الاخوان المسلمون (الاسبوعية) (١٩٤٤ ـ ١٩٤٥) .
ـ الاخوان المسلمون (اليومية) (١٩٤٦ ـ ١٩٤٨) .
ـ الاهرام ١٩٣٠ ـ ١٩٣٧ ـ ١٩٤٦ ـ ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠ .
ـ الاذاعة والتليفزيون ـ ١٩٧١ .
ـ الاعتصام ـ ١٩٧٦ .
ـ آخر ساعة ـ (١٩٤٦ ـ ١٩٤٨) .
ـ اسرائيل ـ ١٩٣١ .
ـ البصير ـ ١٨٩٨ .
ـ الجمهورية ـ ١٩٥٤ .
ـ الدعوة ـ (١٩٥١ ـ ١٩٥٥) ـ (١٩٧٧) .
ـ الدستور ـ ١٩٣٩ .
ـ الرسالة ـ ١٩٥٢ .
ـ السياسة الدولية ـ ١٩٧١ .
ـ الشباب ـ ١٩٤٧ .
ـ الشهاب ـ ١٩٤٧ .
ـ الكاتب ـ ١٩٧٤ .
ـ المباحث ـ (١٩٥٠ ـ ١٩٥١) .
ـ المصري ـ (١٩٣٧ ـ ١٩٤٨) .
ـ المصور ـ (١٩٥٠ ـ ١٩٥٤) .
ـ المقتطف ـ ١٨٦٧ .
ـ النذير ـ ١٩٣٨ .
ـ الهلال ـ ١٩٦٨ ـ ١٩٧٧ .
ـ روز اليوسف ـ ١٩٥١ ـ ١٩٧٧
ـ صباح الخير ـ ١٩٧٧ .
ـ صوت الامة ـ ١٩٤٦ .
ـ مصر الفتاة ـ ١٩٣٩ ـ ١٩٤٦ .
ـ مصر ـ ١٩٤٧ .

د ـ مراجع اجنبية :

— Adams - Islam and Modernism in Egypt.
— Ahmed, J. - The intellectual origins of Egyptian Nationalism.
— Badaoui, Zaki - Les problèmes du Travail et les organisations ouvrieres en Egypte.
— Berger, M. - The Arab world today.
— Gibb, H.A.R. - Modern trends of Islam.
— Florence Elliot and Michael Summerskill - A Dictionary of Politics.
— Blunt, W. - Secret History of English occupation of Egypt.
— Boehm - Les Frères Musulmans.
— Harris, Christina - Nationalism and Revolution in Egypt, The role of Muslim Brotherhood.
— Heyworth - Dunne, J. - Religious and political Trends in Egypt.
— Hourani, Albert - Arabic thought in the liberal age 1798 - 1939.
— Kamel, M.-Egyptians et Anglais.
— Khadduri, M. - Political trends in Arab world.
— Mitchell, R. - The Society of muslim Brothers.
— Resner, Lawrence - Eternal Stranger: The plight of Modern Jew from Baghdad to casablanca.
— Safran, Nadav - Egypt in search of political community
— Smith, wilfred cantwell - Islam in the modern history.

— Vatikiotis, P.J.-Egyptian Army in Politics.
— Vatikiotis, P.J. - The Modern History of Egypt.
— Von Grunebaum - Modern Islam: The Search of Cultural Identity.
— Weelock, Keith - Nâsser's New Egypt.

هـ ـ دوريات اجنبية :

— Cahiers de L'orient contemporain - 1949.
— Middle East Journal - 1949.
— Reporter - 1953.
— National and English Review - 1952.
— New Middle East - 1973.
— Twentieth century 1952.

الفهرس

مطبعة اخوان مورافتلى

١٩ شارع محمد رباض ــ عابدين

تليفون ٩٠٤٠٩٦

رقم الايداع ٨٤/٢٦٨٨

